

الشيخ الدكتور عبد الله أحمد اليوسف

العنف الأسري

دراسة منهجية في المسببات والنتائج والحلول



دار المحجة البيضاء

العنف الأسري

دراسة منهجية في المسببات والنتائج والحلول



العنف الأسري

دراسة منهجية في المسببات والنتائج والحلول

الشيخ الدكتور عبد الله أحمد اليوسف

شبكة كتب الشيعة



دار المحجة البيضاء

shiabooks.net

رابط بديل < mktba.net

تجميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٣١هـ / ٢٠١٠م

الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١

تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - E-mail: almahajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا
النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَقْضُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا
ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَنْحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ
بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا
وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾

سورة النساء، الآية: ١٩

المقدمة

إن ظاهرة العنف الأسري تعد من أكثر الظواهر الاجتماعية انتشاراً في واقعنا المعاصر، وبالرغم من أن هذه الظاهرة السلبية ليست بالشيء الجديد، فهي موجودة منذ وُجد الإنسان على سطح الأرض؛ إلا أنها أخذت في التوسع والانتشار بصورة كبيرة، كما أنها تطورت من حيث أساليبها وصورها وأشكالها، ومن ثم فهي من أشد الظواهر الاجتماعية خطورة على النسيج الاجتماعي.

والإسلام الذي يرفض العنف بكافة أشكاله وألوانه؛ ومنه العنف الأسري، يربي أتباعه على اتباع منهج الرفق والتسامح والرحمة، والتحلي بالأخلاقيات والآداب الحسنة، واحترام حقوق الناس المادية والمعنوية.

والمأمل لآيات القرآن الكريم يجد الكثير من الآيات الشريفة التي تدعو إلى الرحمة والصفح واللين والعفو والسلام، وكلها مفردات تدل على المنهج الراقى لإنسانية الإسلام.

ونجد في المقابل أن تعاليم الإسلام وتوصياته تحرم وتنهى عن الاعتداء والتجاوز والظلم والإكراه والقسوة ضد الآخرين بما فيهم أقرب الناس إليه، وهم أفراد عائلته وأسرته.

وتركز التعاليم الإسلامية على بعدين مهمين في بناء الأسرة وهما:

١- إنسانية كل واحد من أفراد الأسرة:

التعامل مع أفراد الأسرة يجب أن يركز على هذا الأساس المتين، وهو النظرة الإنسانية لكل أفراد الأسرة؛ وليس من حق رب الأسرة أن يتعامل مع أفراد أسرته وكأنهم خارج هذا الإطار الإنساني؛ بل سَنَّ الإسلام عقوبات صارمة ضد كل من تسول له نفسه الاعتداء على أحد أفراد الأسرة ولو كان المعتدي من الأسرة نفسها.

٢- أخلاقية التعامل بين أفراد الأسرة:

يجب أن تكون الأخلاق الحسنة، والآداب الراقية هي السائدة في التعامل بين أفراد الأسرة. يقول تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(١) ولتحقيق التعايش بالمعروف بين أفراد الأسرة لابد من التزام أخلاقيات التعايش والمعاشرة بين أفراد الأسرة، والتركيز على إيجاد أساليب التراحم والتوادد والتحابب، ورعاية المشاعر والأحاسيس والأخلاقيات في التعامل، وإتباع كل ما يصدق عليه المعاشرة بالمعروف في داخل الأسرة.

ولا تقتصر تلك التعليمات والتوصيات على فئة دون أخرى، أو مجتمع دون آخر، أو شريحة دون شريحة أخرى، أو زمان دون زمان، ومن ثم فإن تلك التوصيات والتعليمات الدينية من الأولى تطبيقها على العائلة والأسرة باعتبارهم أولى الناس إلى كل واحد منا.

فالرفق والإحسان والتسامح واللين والصفح يجب أن تسود العلاقات الزوجية، والأواصر الأسرية، كما أن العنف والقسر والاضطهاد والظلم والإكراه يجب أن لا يكون لها موقع في النسيج العائلي، أو الحياة الزوجية.

ولكن للأسف الشديد أصبح العنف الأسري من أكثر أنواع العنف البشري انتشاراً في نسيجنا المجتمعي، مما يشكل خطورة كبيرة على التماسك العائلي،

(١) سورة النساء، الآية: ١٩

ويهدد بولادة جيل مصاب بعقد نفسية واجتماعية متنوعة، وهو ما سينعكس بدوره على البناء الاجتماعي العام.

ويتناول هذا الكتاب دراسة ظاهرة العنف الأسري من مختلف أبعادها ومسبباتها ونتائجها وآثارها، وكيفية منع حدوثها، وتوضيح القواعد التي تساعد على خلق التكيف الزواجي والانسجام العائلي.

وقد قسمت هذا الكتاب إلى سبعة فصول رئيسة وهي:

الفصل الأول: منهج دراسة العنف الأسري

الفصل الثاني: ظاهرة العنف الأسري وأنواعه.

الفصل الثالث: فئات العنف الأسري.

الفصل الرابع: مواصفات الزوج العنيف والزوجة الضحية.

الفصل الخامس: مسببات العنف الأسري.

الفصل السادس: نتائج وآثار الضرب.

الفصل السابع: حتى لا يقع العنف الأسري.

راجياً أن أكون قد وفقتُ في تسليط الأضواء على أبعاد العنف الأسري ومسبباته وعلاجه، وأن أكون قد قدمتُ للمكتبة العربية والإسلامية شيئاً مفيداً ونافعاً.

وختاماً... أبتهل إلى الله تعالى أن يجعل هذا الكتاب في ميزان أعماله، وأن ينفعني به في آخرتي، إنه -تبارك وتعالى- محط الرجاء، وغاية الأمل، وينبوع الرحمة والفيض والعطاء.

والله المستعان

عبدالله أحمد اليوسف

الحلة - القطيف

عصر يوم الخميس غرة ربيع الأول ١٤٣٠ هـ

٢٦ فبراير ٢٠٠٩ م

الفصل الأول

منهج دراسة العنف الأسري

منهج الدراسة

بدأت ظاهرة العنف الأسري بالتزايد والتعاظم في حياتنا المعاصرة، وأخذت الكثير من الأسر والعوائل تعاني من تداعيات ومفاعيل العنف الأسري، وما ينتج عنه من سلبيات تهدد الكيان الأسري بالتفكك والانهيار.

وبالرغم من أن العنف الأسري كان يمارس منذ قديم الزمان، إلا أنه أخذ بالنمو والازدياد شيئاً فشيئاً حتى تحول إلى ظاهرة عالمية، وهو الأمر الذي يستدعي إلقاء المزيد من الأضواء على هذه الظاهرة غير الطبيعية.

وسأحاول في هذه الدراسة اتباع المنهج العلمي في مناقشة ظاهرة العنف الأسري وبيان رؤية الإسلام في معالجة هذا الموضوع الهام، وهو الأمر الذي تغفله معظم الدراسات الأكاديمية التي تناولت هذه الظاهرة.

أهمية الدراسة

تتبع أهمية دراسة (العنف الأسري) من عدة أبعاد مختلفة، ويمكن تلخيصها في النقاط التالية:

- ١- معرفة أبعاد ظاهرة العنف الأسري ومسبباتها ونتائجها السلبية، وتدابيرها الكبيرة على كيان الأسرة.
- ٢- رفع مستوى الوعي المجتمعي بمخاطر العنف الأسري على الأفراد والمجتمعات الإنسانية.

- ٣- إن ضحايا العنف الأسري يمثلون شريحة مهمة وكبيرة من المجتمع، إذ أن أكثر ضحاياه من شريحتي النساء والأطفال، وهو الأمر الذي يستلزم حمايتهما من العنف والقسوة والإيذاء بمختلف أشكاله.
- ٤- وضع الآليات والتصورات المناسبة للحد من ممارسة العنف الأسري بمختلف أنواعه ووسائله وأدواته.

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف المهمة والرئيسة وهي:

- ١- بيان رفض الإسلام للعنف بمختلف أشكاله وألوانه، بما فيه العنف الأسري، وتوضيح أن الإسلام دين يدعو إلى الرحمة والصفح والتسامح والعتو واللين، وكلها مفردات مغايرة لمفردات العنف.
- ٢- توضيح أسباب العنف وجذوره المختلفة، ووضع الحلول والعلاج لاستئصال العنف من جذوره.
- ٣- بيان الأضرار والآثار السلبية لممارسة العنف من مختلف أبعادها النفسية والعقلية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية وغيرها.
- ٤- استعراض بعض القواعد في الحياة الزوجية التي تساعد على منع وقوع العنف الأسري من الأساس، وتساهم في بناء حياة زوجية سعيدة، وخلق كيان ناجح، يساهم في النهاية في تنمية المجتمع وتطوره.
- ٥- التعرف على أكثر أنماط وأشكال العنف الأسري في المجتمع.
- ٦- الإلمام بخصائص ممارسي العنف وكذلك ضحاياه من الناحية النفسية والعقلية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية وغيرها.
- ٧- الإشارة إلى أبرز الحلول والتصورات النظرية والعملية لمعالجة العنف الأسري.

فرضيات و تساؤلات الدراسة

تحاول هذه الدراسة الإجابة على مجموعة من التساؤلات والفرضيات المهمة وهي:

- س١/ ما هي أهم أنواع العنف الأسري وأشكاله؟
- س٢/ ما هي مسببات العنف الأسري في مجتمعنا؟
- س٣/ ما هي أهم النتائج السلبية لممارسة العنف الأسري؟
- س٤/ ما هي أفضل الحلول للوقاية من العنف الأسري؟ و كيفية معالجته في حالة وقوعه؟
- س٥/ ما هي رؤية الإسلام للعنف الأسري حكماً ووقاية وعلاجاً؟

الدراسات السابقة

بدأ الاهتمام بظاهرة العنف الأسري في العالم العربي متأخراً جداً بالمقارنة مع الاهتمام بها في العالم الغربي، والسبب يعود إلى الاختلاف الثقافي وتنوع العادات والتقاليد الاجتماعية بين العالم الغربي والعالم العربي؛ ففي حين تكون الصراحة والحرية أكثر في العالم الأول يكاد يكون الموضوع في العالم العربي من المحرمات الاجتماعية التي ينبغي عدم الكلام حولها.

وعندما نلقي نظرة متأملة على الدراسات التي تناولت العنف الأسري في العالم الغربي فسنجد فيها الكثير من الأرقام والإحصائيات والقصص، مما يؤشر على مستوى حجمه وتداعياته، في حين سنجد فقراً كبيراً في المعلومات عندما يكون الحديث عن ظاهرة العنف الأسري في العالم العربي.

وبالرغم من وجود بعض الدراسات والأبحاث التي تناولت ظاهرة العنف الأسري سواء في الغرب أو في الوطن العربي، والتي لا تخلو معظمها من ملاحظات وثرعات، إلا أننا استفدنا في بحثنا هذا عن العنف الأسري منها، خصوصاً في توفير الأرقام والإحصائيات المتوافرة في بعض تلك الدراسات، وحجم المشكلة في

مختلف أنحاء العالم، و ما كتبناه إنما هو بناء على ما سبق للدراسات السابقة أن تناولته بالبحث والتحقيق، والتي أشرنا إليها في قائمة المصادر والمراجع، وكذلك في هوامش البحث، لنذل القارئ والباحث معاً على المصادر التي اعتمدنا عليها، واستفدنا منها.

ومع ذلك، فقد ركزنا على جوانب من البحث افتقرت إليها تلك الدراسات السابقة، أو لم تركز عليها تركيزاً كافياً، أو كانت تفتقر إلى الأبعاد المختلفة للمواضيع محل البحث... وأهمها ما يلي:

١- لم تركز الدراسات السابقة عن العنف الأسري الموجه نحو الأزواج والخادومات بقدر تركيزها واهتمامها بالعنف الموجه نحو النساء (الزوجات) والأطفال، ولعل السبب يعود إلى تعرض هاتين الشريحتين إلى أكثر جرائم العنف الأسري، لكن هذا لا يلغي ضرورة الاهتمام بالشرائح الأخرى كالأزواج والخادومات اللاتي يعشن في المنازل، وهذا ما اهتمت به هذه الدراسة التي بين يديك.

٢- تجاهلت معظم الدراسات السابقة عن العنف الأسري إن لم يكن كلها، الرؤية الإسلامية تجاه ظاهرة العنف الأسري، حيث حرم الإسلام العنف بمختلف أشكاله وصوره وأنماطه، كما أن في تعاليم وتوصيات وقيم الإسلام ما يمنع التفكير في العنف الأسري فضلاً عن ارتكابه. وهذا ما ركزت عليه هذه الدراسة حيث وضحت رأي الإسلام كما يفهمه الباحث حول العنف الأسري ومسبباته وآثاره، والقواعد التي تمنع من وقوعه، أو المعالجات الإسلامية في حال حدوثه.

٣- بالرغم من استفادة الباحث من الدراسات السابقة ومواقع الإنترنت والصحف المختلفة حول فهم ظاهرة العنف الأسري من مختلف أبعادها وجوانبها؛ إلا أنه استفاد أيضاً من طبيعة عمله كموجه ديني ومصلح اجتماعي ساهم في حل الكثير من المشاكل الأسرية المختلفة، ونتيجة لقربه من الناس استطاع أن يركز على جوانب متعددة لظاهرة العنف الأسري، خصوصاً في فصلي مسببات العنف الأسري ونتائجه، وكذلك في فصل كي لا يقع العنف الأسري، انطلاقاً من الرؤية

التي ينظر بها الباحث للواقع الأسري والاجتماعي.

٤- كل دراسة من الدراسات السابقة ركزت على جوانب معينة من ظاهرة العنف الأسري، إلا أن هذه الدراسة - وبالرغم من عدم شموليتها - إلا أنها حاولت تقديم رؤية واضحة عن العنف الأسري في أبعاد كثيرة ومتنوعة، ومن زوايا وأبعاد مختلفة.

٥- بالرغم من أن كل الدراسات المنشورة حول العنف الأسري، وما توصلت إليه من نتائج وتوصيات، إلا أن هذا الموضوع يحتاج للمزيد من البحث والدراسة، وهذه الدراسة التي قام بها الباحث ما هي إلا مساهمة في موضوع يمس كيان العائلة ونسيج المجتمع مباشرة، مما يستدعي المزيد من الدراسات والأبحاث العلمية والموثقة، بما يؤدي إلى التراكم العلمي والمعرفي حول فهم ظاهرة العنف العائلي بشكل أدق وأفضل.

هيكلية الدراسة

تبدأ هذه الدراسة في فصلها الأول بإلقاء الضوء على الإطار النظري والمنهجية العلمية لدراسة العنف الأسري، ثم تحرير عدد من مفاهيم وتعريف دراسة (العنف الأسري).

وفي الفصل الثاني تسلط الدراسة الأضواء على حجم ظاهرة العنف الأسري وأنواعه الرئيسية.

وفي الفصل الثالث تتناول الدراسة فئات العنف الأسري، وصوره وأشكاله.

وفي الفصل الرابع تتناول الدراسة مواصفات وخصائص الزوج العنيف، وكذلك خصائص الزوجة التي تتعرض للعنف.

وفي الفصل الخامس تتناول الدراسة بشيء من التفصيل مسببات وأسباب العنف الرئيسية المنتشرة في المجتمعات الإنسانية.

وفي الفصل السادس ركزت الدراسة على ظاهرة الضرب وهي من أهم وسائل العنف المنتشرة في مجتمعنا، وذكر مجموعة من الأرقام والإحصائيات العالمية حول ضرب النساء والأولاد، ثم نتحدث عن نتائج وآثار العنف والضرب السلبية.

أما الفصل السابع فقد تناول مجموعة من القواعد التي يجب اتباعها من قبل أفراد الأسرة حتى لا يقع العنف الأسري بينهم.

ونتهي الدراسة بخاتمة عبارة عن نتائج وتوصيات الدراسة التي توصل إليها الباحث من خلال تناوله لظاهرة العنف الأسري من جميع أبعادها وزواياها.

مفاهيم الدراسة

تتناول هذه الدراسة مجموعة من المفاهيم والمصطلحات التي يجب تعريفها قبلولوج في الدراسة نفسها كي يكون القارئ مطلعاً على المقصود من المصطلحات والمفاهيم التي تتناولها الدراسة بالبحث.. وأهمها ما يلي:

أولاً- مفهوم العنف.

ثانياً- مفهوم العنف الأسري.

ثالثاً- مفهوم الأسرة.

ولنبداً بتحرير مفهوم العنف بشكل عام قبل الدخول في تحديد مفهوم العنف الأسري، ثم بعد ذلك ندلف لمفهوم الأسرة:

أولاً- مفهوم العنف:

١- العنف في اللغة: بالضم ضد الرفق تقول منه: عنف عليه بالضم (عُنْفًا) و(عُنْفَ) به أيضاً و(التَّعْنِيفُ) التعيير واللوم. و(عُنْفُونَ) الشيء أوله.^(١) وفي لسان العرب: عنف: العُنْفُ الخُرْقُ بالأمر وقلة الرُّفْقُ به، وهو ضد الرفق. عُنْفَ به وعليه يَعْنِفُ عُنْفًا وَعَنَاةً

(١) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ص ٢١٩.

وأَعَنَفَهُ وَعَنَفَهُ تَعْنِيفًا، وهو عَيْنِفٌ إذا لم يكن رَفِيقًا في أمره. وَاَعْتَنَفَ الأمر: أَخَذَهُ بَعْنَفٍ.

وفي الحديث: إن الله تعالى يُعْطِي على الرَّفْقِ ما لا يُعْطِي على العنف؛ هو، بالضم، الشدة و المَشَقَّة، و كلُّ ما في الرفق من الخير ففي العنف من الشرِّ مثله. (١)

٢- العنف اصطلاحاً: هو الاستخدام غير الشرعي للعنف أو التهديد لإلحاق الأذى والضرر بالآخرين والممتلكات، أو كل ذلك من أجل تحقيق أهداف غير قانونية أو مرفوضة اجتماعياً، ومصطلح العنف يحمل دائماً دلالات سلبية وتصرفات مرفوضة.

وقد جاء في قاموس ويبستر (wibster) أن كلمة «العنف» تتضمن عدة معان؛ منها استخدام القوة أو القسوة بشكل مكثف، أو ممارسة الأفعال التي تؤدي إلى الإصابة، أو الاستخدام غير العادل للقوة أو الإكراه، وغير ذلك من المعاني التي تشير إلى استخدام القوة البدنية بهدف إيذاء الآخرين أو إيقاع الضرر بهم. (٢)

لكن توجد تعريفات أخرى للعنف تنظر إلى زوايا مختلفة له، ومنها:

- التعريف القانوني: عرفت معظم القوانين العنف: بأنه كل فعل ظاهر أو مستتر، مباشر أو غير مباشر، مادي أو معنوي، موجه لإلحاق الأذى بالذات أو بآخر أو جماعة أو ملكية أي أحد منهم.

- التعريف الاجتماعي: يرى علماء الاجتماع بأن العنف: هو مدى واسع من السلوك الذي يعبر عن حالة انفعالية تنتهي بإيقاع الأذى أو الضرر بالآخر سواء كان فرداً أو شيئاً ممثلاً في الإيذاء البدني أو الهجوم اللفظي أو تحطيم الممتلكات وقد يصل إلى حد التهديد بالقتل أو القتل.

- التعريف النفسي: يرى علماء النفس بأن العنف: هو سلوك غريزي مصحوب

(١) لسان العرب، ابن منظور، دار الفكر، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م، ج٩، ص ٢٥٧.

(٢) الأسرة ومشكلة العنف عند الشباب، د. طلعت إبراهيم لطفي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبوظبي - الإمارات، الطبعة الأولى ٢٠٠١م، ص ٨.

بالكراهية وحب التدمير، هدفه تصريف الطاقة العدائية المكبوتة تجاه الآخرين، كذلك قد يكون العنف نتيجة للإحباط الشديد، ولعدم قدرة الشخص على التسامح أو الإغلاء أو ضبط النفس.^(١)

ولتحديد مفهوم العنف تحديداً دقيقاً يتطلب الأمر التفرقة بين العنف الشرعي (Legitimate Violence) والعنف غير الشرعي (Illegitimate violence)، وعلى سبيل المثال لا يعد من قبيل العنف استخدام القوة مع أحد المجرمين، وقد يبدو هذا السلوك ضرورياً، وهذا هو المقصود بالعنف الشرعي أي العنف المقبول من وجهة نظر القانون. ونجد أن الدولة قد تستخدم العنف بطريقة شرعية لحماية القانون والنظام داخل المجتمع.

أما العنف غير الشرعي فيبدو على سبيل المثال عندما يقوم أحد المجرمين بدفع أو طرح أحد كبار السن أو الأطفال على الأرض دون مبرر، وهذا هو العنف غير الشرعي أو العنف غير المقبول من وجهة نظر القانون، وهذا النمط من السلوك هو المقصود عندما نتحدث عن سلوك العنف.

وقد يصنف العنف إلى العنف الفردي (Individual Violence) والعنف الجماعي (collective violence). ويقصد بالعنف الفردي ذلك النمط من العنف الذي يحدث بين الأشخاص في الحياة اليومية، مثل قيام شخص معين بقتل شخص آخر أثناء ثورة من الغضب. أما العنف الجماعي فيتمثل في حالة الإرهاب أو الحروب. وتختلف الاستجابات الاجتماعية تبعاً لاختلاف نوع العنف، كما أن لكل نوع أسبابه وتفسيراته المختلفة.

ويتدرج استخدام مفهوم العنف من الاتساع إلى الضيق، فقد يشير مفهوم العنف بمعناه الواسع إلى ارتكاب بعض جرائم العنف مثل القتل (murder) والاعتداء

(١) مواجهة ظاهرة العنف الأسري بالدول العربية.. الواقع والمأمول ورقة (الطلاق والعنف الأسري: دراسة ميدانية مطبقة على مجتمع الإمارات) إعداد: موزة أحمد راشد الصبار، الإسكندرية- مصر، طبع عام ٢٠٠٥م، ص ٧٥-٧٦

(assault) عندما يعتدي شخص على آخر ويحدث به إصابة أو عاهة، والاعتصاب (rape)، والسرقة بالإكراه (robbery). كما قد يشير مفهوم العنف بمعناه الضيق إلى مهاجمة شخص معين لآخر بهدف إلحاق الضرر به دون أن يترتب على ذلك القتل أو إحداث إصابة أو عاهة، كما في حالة الصفع على الوجه (اللطم)، أو الركل بالقدم (الرفس)، أو الدفع بقوة، أو الضرب بشيء معين، أو إساءة المعاملة.^(١)

ومما تقدم تتضح الخصائص الرئيسة لمفهوم العنف.. والتي أهمها ما يلي:

١- إن المعتدي يتعمد إلحاق الأذى والضرر بالضحية سواء كانت فرداً أم عدة أفراد.

٢- يتفاوت العنف ضيقاً وسعة، فقد يكون بسيطاً كممارسة العنف اللفظي ضد المعتدى عليه، وقد يكون خطيراً كالقتل أو التسبب بإعاقة مزمنة.

٣- إن العنف قد يوجه للأشخاص، وقد يطال الممتلكات المنقولة وغير المنقولة، وفي كلتا الحالتين يُصاب المستهدف بأضرار مختلفة.

٤- قد يكون العنف ذو طبيعة مادية ومباشرة، أو غير مباشرة، وقد يكون ذو طبيعة معنوية كالتشهير والتسقيط المعنوي والاعتباري.

٥- تختلف الدوافع الكامنة وراء العنف من معتد لآخر، فقد تكون دوافع نفسية أو اجتماعية أو أخلاقية أو تربوية.. إلخ.

٦- قد يكون المعتدي يمارس العنف للتعبير عن شعوره بالإحباط الذي يعانیه، أو لتفريغ شحنات التوتر والانفعال عنده، وقد يكون بهدف وسيلي يأمل المعتدي فيه إرغام الضحية على القيام بأفعال معينة أو إكراهه على تعديل أنماط سلوكية محددة.

ويبقى العنف في كل حالاته غير الشرعية مداناً وغير مقبول شرعاً وقانوناً، ومرفوض عقلاً ومنطقاً.

(١) الأسرة ومشكلة العنف عند الشباب، د. طلعت إبراهيم لطفي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبوظبي - الإمارات، الطبعة الأولى ٢٠٠١ م، ص ٩-١٠.

ثانياً - مفهوم العنف الأسري:

توجد تعريفات متعددة لمفهوم العنف الأسري، ولعل من المفيد الإشارة إلى بعضها لمعرفة ما فيها من توافق أو اختلاف.

يرى (Thomas, 2002 & Pierson) أن مصطلح العنف العائلي يعني غالباً الإساءة البدنية والجنسية والنفسية التي تتعرض لها الزوجات من قبل أزواجهن، وأن من أهم مظاهر هذه الإساءة العزلة الاجتماعية، والتهكم والسخرية والإهانة، والحرمان الاقتصادي، والضرب، بينما يرى آخرون أن مصطلح العنف العائلي ليس مصطلحاً دقيقاً لوصف ظاهرة العنف ضد الزوجات، فهو يشمل جميع أنواع الأفعال الخطيرة والعنيفة التي ترتكب من الرجال ضد النساء بشكل عام فهي ليست خاصة بالعنف الواقع بين الزوجين فقط، بل تشمل جميع أنواع العلاقات بين الرجل والمرأة، وبالتالي فهم يفضلون استخدام مصطلحات أخرى أكثر دقة للدلالة على العنف الذي يرتكبه الأزواج ضد زوجاتهم، من ذلك مصطلحات إساءة معاملة الشريك، والعنف الزوجي، وإساءة معاملة الزوجة، والزوجة المعتدى عليها أو المضروبة، فهذه المصطلحات أكثر دقة في وصف ظاهرة العنف ضد الزوجات.

ويرى اليحيا (١٤٢٣هـ) أن العنف العائلي هو محاولة التسلط وفرض السيطرة وبعث الخوف باستخدام العنف أو أي وسيلة أخرى من الإيذاء، حيث يمارس المعتدي سيطرته باستخدام العنف الجسدي، أو الإيذاء المعنوي أو الجنسي، أو الضغط الاقتصادي أو العزل أو التهديد أو الإكراه أو إساءة معاملة الأطفال، ويرى الباحث أن الهدف الرئيس للعنف هو فرض القوة والسيطرة.

ويفضل آخرون استخدام مصطلح العنف الأسري للدلالة على مجموعة مختلفة ومتنوعة من العلاقات القائمة على العنف والتي تنشأ بين أفراد الأسرة الواحدة، بما في ذلك العنف ضد الزوجات، والعنف ضد النساء، والعنف ضد الأطفال، والعنف ضد المسنين، والعنف ضد الأقرباء بشكل عام، وفي هذا الصدد

يشير (Davis , 1995) إلى أن مصطلح العنف الأسري لم يستخدم إلا في بداية السبعينيات لتعريف مشكلة إساءة معاملة الزوجات، ثم اتسع تعريفه ليشمل أنواعاً عديدة من صور العنف التي تحدث داخل الأسرة الواحدة.

من هنا تعرف (فاطمة أمين) العنف الأسري بأنه «كل فعل يصدر عن أحد أو بعض أعضاء النسق الأسري نحو بعضهم البعض أو الآخرين بهدف إلحاق الأذى أو الضرر المادي أو المعنوي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وبشكل واضح أو مستتر مع ردودهم ومتعلقاتهم، ويظهر العنف الأسري في عدة مستويات: عنف خاص بمستوى العلاقة بين الزوجين، وعنف خاص بمستوى العلاقة بين الأبناء، وعنف خاص بمستوى العلاقة بين الأبناء والآباء.

ويعرف العنف الأسري أيضاً بأنه: «أحد أنماط السلوك العدواني الذي ينتج عن وجود علاقات قوة غير متكافئة في إطار نظام تقسيم العمل بين الرجل والمرأة داخل الأسرة، وما يترتب على ذلك من تحديد لأدوار كل فرد من أفراد الأسرة ومكانته، وفقاً لما يمليه النظام الاقتصادي والاجتماعي السائد في المجتمع (عبد الوهاب، ١٩٩٤م).

أما (التير، ١٩٩٧م) فيرى أن العنف داخل الأسرة هو أحد أهم أنواع العنف من حيث القدم والانتشار، وأن مؤشرات قياس هذا العنف قد طورت لتضم الضرب بأنواعه بما فيها البسيط، والتهديد بالضرب، والحذف بشيء حاد، والتهديد باستخدام الأدوات المختلفة. بما في ذلك السكاكين والأسلحة، والاستخدام الفعلي لهذه الأدوات، والطرده، وحبس الحرية، والحرمان من الحاجات الضرورية، والإرغام على القيام بأفعال ضد الرغبة الخاصة، والشتم والتوبيخ.

أما المنظمة العالمية للصحة التي تبني مرجعية حقوق الإنسان فقد عرفت العنف الأسري في تقريرها حول العنف والصحة لسنة ٢٠٠٢م، بأنه: كل سلوك يصدر في إطار علاقة حميمة، يسبب ضرراً وآلاماً جسمية أو نفسية أو جنسية لأطراف تلك العلاقة، ويتعلق الأمر مثلاً بالتصرفات التالية: أعمال الاعتداء الجسدي

كاللكمات والصفعات والضرب بالأرجل، وأعمال العنف النفسي كاللجوء إلى الإهانة والحط من قيمة الشريك، وإشعاره بالخجل، ودفعه إلى الانطواء وفقدان الثقة بالنفس، وأعمال العنف الجنسي كالاتصال الجنسي المفروض تحت الإكراه، وضد رغبة الآخر، ومختلف الممارسات الجنسية التي تحدث الضرر لطرف العلاقة، والتصرفات السلطوية المستبدة والجائرة، كعزلة الشريك عن محيطه العائلي وأصدقائه، ومراقبة حركاته وأفعاله، والحد من أي إمكانية لحصوله على مساعدة أو على معلومات من مصدر خارجي (الرازي، ٢٠٠٤م).

ويرى عوض (٢٠٠٤م) أن العنف الأسري يتخذ أنماطاً وأشكالاً متعددة منها ضرب الزوجة، وضرب الزوج، والضرب المتبادل بين الزوجين، وإيذاء الأطفال بدنياً ونفسياً وجنسياً، وإيذاء كبار السن، وجرائم القتل الأسري.

ويعرف الشرجبي (٢٠٠٤م) العنف الأسري بأنه كل فعل يمثل تدخلاً خطيراً في حرية الآخر وحرمانه من التفكير والرأي والتقرير والسلوك، وتحويل الآخر إلى وسيلة أو أداة لتحقيق أهدافه دون أن يعامله كعضو حر وكفء.

ويشير الجبرين (١٤٢٥هـ) إلى أن مفهوم العنف الأسري يتأثر بمجموعة من العوامل أهمها: الثقافة السائدة في المجتمع، ومفهوم الأسرة وتكوينها، والفهم الواضح للدين والقانون والعرف السائد، وبعملية التنشئة الاجتماعية، واستناداً إلى ذلك يؤكد الباحث على أهمية النظر إلى الخصائص والسمات التي تتضمنها سلوك العنف والضرر الذي يقع على الضحية بدلاً من محاولة تعريف العنف الأسري، وقد أشار الباحث إلى أن توافر هذه الخصائص في السلوك يدل على وجود العنف داخل الأسرة، أما الخصائص التي ذكرها فتتلخص في التالي:

١- إلحاق الأذى والضرر بأحد أفراد الأسرة.

٢- الضرر قد يكون مادياً أو معنوياً.

٣- صادراً من أحد أفراد الأسرة.

٤- وقع على عضو آخر في الأسرة.

٥- أن يكون متعمداً ومقصوداً.^(١)

ويمكن تعريف العنف المنزلي (الأسري) بأنه سلوك يتسم بالعدوانية يصدر عن الزوج تجاه الزوجة أو الطفل بهدف الهيمنة والسيطرة وإخضاعهما في ظل علاقة قوة غير متكافئة اقتصادياً وبدنياً ونفسياً؛ مما يتسبب ذلك إلى إحداث أضرار جسمية أو نفسية تلحق بهم، وعلى هذا يشير مفهوم العنف في الأسرة إلى تعمد الإضرار بالمرأة أو الطفل وقد يكون شكل هذا الضرر مادياً من خلال ممارسة القوة الجسمية بالضرب والركل والدفع وغيرها، أو معنوياً من خلال تعمد الإهانة النفسية بالسب أو الشتائم، أو التجريم أو الازدراء، والتقليل من الشأن والأهمية للضحية، والعزلة والاعتداء الجنسي عليهم.

وبتعبير آخر هو عبارة عن أي تهديد أو إساءة جسمية أو نفسية أو جنسية تتم بين أعضاء الأسرة، فهو سلوك يرمي عن قصد وعمد من المعتدي إلى إلحاق الأذى والضرر بالضحية. ويحدث العنف الجسدي والنفسي بين أعضاء الأسرة أكثر من حدوثة بين الأفراد الآخرين، وأن العنف الأسري يكاد يكون موجوداً في أغلب الإسر تقريباً.^(٢)

والعنف الأسري هو أنماط سلوك هجومية، أو قهرية ضد الآخرين مصحوبة بانفعالات الانفجار والتوتر.

العنف الأسري: هو أنماط سلوك هجومية، أو قهرية تشمل: الإيذاء الجسدي، الاعتداء الجنسي، الإساءة النفسية، الاستغلال الاقتصادي من قبل البالغين أو المراهقين ضد شركائهم بالأسرة.

(١) العنف الأسري: دراسة ميدانية على مستوى المملكة العربية السعودية، د. عبدالله بن عبد العزيز

اليوسف وآخرون، وزارة الشؤون الاجتماعية، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ -

٢٠٠٥ م، ص ١٤ - ١٧

(٢) إساءة معاملة الطفل.. النظرية والعلاج، د. طه عبد العظيم حسين، دار الفكر، عمان - الأردن،

الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٨ م، ص ٢٨.

الشريك بالأسرة: هو (الزوج الحالي أو السابق، الأبناء، آباء الزوجين، أقارب يسكنون مع الأسرة) يشمل العنف الأسري إساءة معاملة الأطفال، العنف ضد المرأة.

الضحايا: هو تعبير يصف الأشخاص الذين تعرضوا للعنف الأسري^(١).

وعرفت الموسوعة العربية العالمية العنف المنزلي بأنه: يشير إلى سوء المعاملة الجسدية أو الجنسية أو العاطفية أو النفسية التي تحدث بين الأزواج والأزواج السابقين وغيرهم من الراشدين الذين ربطت بينهم سابقاً، أو تربط بينهم حالياً علاقات حميمة. ويميز العديد من الخبراء بين العنف المنزلي وسوء المعاملة التي يتعرض لها كبار السن أو الأطفال. وقد يلجأ كل من الرجال والنساء إلى استخدام العنف أحدهما ضد الآخر، ولكن من المرجح أن تتعرض النساء بصورة أكثر من الرجال للإصابة أو القتل من قبل شركائهم.

يخلف العنف المنزلي تأثيرات طويلة الأمد على الضحايا وأسرهم. فقد يلجأ الضحايا إلى استخدام الكحول أو العقاقير ويكونون عرضة للإصابة بالاكتئاب، أو أمراض الجهاز الهضمي، أو غيرها من أنواع الألم النفسي. وفي غياب الوازع الديني كما في الغرب مثلاً، يفكر ضحايا العنف المنزلي في الانتحار، أو يشرعون فيه، بصورة تفوق غيرهم من الضحايا. ويعاني الأطفال الذين يشهدون العنف المنزلي في الغالب من آلام عاطفية ونفسية، ويكونون معرضين أكثر من غيرهم من الأطفال لتبني أسلوب العنف وممارسته.

وعلى مدى سنوات طويلة، اعتبر معظم علماء الاجتماع وفقهاء القانون وغيرهم من الخبراء، العنف المنزلي «أمرًا خاصًا». ولكن معظم الخبراء اليوم يجمعون على أنه مشكلة اجتماعية خطيرة. وتسهم العديد من المرافق الخدمية في الغرب في منع ومعالجة العنف المنزلي، ويشمل ذلك الملاجئ المخصصة لإيواء

(١) دليل إرشادي للتعامل مع العنف الأسري، د. محمد أبو عليا، مركز التوعية والإرشاد الأسري، الزرقاء- الأردن، طبع عام ٢٠٠٢م، ص ٩.

النساء اللائي تعرضن للضرب. وتوفر هذه الملاجئ مدى واسعاً من البرامج تشمل المساعدة والمشورة القانونية للضحايا وأطفالهن.

ومنذ الثمانينيات، بدأت الولايات المتحدة الأمريكية الخمسون في تطبيق قوانين تنص على أن العنف المنزلي والعنف ضد النساء، جرائم يعاقب عليها القانون. وقد سهلت القوانين للنساء أمر الحصول على أوامر مقيدة، وهي أوامر تصدرها المحكمة بقصد منع المعتدين من الاتصال المباشر بالضحاياهم. كما أن العديد من الولايات أيضاً تطلب من ضباط الشرطة القاء القبض على المعتدين في حالة حدوث عنف منزلي. وقد أجازت الحكومة الفيدرالية قانون العنف ضد النساء في عام ١٩٩٤م، وهو قانون يمنح اعتمادات مالية للولايات والحكومات المحلية لإنشاء برامج وإقامة ملاجئ للنساء اللائي يتعرضن للضرب. ويعرّف القانون أيضاً المطاردة (تهديد وتعقب ومضايقة الضحية على نحو متكرر) بوصفها جريمة.

ليس هناك سبب واحد يمكن أن يُعزى له العنف المنزلي. فالعديد من المعتدين لديهم تاريخ طويل في معاقرة الكحول أو سوء استعمال العقاقير. ويعاني بعضهم من الضغط النفسي الناتج عن البطالة، والمشاكل الجنسية، وتدني الرضا الوظيفي. ويعاني أكثر المعتدين إيذاء في العادة من مشاكل عاطفية حادة. كما أن العديد من المعتدين تعرضوا للمعاملة السيئة عندما كانوا أطفالاً.

هناك العديد من البرامج المتاحة لمعالجة الأشخاص الذين يتورطون في أعمال العنف المنزلي. ويطلب القضاة في الغالب من الرجال الذين اعتدوا على زوجاتهم، حضور هذه البرامج كشرط من شروط الحكم الصادر ضدهم.

أصبحت الحياة الأسرية في الإسلام حياة سكيّنة ومودة ورحمة. قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١).

(١) سورة الروم، الآية: ٢١.

وحدد الإسلام حقوقاً مشتركة للزوجين وحقوقاً منفردة لكل واحد منهما على حدة. وأمر بتأديب الزوجة عند النشوز. قال تعالى: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾^(١).

والضرب هنا للتأديب وليس من العنف المنزلي. ونشوز الزوجة هو عصيان الزوج وعدم طاعته أو امتناعها عن فراشه، أو خروجها من بيته بغير إذنه. ولا تضرب الزوجة لأول نشوزها، وعليه أن يتجنب الوجه والمواضع المؤذية، وأن يكون ضرباً غير مبرح، وإلا فإن الإسلام شرع الطلاق تغليباً لمصلحة الزوجين^(٢).

وبعد استعراض هذه التعريفات المتنوعة عن العنف الأسري أستطيع أن أعرفه بأنه: استخدام الإيذاء سواء كان باليد أو باللسان، بالفعل أو بالقول ضد الزوجة من قبل الزوج، أو ضد الزوج من قبل الزوجة أو من أحدهما ضد الأولاد، أو منهم ضد الوالدين أو أحدهما.

ثالثاً- مفهوم الأسرة:

١- الأسرة في اللغة: -بالضم- الدرع الحصينة، ومن الرجل: الرهط الأذنون^(٣). وأسرة الرجل: رهطه لأنه يتقوى بهم^(٤).

٢- الأسرة عند علماء الاجتماع: اختلف العلماء حول تحديد مفهوم الأسرة، إذ يرى بعض علماء الاجتماع أن الأسرة هي الجماعة القرابية التي عن طريقها يتم تربية الأبناء وقضاء بعض الاحتياجات الإنسانية المحددة. ويرى بعض العلماء أن

(١) سورة النساء، الآية ٣٤.

(٢) الموسوعة العربية العالمية، حرف العين.

(٣) معجم القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ص ٤٧، حرف الألف.

(٤) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، ص ١٨، حرف الألف.

الأسرة بناء اجتماعي يتكون من جماعة من الناس الذين يرتبطون عن طريق روابط الدم، أو الزواج، أو التبني. ويذهب بعض العلماء، إلى أن الأسرة هي جماعة دائمة نسبياً من الناس الذين يرتبطون عن طريق سلسلة من النسب والزواج، أو التبني، والذين يعيشون معاً، ويشكلون وحدة اقتصادية، ويدي أعضاءها البالغون مسؤولية نحو الصغار. وقد يعرف بعض العلماء الأسرة بأنها جماعة تتكون من زوج وزوجة وأطفالهما أو بدون أطفال، ويؤدون بعض الوظائف بشكل مستقل داخل شبكة القرابة الواسعة.

ويتضح من التعاريف السابقة للأسرة، أن بعض العلماء يجمع بين الزواج والإنجاب. إذ أنه من الشائع بين شعوب العالم أن المتوقع من الزواج أن يؤدي إلى تكوين الأسرة ومن ثم تعتبر الأسرة نتيجة للزواج. بل أن البعض يرى أن الزواج الذي لا تصاحبه ذرية لا يكون أسرة. ومن القواعد العامة سواء عند البدائيين أو في المجتمعات الحديثة أن مثل هذا الزواج العقيم من السهل جداً أن تنفصم عراه، وهذا ما جعل كلاً من العرف والقانون يميز تمييزاً اجتماعياً هاماً بين الزواج الذي لم يأت بأطفال وبين ذلك الذي أنتج أطفالاً.

ومن جهة أخرى، يتضح من بعض التعاريف السابقة للأسرة، أن هناك من العلماء من لا يشترط وجود الأطفال كشرط لتكوين الأسرة. فالأسرة تتكون على الرغم من عدم إنجاب الأطفال. ويؤكد ذلك ما ذهب إليه (أوجبرن) (w.Ogburn) عندما عرف الأسرة بأنها رابطة اجتماعية من زوج وزوجة وأطفالهما أو بدون أطفال، أو من زوج بمفرده مع أطفاله، أو زوجة بمفردها مع أطفالها. ومن ثم يتضح لنا أن أوجبرن كان واقعياً عندما اعتبر أن الزوج والزوجة حتى إذا لم ينجبا أطفالاً يكونان أسرة^(١).

وَعَرَّفَ بعض علماء الاجتماع الأسرة بأنها: جماعة تحدد لها علاقة جنسية

(١) مدخل إلى علم الاجتماع، د. طلعت إبراهيم لطفي، مكتبة غريب، القاهرة - مصر، ص ١٧٥

محكمة، وعلى درجة من قوة التحمل تمكنها من إنجاب الأطفال وتربيتهم. وتختص الأسرة - حسب هذا الرأي - بالزوجين اللذين تحددهما العلاقة الجنسية، ولا تشمل غيرهما، ولكن (مردوك) وسع مفهوم الأسرة فجعلها شاملة للأبناء قال: العائلة وحدة اجتماعية تتصف بالإقامة المشتركة، والتعاون الاقتصادي، ومسؤولية الإنجاب وهي تضم كحد أدنى شخصين راشدين من الجنسين، وطفلاً واحداً على الأقل منحدرًا من علاقتهما الزوجية كأب وأم. وأكد هذا المعنى الكثيرون من علماء النفس فذهبوا إلى أن الأسرة تتكون من الزوجين والأطفال، وعلى هذا الرأي فلا تشمل سائر الأرحام^(١).

فالأسرة: هي مؤسسة اجتماعية تتأسس بعقد الزواج الشرعي، ومسؤولة عن رعاية وتنشئة الشركاء بها.^(٢)

وفي تعريف آخر للأسرة: هي المؤسسة الاجتماعية التي تنشأ من اقتران رجل وامرأة يرمي إلى إنشاء اللبنة التي تسهم في نواة طبيعية للمجتمع، ولها أركان أساسية هي الزوج، الزوجة، الأبناء والآباء.^(٣)

ونجد أن هناك عدة أشكال للأسرة، منها الأسرة النووية (Nuclear family)، وتتكون الأسرة النووية من الزوج والزوجة وأبناهما غير المتزوجين، والأسرة الممتدة (Extended family) التي تتكون من الأسرة النووية بالإضافة إلى المتزوجين من الأبناء مع أبناهم، وغيرهم من الأقارب، وبذلك تتكون الأسرة الممتدة من بعض الأقارب - من أجيال مختلفة - يعيشون معاً.

(١) نظام الأسرة في الإسلام، باقر شريف القرشي، دار الأضواء، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ص ١٨.

(٢) دليل إرشادي للتعامل مع العنف الأسري، د. محمد أبو عليا، مركز التوعية والإرشاد الأسري، الزرقاء - الأردن، طبع عام ٢٠٠٢م، ص ٩.

(٣) العنف الأسري في ظل العولمة، د. عباس أبو شامة عبد المحمود، ود. محمد الأمين البشري، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض - السعودية، طبع عام ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص ١٣.

ويتمى الفرد عادة إلى نمطين من أنماط الأسرة؛ أحدهما أسرة التوجيه (Family of Orientation)، وهي الأسرة التي ينشأ فيها الفرد، وتتكون من الفرد والآباء والإخوة، أما النمط الثاني من أنماط الأسرة، فيطلق عليه أسرة الإنجاب أو التناسل (Family of Procreation)، وتتكون من الفرد وزوجته وأبنائه. وقد يطلق بعض علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا على هذه الأسرة اسم الأسرة الزوجية.

وقد تم تعريف الأسرة في هذه الدراسة - تعريفاً إجرائياً - على أنها تعني الأسرة التي يقيم معها الفرد، سواء أكانت أسرة نوية تتكون من الزوج والزوجة والأبناء غير المتزوجين، أم أسرة ممتدة تتكون من بعض الأقارب - من أجيال مختلفة - يعيشون معاً، وتتكون عادة من أعضاء الأسرة النووية، بالإضافة إلى المتزوجين من الأبناء مع أبنائهم، وغيرهم من الأقارب الذين يعيشون معاً معيشة واحدة مستقلة.^(١)

٣- الأسرة في الإسلام: ليس للإسلام رأي خاص في تحديد الأسرة بل ولا في غيرها من سائر الموضوعات الخارجية، وإنما تابع للغة والعرف العام فيها - كما يقول علماء الأصول - وعلى هذا فالأسرة شاملة للزوجين والأبناء والأرحام، وبهذا المعنى الشمولي قد سنّ لكل فرد تجاه أسرته حقوقاً ومسؤوليات أدبية واقتصادية جعله مسؤولاً عن رعايتها والقيام بها.^(٢)

لكن هذه الدراسة تركز على مفهوم الأسرة بالمعنى الخاص وهو ما يشمل الزوج والزوجة والأطفال دون باقي الأرحام والأقارب، حيث تشير إلى العنف الموجه لأعضاء الأسرة بالمعنى الخاص لمفهوم الأسرة.

ومفردة الأسرة تشير إلى انسجام تام بين الزوج والزوجة والأولاد، وإلى ترابط وتعاطف ومحبة ومودة بين هذا النسيج الأسري الجميل ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ

(١) الأسرة ومشكلة العنف عند الشباب، ص ٧ - ٨.

(٢) نظام الأسرة في الإسلام، باقر شريف القرشي، دار الأضواء، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى

١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ص ١٨.

لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴿١﴾.

ولكن عندما يضاف إلى مفردة الأسرة مفردة العنف (العنف الأسري) فإن ذلك يشير إلى وجود صراع وتصادم بين أفراد الأسرة، وإلى خلل واضح في النسيج العائلي، وهذه الظاهرة المقلقة هو ما تحاول هذه الدراسة تسليط الأضواء على أبعادها المختلفة.

الفصل الثاني

ظاهرة العنف الأسري وأنواعه

حجم مشكلة العنف الأسري

تشير الأرقام والإحصائيات إلى كبر حجم مشكلة العنف الأسري في العالم العربي، بل وفي كل العالم، وتحولها إلى ظاهرة عالمية، كما تؤثر إلى تزايد حالات العنف ضد الأطفال والزوجات في مختلف أنحاء العالم؛ ومنه العالم العربي، ففي الأردن شهد عام ١٩٩٨ م حوالي ٢٧٠ حالة إساءة جسدية وجنسية وإصابات للأطفال، وكثير من هذه الاعتداءات أسرية، وفي عام ١٩٩٩ م سجلت ٥٢٢ حالة، وفي عام ٢٠٠٠ م سجلت ٦١٣ حالة.

وفي اليمن تم تقدير حجم ظاهرة العنف الأسري بحوالي ٢٠٪ من حجم جرائم الآداب العامة التي تخص قضايا الأسرة في عام ١٩٩٩ م. وفي الكويت شهد عام ٢٠٠٢ م نمواً ملحوظاً في معدلات جرائم العنف الأسري ضد الأطفال والنساء. أما في مصر فإن ٦٥٪ من الجرائم التي ترتكب ضد الطفل أسرية، وتبلغ نسبة جرائم قتل الأطفال ٤٤٪ من الجرائم السنوية ضد الطفل، وحوادث الاعتداء الجنسي ١٨٪، والاختطاف ٢١٪، والتعذيب ٨٪، والضرب ٧٪.

وتشير إحصائية للمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بمصر إلى أن ٨٧٪ من مرتكبي جرائم العنف الأسري ضد الأطفال والنساء هم من المتزوجين، في مقابل ١٣٪ من غير المتزوجين، وأن الذكور يشكلون أغلبية مرتكبي جرائم العنف الأسري بنسبة ٧٨٪، بينما الإناث ٢٢٪.^(١)

(١) موقع إسلام أون لاين - موضوع: العنف الأسري يهدد المستقبل العربي، شريف حموده.

وفي السعودية أوضح تقرير ضمن دراسة ميدانية للشؤون الاجتماعية استعرض الحالات التي وردت لشرط مناطق المملكة حول حالات العنف الأسري للأعوام ١٤٢٠هـ إلى ١٤٢٤هـ، أن حالات العنف في تزايد، حيث وصلت حالات العنف المبلغ عنها لعام ١٤٢٤هـ مقارنة بالأعوام الأخرى إلى ٤١٦ حالة.

وأشار التقرير إلى أن أعلى حالات عنف مقارنة بالأعوام السابقة هي اعتداء الزوج على زوجته وهو أكثر حالات العنف للسنوات الأربع المشار إليها. كما يشير التقرير إلى أن مكة المكرمة احتلت أعلى حالات العنف لعام ١٤٢٠هـ، حيث بلغت الحالات ٨٧ حالة تليها الرياض ٤٨ حالة. كما أن منطقة مكة المكرمة احتلت أعلى الحالات المتمثلة في اعتداء الزوج على زوجته بعدد ٥٣ حالة، تليها منطقة الرياض بعدد ٢١ حالة في حين كانت في الشرقية ١٤ حالة.^(١)

وأوضح الرئيس التنفيذي لدار الحماية [في جدة] أن الدار استقبلت ٨٠٠ حالة منذ تأسيسها قبل ما يقارب عامين، غالبيتها عولجت خلال ٢٤ ساعة من لجنة إصلاح ذات البين، ومنها حالات لا تزال تقيم في الدار لصعوبة الصلح بين الحالة وذويها عددها ٩٦ حالة، نسبة السعوديات منهن ٧٠ في المئة، في حين يبلغ عدد الأطفال المعنفين في المركز ١٥٠ طفلاً وطفلة، تتراوح أعمارهم بين سنة و ١٢ عاماً.

وأضاف «إن غالبية القضايا والمشكلات التي ترحل للدار هي قضايا عنف أسري، تصل عن طريق المستشفيات ومراكز الشرطة»^(٢).

وفي إحصائية أخرى أشارت إلى حدوث ٢١ حالة عنف في المنطقة الشرقية خلال سبعة أشهر من عام ٢٠٠٨م إذ كشفت رئيسة فريق الحماية من العنف الأسري

(١) صحيفة اليوم، الدمام - السعودية، الأحد ١٣ / ٥ / ١٤٢٩هـ الموافق ١٨ / ٥ / ٢٠٠٨م، العدد ١٢٧٥٦، السنة الأربعون.

(٢) صحيفة الحياة، السبت ٢ أغسطس ٢٠٠٨م الموافق ١ شعبان ١٤٢٩هـ، العدد ١٦٥٥٦، الصفحة الأولى.

والإيذاء في المديرية العامة للشؤون الصحية في المنطقة الشرقية الدكتور هدى العيوني، عن وجود ٢١ حالة تعرضت للعنف خلال العام الجاري، وأجري كشف طبي عليها في مستشفى الولادة والأطفال في الدمام. وأبانت العيوني أن «ثمانى حالات منها، لأطفال (ذكور وإناث)، يبلغ عمر أصغرهم عاماً واحداً، وأكبرهم ١٦ عاماً»، مشيرة إلى أن بعضهم «تعرضوا لاعتداء وتحرش جنسي من المحارم، أو أشخاص مجهولين، أو حروق بالسجائر، وضرب وإيذاء جسدي، و١٣ حالة عنف ضد النساء، منهن تسع سعوديات، إضافة إلى عاملات منزليات من جنسيات مختلفة، وبعضهن تعرض للاعتداء الجنسي والجسدي والضرب العنيف من أحد الأقارب، أو الزوج، أو من أشخاص مجهولين»^(١).

وفي دراسة جديدة استقبل مستشفى واحد في مدينة الرياض ٣٠ أنثى تعرضن للعنف خلال خمسة أشهر بحسب دراسة أجريت أخيراً.

وأوضحت المدير التنفيذي لبرنامج الأمان الأسري الدكتور مها المنيف خلال المؤتمر الأول لمناهضة العنف ضد المرأة الذي عقد في جامعة الملك سعود، أن دراسة ميدانية على مدى خمسة أشهر أجريت في أحد مستشفيات الرياض بيّنت أنه يستقبل حالة عنف ضد المرأة على الأقل كل ٥ أيام، مشيرة إلى أن الدراسة توصلت إلى أن متوسط عمر الضحايا ٣٤ عاماً و ٢٥ في المئة منهن حوامل، ونصف حالات الاعتداء من الزوج، ومتوسط سنوات الإيذاء والاعتداء يزيد على ٧ سنوات.

ولفتت إلى أن حالات عنف كثيرة لا يتم الإبلاغ عنها باختيار المرأة التي يغلبها خوفها أو خجلها من مواجهة المجتمع. وقالت: «بعض الضحايا يشعرون في بعض الأحيان بالذنب وأنهن سبب وقوع الاعتداء، وفي تلك الحالات يفضلن عدم الإبلاغ».

(١) صحيفة الحياة، الخميس ١٤ أغسطس ٢٠٠٨م الموافق ١٣ شعبان ١٤٢٩هـ، العدد ١٦٥٦٨، ص ٤.

ولفتت إلى أن العنف ضد المرأة موجود في كل بلدان العالم وأن السعودية ليست استثناء، خصوصاً أن العنف ضد المرأة لا يقتصر على فئة اجتماعية معينة، بل يحدث في الطبقات والأطياف كافة.^(١)

وأشارت دراسة حديثة إلى احتلال مدينة الرياض المرتبة الأولى في ممارسة العنف ضد الأطفال بنسبة ٥١ في المئة، تليها مدينة جدة بنسبة ٢٠ في المئة، وجاءت الأحياء الشعبية في مقدمة الأحياء التي يسكنها الأطفال الذين تعرضوا للعنف بنسبة ٥٥ في المئة، فيما شكلت الأحياء المتوسطة ٣١ في المئة والأحياء الراقية خمسة في المئة.

وأكدت الدراسة أن الآباء الأميين أكثر ممارسي العنف ضد أبنائهم بمعدل وصل إلى ٧٠ في المئة، في حين بلغت نسب الحاصلين على الابتدائية إلى ٢٤ في المئة، والحاصلين على المؤهل الثانوي والجامعي ٤، ١ في المئة.

وقالت إن الإناث معرضات للعنف داخل أسرهن أكثر من الذكور ونسبة ٤، ٧٨ في المئة، في حين بلغت نسبة عنف الآباء ضد أبنائهم ٥، ٣٦ في المئة والأمهات ٤، ٣٢ في المئة، والإخوة ٨، ٦ في المئة.^(٢)

وأشارت إحصائية نشرتها صحيفة عكاظ السعودية إلى تسجيل ١٩٧٠ حالة عنف وإيذاء خلال عام ١٤٢٩هـ، إذ باشرت وزارة الشؤون الاجتماعية ١٩٧٠ قضية إيذاء وعنف العام ١٤٢٩هـ، ليرتفع معدل القضايا المسجلة في إدارة الحماية الاجتماعية إلى ٢٨٩٠ حالة منذ إنشائها قبل أربعة أعوام - ربيع أول ١٤٢٦هـ - . وسجلت قضايا الإناث العام الماضي [١٤٢٩هـ]، النسبة الأكبر بنحو ٩٥٣ قضية، فيما للذكور ١٢٦ قضية.^(٣)

(١) صحيفة الحياة، الثلاثاء ٢٥ أكتوبر ٢٠٠٨م الموافق ٢٧ ذو القعدة ١٤٢٩هـ، العدد ١٦٦٧١، ص ٩.

(٢) صحيفة الحياة، الثلاثاء ٢٣ ديسمبر ٢٠٠٨م الموافق ٢٥ ذو الحجة ١٤٢٩هـ، العدد ١٦٦٩٩، ص ١١.

(٣) صحيفة عكاظ، الأحد ١٣/٠٢/١٤٣٠هـ، الموافق ٠٨/ فبراير/ ٢٠٠٩ العدد: ٢٧٩٣.

وفي أحدث دراسة نشرتها صحيفة عكاظ أيضاً أجريت على مستوى المملكة تعرض ٢٨ في المائة من النساء المعنفات للاغتصاب الجسدي، و٢٥ في المائة للتحرش اللفظي، بينما يتعرض ٤٧ في المائة للبطش من الأزواج الأقارب. وأوضحت الدراسة التي أجراها أستاذ الخدمة الاجتماعية في كلية المجتمع في جامعة الملك سعود الدكتور سعد الجاسر احتلال العنف اللفظي للمرتبة الأولى في جميع مناطق المملكة بنسبة بلغت ٨٤ في المائة. وأوضح الجاسر في دراسته أن أبرز ملامح العنف اللفظي تمثلت في التوبيخ الشديد بنسبة ٨٤ في المائة، فيما حل الشتم واللعن ثانياً بنسبة ٧٨ في المائة، وحل بعدها الاستهزاء والتحقير وسب أهل الزوجة وكذلك سب وشتم الزوجة أمام الآخرين بالتحقير، والإهانة وتهديد الزوجة بالطلاق، بالإضافة لتهديدها بالزواج من أخرى بنسب متفاوتة.

وبينت الدراسة أساليب تعنيف مثل إكراه الزوجة على الجماع وهي غير راغبة بنسبة ٣٠ في المائة، ودفع القريبات للبقاء من أجل الكسب المادي ١٤ في المائة، والتسجيل والتصوير الفاضح ٣٨ في المائة، والتعري ونزع الملابس ٢٥ في المائة.

وأكدت الدراسة أن العنف الاجتماعي تصاعد في الأوساط السعودية، ويتمثل في عضل البنات بنسبة ٥٠ في المائة، وإعاقة القريبات عن العمل ٤١ في المائة، وتعليق الزوجة وعدم تطبيقها لإذلالها ٧٣ في المائة، ومنع المطلقة من رؤية أبنائها ٥٨ في المائة، ومنع المرأة الخروج من المنزل وزيارة الأقارب ٤٣ في المائة.

وشملت الدراسة العنف النفسي الذي يتضمن تخويف أحد أفراد الأسرة ٤٣ في المائة، هجر الزوجة لإيذائها نفسياً ٤٤ في المائة، إقامة الزوج علاقة محرمة مع نساء ٤١ في المائة، واحتقار الزوج لزوجته أمام أهله ٣٩ في المائة^(١).

وبحسب صحيفة عكاظ أيضاً و«وفقاً لإحصائيات وزارة الداخلية، فإن

(١) صحيفة عكاظ، السبت ١١/٠٧/١٤٣٠هـ، الموافق ٠٤/ يوليو/ ٢٠٠٩ العدد: ٢٩٣٩

حالات العنف الأسري شكلت ٨٢ في المائة من حوادث عام ١٤١٨ هـ في منطقة الرياض فقط أي بما يعادل ١٤٠٦ حالات إعتداء، وخلال السبع سنوات الماضية من عام ١٤١٥ هـ بلغت حالات العنف ٤٥٢٨ حالة بزيادة ٤٠٠ في المائة، فيما بلغت الحالات التي استقبلتها مدينة الملك عبد العزيز الطبية العام الماضي ٤٦ حالة تضررت من العنف الأسري. وأوضحت مديرة الإشراف الطبي الدكتورة عذراء العقيل، أن الأطفال من أكثر الفئات تعرضاً للعنف الأسري والإهمال، لا سيما العنف العاطفي، الذي يتعرض له ٣٣ في المائة من الفتيات و٦٧ في المائة من الأولاد خلال مرحلة رياض الأطفال، كما أن ٢٢ في المائة من الأطفال يتعرضون للتحقير في المدارس.

وأشار استطلاع حول تحقير الطالبات في المدارس إلى قيام بعض المعلمات بتصرفات لا تليق بمكانتهن التربوية، كإجبار الطالبة على تعليق ورقة تحقيرية على مربولها خلال وقت الفسحة ليراهما بقية الطالبات، فضلاً عن خلع أحذية الطالبات وإلزامهن بتنظيف جدران المدرسة. وحملت الدكتورة العقيل، المعلمات مسؤولية التبليغ عن حالات العنف التي يرصدنها في المدارس، أو تلك التي تظهر آثارها على الطالبة.

وخلال العام الماضي فقط، استقبلت مدينة الملك عبد العزيز الطبية، ٦٤ حالة عنف أسري، أحيل منها ١٨ حالة للخدمات القانونية، وأثبتت ٤٠ حالة عنف، شكل منها العنف الجسدي ١٩ حالة أي ما يعادل ٤٧ في المائة، وبلغت حالات الاعتداء الجنسي خمس حالات بنسبة ١٣ في المائة، وحالات الإهمال ١٣ حالة مثلت ٣٢ في المائة من الحالات، فضلاً عن الإيذاء العاطفي الذي بلغ ثلاث حالات بما يعادل ٨ في المائة.

وأشارت مديرة البرنامج الأسري الوطني الدكتورة مها المنيف، إلى ارتفاع حالات العنف الأسري خلال السنوات الماضية، حيث تجاوزت في العام الواحد ثمانين حالة بينما لم تتجاوز في السابق الحاليتين فقط^(١).

(١) - صحيفة عكاظ، الأحد ٠٤/٠٨/١٤٣٠ هـ، ٢٦/ يوليو/ ٢٠٠٩ العدد: ٢٩٦١.

ورأى باحثون في مركز «رؤية للدراسات الاجتماعية»، أن «أشكال العنف الأسري الشائعة والمعروفة، كالعنف اللفظي والجسدي والنفسي والاجتماعي والاقتصادي والصحي والجنسي والحرمان، تنتشر في المجتمع، إلا أن بعض تلك الأشكال تُعد أكثر شيوعاً، مقارنة في المجتمعات الأخرى»، وأجرى المركز دراسة ميدانية، تحت عنوان «العنف الأسري... المظاهر والأسباب والنتائج وطرق المواجهة»، غطت جميع مناطق المملكة. وتألف المبحوثون من فئات مختلفة، لكل منها «خصائص مميزة». ومن بين المبحوثين ١٩٠٠ من المترددين على مراكز الرعاية الصحية الأولية، و ٥٠ من الخبراء، من طريق المُقابلة الشخصية، و ٩٠ من ضحايا العنف من الجنسين. وبلغ مجموع المبحوثين ٢٠٤٠ شخصاً.

ورأى ٤٤ في المئة من عينة الدراسة أن «الضرب باليد والرفس، أكثر أشكال العنف الأسري انتشاراً، يليه الدفع والرمي على الأرض، بنسبة ٣٧ في المئة، وشد الشعر بـ ٣٤ في المئة، وبعده الجلد بالعقال، أو سلك، أو سوط أو عصا».

وقال باحثو مركز «رؤية»: «إن ١٦ في المئة أشاروا إلى أن إكراه الزوجة على الجماع، أحد أشكال العنف الجنسي المُنتشرة جداً. ورأى ١٥ في المئة أن اغتصاب الذكور أو الإناث، أحد أشكال العنف المنتشرة جداً. وذهب ١٥ في المئة إلى أن التحرش الجنسي، قولاً أو عملاً مُنتشر جداً». وبين ٢٠ في المئة أن أقل أشكال العنف الجنسي انتشاراً «دفع القربيات إلى البغاء، للتكسب من ذلك»، يليها في القلة «إكراه الزوجة على الجماع في طرق وأوقات مُحرمة. وحول العنف الاجتماعي، كشفت نتائج الدراسة أن ٣٢ في المئة اعتبروا تفضيل الذكور على الإناث، أحد أشكال العنف «المُنتشرة». فيما رأى ٣٢ في المئة أن إعاقة زواج البنات من دون مبرر كاف «منتشر جداً». وأشار ٢٩ في المئة إلى أن منع الأبناء من رؤية أمهم المُطلقة «منتشر جداً» واعتبر ٢٩ في المئة أن تعليق الزوجة وعدم تطليقها، لإذلالها «منتشر جداً».

وقرر الباحثون أن أهم أشكال العنف النفسي، تتمثل في «قمع الأبناء

والزوجة، وعدم تركهم يعبرون عن مشكلاتهم بحرية، إضافة إلى سلطة الزوج في ممارسة العنف النفسي، وحرمان الزوجة من رؤية الأقارب، أو زيارتهم، ولجوئه إلى الهجر، كأحد أشكال «العنف النفسي». وأوضحت النتائج أن ما نسبته ٢٤ في المئة من عينة البحث يعتقدون أن إرهاب الزوجة بالحمل والولادة فيما صحتها سيئة «مُنتشر جداً». فيما يعتقد مثلهم أن هذا النوع من العنف «غير مُنتشر».

واعتبر ٣٣ في المئة أن الاستيلاء على ميراث المرأة من جانب أقاربها الذكور، «أحد أشكال العنف الاقتصادي المُنتشر جداً». فيما رأى ٣٢ في المئة أن الاستيلاء على راتب الزوجة، أو القرية من جانب الرجل، «مُنتشر جداً». وقال ٢٩ في المئة إن عدم الإنفاق على الزوجة، أو التقدير مع القدرة على الإنفاق «مُنتشر جداً». وذكر ٢٧ في المئة أن الاستيلاء على ممتلكات أقارب أيتام قُصر أو مُسنين «مُنتشر جداً».

وقال ٢٧ في المئة إن دفع المرأة إلى الاقتراض من المصارف، أو الشراء بأقساط لصالح أقاربها الذكور «مُنتشر جداً». واعتبر الباحثون أن إهمال الأولاد أو الوالدين هو شكل أساسي، «من أشكال العنف الأسري المُنتشرة. ويُعزى ذلك إلى انشغال أفراد الأسرة بمتطلبات الحياة، وسعيهم الدائم خلف المادة، لإشباع احتياجات الأسرة، ومن ثم تغير القيم الخاصة بالاهتمام في الوالدين»^(١).

وفي البحرين كشف مركز بحريني لرعاية حالات العنف الأسري أن ٣٠٪ من البحرينيات المتزوجات يتعرضن للعنف الأسري.

وقالت رئيسة المركز الدكتورة بنه بوزبون إن ٣٠٪ من المتزوجات يتعرضن للعنف اللفظي والجسدي. مشيرة إلى أن المركز استقبل أكثر من ١٥٠٠ حالة خلال عامين وأن العدد الحقيقي أكثر من ذلك حيث يتجنب البعض التقدم إلى مكاتب الإرشاد الأسري ورعاية ضحايا العنف الأسري.^(٢)

(١) صحيفة الحياة، الثلاثاء ١١ أغسطس ٢٠٠٩م الموافق ٢٠ شعبان ١٤٣٠هـ، العدد ١٦٩٣٠.

(٢) موقع لها أون لاين. www.lahaonline.com.

الفصل الثاني: ظاهرة العنف الأسري وأنواعه

وأفاد تقرير أنجزته الشبكة الوطنية لمراكز الاستماع حول النساء ضحايا العنف بالمغرب خلال الفترة ما بين سبتمبر ٢٠٠٥م ومنتصف أكتوبر، أن العنف الزوجي الذي تتعرض له المرأة، يحتل صدارة أنواع العنف الأخرى بنسبة ٧٤٪.

وأفاد مقدمو التقرير المذكور أن العنف القانوني يمثل أعلى نسبة من العنف الزوجي وذلك بنسبة ٤٣, ٦ ٪. يمثل فيها الحرمان من الإنفاق النصيب الأوفر، وذلك بنسبة ٥٨, ٤ ٪. يليه العنف الجسدي بنسبة ٣٠, ٤ ٪.

وأورد التقرير أن العنف القانوني هو الأكثر تردداً داخل العنف خارج إطار الزوجية وتمثل نسبته ٦٥, ٢ ٪، في حين يتصدر الحرمان من النفقة أصناف العنف القانوني الأخرى وذلك بنسبة ٤٩, ٢ ٪.^(١)

وقالت منظمة الصحة العالمية بتاريخ ٢٤ تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠٠٥م إن واحدة من كل ست سيدات في أنحاء العالم تعاني من العنف المنزلي، وبعضهن يتعرضن للضرب خلال فترة الحمل، ومع ذلك تظل الكثيرات صامتات تجاه هذه الاعتداءات.

وتشير أول دراسة على الإطلاق تجريها منظمة الصحة العالمية في مجال العنف إلى أن العنف الممارس ضد المرأة من قبل الشخص الذي يعاشرها هو أكثر أشكال العنف شيوعاً في حياة النساء - فهنّ يتعرّضن لذلك العنف بنسبة تتجاوز بكثير نسبة ما يتعرّضن له من حالات الاعتداء والاعتصاب على أيدي غرباء أو أشخاص من معارفهن.

وتكشف تلك الدراسة النقاب عن الأثر الكبير الذي يخلفه العنف الجسدي والجنسي الذي يمارسهما الزوج ضد زوجته، والعشير ضد عشيرته^(٢) على صحة

(١) موقع لها أون لاين. www.lahaonline.com.

(٢) علماً بأن أي علاقة خارج إطار الزوجية بين الرجل والمرأة يعد من كبائر الذنوب، وهي أساس الكثير من المشاكل والمآسي.

المرأة وعافيتها في جميع أرجاء العالم، وعن حجم التستّر الكبير الذي ما زال يميّز هذا النوع من العنف.

وقال الدكتور جونج - ووك لي المدير العام لمنظمة الصحة العالمية، بمناسبة صدور الدراسة المذكورة في جنيف، «هذه الدراسة تبيّن أنّ النساء يتعرّضن لمخاطر العنف في البيت أكثر من الشارع، وأنّ لذلك العنف آثاراً كبيرة على صحتهن. وهي تبيّن أيضاً الحاجة الماسّة إلى تسليط الأضواء على العنف المنزلي في جميع أنحاء العالم ومعالجته كإحدى المسائل الصحية العمومية الهامة».

وتستند الدراسة المذكورة إلى مقابلات تمت مع أكثر من ٢٤ ٠٠٠ امرأة من مناطق ريفية وحضرية في ١٠ بلدان هي: بنغلاديش، البرازيل، إثيوبيا، اليابان، ناميبيا، بيرو، ساموا، صربيا والجبل الأسود، تايلند، وجمهورية تنزانيا المتحدة. وتقدم تلك الدراسة المُعنونة «صحة المرأة والعنف الممارس ضدها في البيت» توصيات وتدعو راسمي السياسات والمسؤولين عن قطاع الصحة العمومية إلى معالجة الآثار البشرية والصحية لتلك الظاهرة، بما في ذلك عن طريق إدراج برمجة منع العنف في طائفة معيّنة من البرامج الاجتماعية.

وتشير الدراسة إلى أنّ نسبة تتراوح بين الربع والنصف من مجموع النساء اللاتي أُجريت معهن المقابلات، واللاتي تعرّضن لاعتداء جسدي من قبل الرجال الذين يعاشرونهن، تفيد بأنّها تعاني إصابات جسدية كنتيجة مباشرة لذلك. كما أنّ احتمال اعتلال الصحة وظهور مشاكل جسدية ونفسية لدى النساء المعرّضات للأذى يفوق الاحتمال نفسه بنسبة الضعف لدى النساء غير المعرّضات له، وذلك حتى لو كان تاريخ العنف يعود لسنوات مضت. ومن بين تلك المشاكل الأفكار والمحاولات الانتحارية والاضطرابات النفسية والأعراض الجسدية، مثل الألم والدوخة والنجيج المهبلي. وتم إجراء الدراسة المذكورة بالتعاون مع كلية لندن للتصحّح وطب المناطق المدارية وبرنامج التكنولوجيا الملائمة في مجال الصحة ومؤسسات البحث الوطنية والمنظمات النسائية في البلدان المشاركة.

وصرّحت الدكتورة شارلوت واتس من كلية لندن للتصّحّ وطب المناطق المدارية، وهي أحد أعضاء فريق البحث الأساسي الذي استندت إليه الدراسة، قائلة «إنّ درجة تساوق الآثار الصحية مع العنف الذي يمارسه العشير ضد عشيرته، في الدراسة التي أجرتها منظمة الصحة العالمية، لافّت للانتباه فعلاً. فيبدو أنّ لذلك العنف آثاراً مماثلة على صحة النساء وعافيتهن، بغض النظر عن مكان إقامتهن ودرجة انتشار العنف في ذلك المكان، أو عن خلفيتهن الثقافية أو الاقتصادية.»

ومن المعروف أنّ العنف المنزلي يؤثّر في صحة المرأة الجنسية والإنجابية، وقد يسهم أيضاً في زيادة انتقال أنواع العدوى المنقولة جنسياً، بما في ذلك فيروس الإيدز. وفي هذه الدراسة، صرّحت النساء اللاتي يعشن علاقات يشوبها الإيذاء الجسدي أو الجنسي، أكثر من غيرهن، بأنّ الرجال الذين يعاشر ونهن يقيمون علاقات جنسية مع نساء عديدات وأنّهم رفضوا استخدام العازل. أما النساء اللاتي أبلغن عن عنف جسدي أو جنسي مارسه ضدّهن الرجال الذين يعاشر ونهن، فقد صرّحن، أكثر من غيرهن، بأنّهن تعرّضن لإجهاض مُحرّض أو تلقائي.

وعلى الرغم من الوعي السائد غالباً بضرورة توفير الحماية للمرأة أثناء فترة الحمل، فإنّ نسبة تتراوح بين ٤ و ١٢٪ من الحوامل أبلغت، في المواقع المشمولة بالدراسة، عن تعرّضها للضرب أثناء فترة الحمل. وتعرّضت أكثر من ٩٠٪ من تلك النساء لإيذاء من قبل أبي الطفل المُرتقب، كما تعرّضت نسبة منهن تتراوح بين الربع والنصف لركلات أو لكدمات في البطن.

ويتمثّل أعظم التحديات بالنسبة لراسمي السياسات في كون الإيذاء ظاهرة مستترة. فإنّ ٢٠٪ من النساء اللاتي أبلغن عن تعرّضهن لعنف جسدي في الدراسة لم تبحن بذلك لأحد قط قبل المقابلات التي أُجريت معهن. وبالرغم من الآثار الصحية لم يبلغ إلا عدد قليل جداً من هؤلاء النسوة عن التماس مساعدة من مرافق رسمية، من قبيل المراكز الصحية أو مراكز الشرطة، أو من أفراد من ذوي النفوذ، بل معظمهن يفضّل اللجوء إلى الأصدقاء والجيران وأفراد الأسرة. أما اللاتي يلتسمن الدعم من

الجهات الرسمية فهنّ اللائي يتعرّضن لأشدّ صنوف الأذى في غالب الأحيان.

وصرّح الدكتور شورنورتاي كانشاناشيترا من جامعة ماهيدول، وهو أحد أعضاء فريق الدراسة في تايلند، قائلاً «إنّها أول دراسة على الإطلاق تُجرى في تايلند بشأن هذه المسألة، ومكّنتنا هذه الدراسة من التعمّق في فهم حجم العنف الذي تتعرّض له النساء في بلدنا. وقد ساعدتنا النتائج على وضع الخطة الوطنية للتخلّص من العنف الممارس ضد النساء والأطفال.»

ويوصي التقرير بطائفة من التدخلات من أجل تغيير السلوكيات وتبديد أوجه الغبن والقيم الاجتماعية التي تسهم في استمرار الإيذاء. ويوصي التقرير كذلك بضرورة إدراج برمجة منع العنف في المبادرات الجارية الرامية إلى حماية الأطفال والشباب ومكافحة الإيدز والعدوى بفيروسه وتعزيز الصحة الجنسية والإنجابية. كما ينبغي تدريب مقدمي الخدمات الصحية على تحديد فئة النساء اللائي يتعرّضن للعنف ومعالجة أوضاعهن على نحو ملائم. وتُعد الرعاية السابقة للولادة وتنظيم الأسرة والرعاية التي تلي الإجهاض من نقاط الدخول المحتملة التي تمكّن من توفير الرعاية والدعم وسُبل الإحالة إلى مرافق أخرى. كما يجب توفير الأمن في المدارس وتعزيز النظم اللازمة لدعم الضحايا ووضع البرامج الوقائية. ومن الأمور الأساسية أيضاً إذكاء الوعي العام بالمشكلة.

وقالت الدكتورة كلوديا غارسيا مورينو، منسقة الدراسة بمنظمة الصحة العالمية، «إنّ العنف المنزلي من الأمور التي يمكن تلافيتها، ولذا من الواجب تعبئة الحكومات والمجتمعات المحلية لمكافحة هذه المشكلة الصحية العمومية المستفحلة. وستواصل منظمة الصحة العالمية إذكاء الوعي بالعنف وبالدور الهام الذي يمكن أن يؤديه قطاع الصحة العمومية لمعالجة أسبابه وآثاره. ومما يجب علينا القيام به على الصعيد العالمي وقف العنف من منبئه وتقديم المساعدة والدعم إلى النساء اللائي يعشن علاقات يشوبها الإيذاء.»^(١)

(١) موقع منظمة الصحة العالمية <http://www.who.int/ar>

وهذا يتطلب إيجاد أماكن خاصة لحماية ضحايا العنف الأسري، ووضع حلول جذرية للتقليل والحد من حالات العنف الأسري.

وتشير لغة الأرقام أيضاً إلى انتشار حالات العنف الأسري في كل مكان في العالم، بما فيها الدول الغنية، إذ توضح الإحصائيات الأمريكية واقعاً صارخاً مخيفاً ومنذراً بالأخطار فيما يتعلق بجرائم وقعت داخل جدران المنزل وفي إطار الحياة الأسرية للأبناء أو للزوجات أو لكبار السن من أفراد الأسرة. إن (٦٠٪) من جرائم القتل التي تقع على المرأة في الولايات المتحدة الأمريكية يرتكبها الزوج أو الصديق! ويفوق احتمال تعرض المرأة للعنف داخل بيتها، احتمال تعرضها له في الشارع بتسعة أضعاف. وأنه خلال الفترة التي كانت فيها الحرب الأمريكية في فيتنام (أي فيما بين ١٩٦٧-١٩٧٣م) قتل حوالي ٣٩٠٠٠ جندي، بينما قتل ما يربو على ١٧٥٠٠ امرأة وطفل أمريكي على يد رجال يمارسون العنف العائلي، وإذا كانت حرب فيتنام قد توقفت وانتهت فإن المعركة أو العنف الموجه ضد الأطفال والنساء داخل منازلهم وفي إطار حياتهم الأسرية لا تزال مستمرة.

قد يقول البعض هذا الواقع لا يصدق سوى في مجتمعات تعيش العنف وليس بها رحمة أو عاطفة خفيفة إزاء أفراد أسرها، وبالتالي ربما كانت مجتمعاتنا في حماية وهي بعيدة كل البعد عن هذا النوع من العنف والجرائم. ومن السهل تصديق ذلك، كما كان الحال في معظم أنحاء العالم حتى عقود متأخرة جداً، إذ أن هذا العنف يقع بين ضحية تعرف المعتدي عليها وربما عملت مع جلادها على تغطية الجريمة، وأن هذا النوع من العنف من الصعب التعرف عليه، وفي حالة اكتشافه غالباً ما يكون المعتدي الحقيقي آخر من يشك في أمره. لكن الثابت وجوده في معظم المجتمعات الإنسانية ومنها مجتمعاتنا الخليجية.

لكن قبل تناول هذا الموضوع، ربما كانت بعض الإحصائيات العالمية تجعلنا نأخذ الأمر بجدية أكبر: فقلد شهد عام ١٩٩٨م أربعة ملايين واقعة عنف عائلي ضد المرأة في العالم منها (٢٠٪) من تلك الحوادث أدت إلى إصابات بليغة. فثلث النساء

المعالجات في غرف الإسعاف باستمرار، ينقلن إليها نتيجة العنف العائلي. ويحتاج علاج هؤلاء النسوة إلى ما يتراوح فيما بين ٣ - ٥ ملايين دولار سنوياً (٦٠٪) من حوادث قتل النساء تقع بسبب العنف العائلي و (٢٥٪) من مرضى الاضطرابات النفسية أو محاولات الانتحار هن من ضحايا العنف العائلي الأسري. و (٥٠٪) من الأطفال في بيوت الرعاية الاجتماعية من ضحايا العنف الأسري. و (٤٠٪) من الأسر المشردة في نيويورك يفرون من العنف الأسري.^(١)

وتشير هذه الأرقام إلى تزايد حالات العنف الأسري في العالم العربي، بل في العالم أجمع، وإلى تضاعف حجم مشكلة العنف الأسري، وأنها قد تحولت إلى ظاهرة عالمية؛ وهو ما يدعونا إلى دراسة هذه الظاهرة المدمرة لكيان العائلة وقيم المجتمع، ومعرفة أشكال العنف الأسري وأنواعه ومسبباته ونتائجه، والحلول والتوصيات لعلاجه، وهذا ما ترمي إليه هذه الدراسة عن العنف العائلي.

(١) القضايا والمشكلات الزوجية في مجتمعات دول مجلس التعاون الخليجي. دراسة تحليلية شاملة، إعداد الدكتور أبو بكر أحمد با قادر، إصدار المكتب التنفيذي لمجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ومؤسسة صندوق الزواج بدولة الإمارات، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٣م، ص ٣٨١ - ٣٨٢.

أنواع العنف الأسري

يمكن أن نقسم أهم أنواع العنف الأسري إلى ثلاثة أنواع رئيسة وهي:

١- العنف اللفظي:

هو كل إيذاء لفظي تجاه أحد أفراد الأسرة وغالباً ما يكون من قبل رب الأسرة تجاه أفراد أسرته، ويأتي الشتم والسب، واستخدام الألفاظ النابية والقاسية كأسلوب تعنيفي ضد المُعنف. وقد أشارت دراسة نشرتها جريدة الحياة إلى ذلك، إذ كشفت دراسة ميدانية أن الآباء يأتون في مقدم الأشخاص، الذين يسيئون إلى أطفالهم، يليهم الإخوة ثم الأقرباء فالأمهات ومن بعدهم المعلمون، ويتذيل القائمة الأصدقاء. كما أوضحت أن ٧, ٣٨ في المئة من أفراد المجتمع السعودي يستخدمون كلمات نابية مثل «غبي، كسول، قبيح»... تجاه أبنائهم.

وأشارت الدراسة التي أعدها الأستاذ المساعد في كلية الطب في جامعة الطائف الدكتور علي بن حسن الزهراني، وعرضت في مؤتمر «الأسرة والتغيرات المعاصرة»، إلى أن أخطر مرحلة لتلقي الأطفال لتلك الألفاظ هي من سن ١٠ وحتى ١٥ سنة، بسبب توتر العلاقة بين الآباء وأبنائهم. ويعود السبب في ذلك بحسب الزهراني إلى «دخول الأطفال مرحلة المراهقة، ورفضهم تلقي الأوامر والنواهي، بينما لا يزال الآباء وغيرهم من الراعين، يرون أنه لا يزال طفلاً ويحتاج إلى تعديل السلوك، وإن لم يكن بالضرب فبالإهانة..» وحذر الزهراني من خطر تعرض الأبناء

إلى اضطرابات نفسية تلحق بهم حتى بعد تجاوزهم هذا العمر، نتيجة هذه الألفاظ من دون علم من مطلقها بمخاطرها، مشيراً إلى أن من المشكلات التي قد يولدها استخدام مثل هذه الألفاظ، عدم تقدير الذات والاندفاعية والعدوانية والقلق والاكئاب واضطراب النوم والوظيفة الاجتماعية.

ولفتت الدراسة إلى أن وعي الأفراد ممن تقل أعمارهم عن ٣٠ عاماً بخطور مثل هذه الألفاظ أكبر بكثير ممن يزيد عمرهم على الثلاثين، إذ كانت نسبة مستخدميها فيمن تقل أعمارهم عن ٣٠ نحو ٩, ٢١ في المئة، في حين تجاوزت فيمن يزيدون على هذا العمر ما نسبته ٥, ٣٧ في المئة. وفي سياق ذي صلة، أكدت دراسة محلية حديثة، أجراها مركز مكافحة أبحاث الجريمة في وزارة الداخلية أخيراً، تعرض ٢١ في المئة من الأطفال السعوديين للإيذاء بشكل دائم، مشيرة إلى تفشي ظاهرة إيذاء الأطفال في المجتمع السعودي بشكل عام.

وأوضحت أن ٤٥ في المئة من الحالات يتعرضون لصورة من صور الإيذاء في حياتهم اليومية، إذ يحدث الإيذاء بصورة دائمة لـ ٢١ في المئة من الحالات، في حين يحدث لـ ٢٤ في المئة أحياناً، ويمثل الإيذاء النفسي أكثر أنواع الإيذاء تفشياً بنسبة ٦, ٣٣ في المئة، يليه الإيذاء البدني بنسبة ٣, ٢٥ في المئة، وغالباً ما يكون مصحوباً بإيذاء نفسي، يليه الإهمال بنسبة ٩, ٢٣ في المئة.

واحتل الحرمان من المكافأة المادية أو المعنوية المرتبة الأولى من بين أنواع الإيذاء النفسي بنسبة ٣٦ في المئة، تليها نسبة الأطفال الذين يتعرضون للتهديد بالضرب بنسبة ٣٢ في المئة، ثم السب بألفاظ قبيحة والتهكم بنسبة ٢١ في المئة، ثم ترك الطفل في المنزل وحيداً مع من يخاف منه.

وفي حالات الإيذاء البدني، ذكرت الدراسة أن أكثر صور الإيذاء البدني تفشياً هي الضرب المبرح للأطفال بنسبة ٢١ في المئة، يليها تعرض الطفل للصفع بنسبة ٢٠ في المئة، ثم القذف بالأشياء التي في متناول اليد بنسبة ١٩ في المئة، ثم الضرب بالأشياء الخطيرة بنسبة ١٨ في المئة، ثم تدخين السجائر والشيشة في

حضور الأطفال بنسبة ١٧ في المئة.

واحتل الإهمال المرتبة الثالثة من أشكال الإيذاء التي يتعرض لها الأطفال في السعودية، بعدم اهتمام الوالدين بما يحدث للطفل من عقاب في المدرسة بنسبة ٣١ في المئة.

وأوضحت الدراسة أن أعلى نسبة للأطفال الذين يتعرضون للإيذاء النفسي بصورة دائمة كانت في المرحلة الابتدائية بنسبة ٤, ٣٦ في المئة ثم المرحلة الثانوية بنسبة ٣٦ في المئة، ثم المرحلة المتوسطة بنسبة ٣٠ في المئة.^(١)

وأشارت نتائج دراسة ميدانية هي الأحدث والأكبر على مستوى المملكة أنجزت مؤخراً قام بها مركز رؤية للدراسات الاجتماعية: إن النتائج أوضحت أن العنف اللفظي احتل المرتبة الأولى في تقدير ست فئات من الفئات السبع وهي فئة (قراءة وكتابة)، و(ابتدائي)، و(متوسط)، و(ثانوي)، و(جامعي)، و(فوق الجامعي)، بينما احتل المرتبة الثانية في تقدير فئة واحدة هي الفئة الخاصة بالأميين. كما اتضح وجود شبه اتفاق على العنف الصحي في احتلاله للمرتبة الأخيرة حيث احتل هذه المرتبة لدى خمس فئات هي (يقرأ ويكتب، ابتدائي، ثانوي، جامعي، فوق الجامعي) بينما احتل المرتبة السابعة لدى (متوسط) والخامسة لدى (الأميين).

وبرؤية تحليلية لترتيب أشكال العنف حسب الفئات العمرية لأفراد العينة يتضح أن العنف اللفظي قد احتل المرتبة الأولى من استجابات العينة على مختلف أعمارها، وهذا دليل على انتشار هذا النمط من أنماط العنف في تصور جميع الأعمار بما لا يدع مجالاً للشك في أنه أكثر الأشكال انتشاراً بالمملكة، وهو ما يتطلب تدخلاً من الجهات المعنية للحد من انتشار وتأثير هذا النمط، والذي يعد سهلاً من حيث ارتكابه وأحياناً قد لا يتعرض مرتكبه للعقاب الاجتماعي أو القانوني غير أنه قد يترتب عليه عواقب وخيمة.

(١) صحيفة الحياة، العدد ١٦٤٧٩ بتاريخ ١٧/٥/٢٠٠٨م الموافق ١٢/٥/١٤٢٩هـ.

هذا وقد غطت الدراسة جميع مناطق المملكة بحيث شملت العينة عدة فئات لكل منها خصائص متميزة لخدمة أهداف الدراسة منها ١٩٠٠ عينة من المترددين والمترددات على مراكز الرعاية الصحية الأولية تم جمع البيانات منهم عن طريق الاستبيان، و ٥٠ عينة من الخبراء والخبيرات عن طريق المقابلة، و ٩٠ عينة من ضحايا العنف من الجنسين من مختلف الفئات العمرية ليصبح مجموع مفردات الدراسة ٢٠٤٠ عينة.^(١)

وأظهرت دراسة أجراها باحثون من تونس أن ٨٨ في المائة من الشباب التونسيين يستخدمون العنف اللفظي.

وكشفت دراسة للمرصد الوطني للشباب أذاعها التلفزيون الحكومي في تونس وشملت ٦٠٠ شاب وشابة من مناطق ريفية وحضرية أن نحو ٨٨ في المائة من الشباب المستجوبين أقروا بأنهم يستخدمون العنف اللفظي.

وأضافت أن ٦٢ في المائة منهم قالوا أنه يوجد في عائلاتهم من يمارس هذا السلوك، وأشاروا إلى أن نسبة الآباء الذين يستخدمون العنف اللفظي داخل العائلات تبلغ ٢١ في المائة.^(٢)

خصائص الإساءة اللفظية

تتسم الإساءة اللفظية بعدة خصائص وهي:

* أن الإساءة اللفظية ضارة وتمثل اعتداءً وهجوم على طبيعة وقدرات الضحية.

* أن الإساءة اللفظية ربما تكون صريحة ويعبر عنها من خلال ثورات الغضب وقد تكون ضمنية متضمنة التعليقات الخبيثة ضد المرأة، وأحياناً تتضمن شيئاً ما

(١) صحيفة اليوم، الاثنين، ٥/٣/١٤٣٠هـ الموافق ٢/٣/٢٠٠٩م، العدد ١٣٠٤٤، السنة الأربعون.

(٢) موقع لها أون لاين www.lahaonline.com.

يقترّب من غسيل المخ. ومن أمثلة الإساءة اللفظية الصريحة اللوم والتوبيخ، أما الإساءة الضمنية فهي عدوان خفي يهدف إلى التحكم في الضحية دون معرفتها بذلك.

* الإساءة اللفظية لا يمكن التنبؤ بها فالضحية قد تصعق وتذهل ويختل توازنها من خلال التعليقات المؤذية الموجهة نحوها.

* يمكن التعبير عنها في رسائل مزدوجة حيث لا يوجد تناغم أو اتساق بين الطريقة التي يتحدث بها المسيء أو المعتدي وبين مشاعره الحقيقية.

٤٠ * الإساءة اللفظية قابلة للتصعيد والزيادة في شدتها ومعدل تكرارها ونوعيتها، فربما تبدأ بالنكات ثم تتصاعد إلى إساءة جسدية من قبيل الدفع والركل، وقد تتصاعد الإساءة اللفظية وتظهر في صور شتى منها الاحتجاز والحبس للضحية وغياب الحميمية والإمبائية ورفض الاستماع للضحية وتركها معزولة فضلاً عن معارضة كل ما تقوله أو تفعله ومقاطعتها أثناء المناقشة وإيقافها في نصف الكلام قبل أن تنهي كلامها، فالمعتدي لا يتيح لها أن تعبر عن أفكارها الخاصة ويميل إلى السخرية والتحقير من أفكارها والتقليل من شأنها والاستخفاف بما تقوم به والحط من شأنها وتوجيه اللوم والإهانة إليها على كل شيء تفعله والتحقير من طبقتها الاجتماعية والسخرية من حاجات الضحية وحجب المعلومات عنها ورفض التواصل معها ومنع أي إمكانية لحل الصراعات من خلال إقامة العراقل إلى جانب النقد، وإصدار الأحكام عليها معبراً عن أحكامه بطريقة ناقدة فضلاً عن محاولة جعل أي شيء تقوله أو تفعله الضحية على أنه شيء تافه وغير هام، وحجب المساندة الانفعالية عنها وسعي المعتدي إلى إقناع الضحية بأنها غير جذابة وأنها زوجة وأم مسيئة وغير كفء والتقليل من الثقة بالنفس لديها، فدائماً يحاول المسيء إخماد أي فكرة أو اقتراح تقدمه الضحية من خلال تعليقاته المؤلمة عليها وجعلها تشعر بالخزي والإذلال فضلاً عن تصيد الأخطاء لها والتهديد بترك المنزل أو الطلاق، وفي بعض الحالات ربما يتصاعد إلى التهديد بالانتقام من أسرة

الضحية وأطفالها والتهديد بالإقدام على الانتحار باستخدام الأطفال ضدها. ولقد أوضحت الدراسات أن هذا النوع من الإساءة يكون أكثر ضرراً على نفسية المرأة مقارنة بالإساءة الجسمية.^(١)

وقد نهى الإسلام عن استخدام أية ألفاظ بذيئة أو سيئة كالشتم والسب حتى للآخر الكافر كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢) لأن الإسلام يريد من المسلم أن يكون لسانه نظيفاً، ومنطقه سليماً، وقوله حكيماً.

٢- العنف الجسدي:

هو كل إيذاء فعلي يستخدم فيه وسائل مادية تؤثر في جسم المجني عليه مباشرة، أو تلحق به الضرر الجسدي بصورة غير مباشرة. ويأتي في مقدمة هذا النوع من العنف استخدام الضرب المبرح أو الحرق أو الحبس في غرفة مفردة وما أشبه ذلك.

وبحسب دراسة لمنظمة الصحة العالمية فيما يخص العنف الجسدي، سُئلت كل امرأة عما إذا كان عشيرها الحالي أو السابق قام بما يلي: صفعها أو رماها بشيء يمكن أن يؤذيها؛ دفعها أو دسرها؛ لكمها بيده أو بشيء آخر يمكن أن يؤذيها؛ ركلها أو جرّها أو ضربها؛ خنقها أو أحرقها عمدًا؛ هذدها بمسدس أو سكين أو سلاح آخر أو استخدم أحد تلك الأسلحة ضدها.

* وكان أن أجابت بعضهن بالتالي: «لقد عانيت كثيراً وأخفيت تلك المعاناة. ولهذا أتردد الآن على الأطباء وأتعاطى الأدوية. لا ينبغي لأي شخص فعل ذلك». امرأة أُجريت معها مقابلة في صربيا والجبل الأسود.

(١) سيكولوجية العنف: المفهوم، النظرية، العلاج، د. طه عبد العظيم حسين، الدار الصولتية للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، طبع عام ١٤٢٦ هـ، ص ٣٨.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٠٨.

* «كان لديه مسدس، ولا أدري من أين حصل عليه... وكان يقول لبناتنا: «سأقتل أمكن... سينقضي اليوم وستكون جثة أمكن هامة هنا...» وكنت أقفل غرفة النوم على نفسي لكي أنجو من القتل». امرأة أُجريت معها مقابلة في البرازيل.

* «لقد ضربني في البطن وأفقدني صبيين كنت حاملاً بهما- لا أدري إن كانا توأمين من بيضة واحدة أو من بيضتين- وذهبت بعد ذلك إلى مستشفى لوايزا وأنا أنزف كثيراً، فقاموا بتنظيفي هناك». امرأة أُجريت معها مقابلة في إحدى المناطق الحضرية ببيرو.^(١)

ويشمل العنف الجسدي الضرب المبرح والركل والصفع والحرق والخنق، والقذف بالأشياء، وتكسير ما تقع عليه يده ضد المجني عليه، وتهديده بالسلاح أو استخدامه له.

والمرأة من أكثر الشرائح التي تتعرض للعنف الجسدي، و«يترتب على العنف الجسدي والإساءة البدنية للمرأة عدة أعراض أو مظاهر مثل (الكدمات - الحروق - الجروح - كسر العظام - تمزق الأنسجة - ارتجاج المخ - الإجهاض - فقد جزئي للسمع والبصر - هالات سوداء حول العين) والتأثير على الأعضاء الداخلية مثل الرحم والكبد والطحال.

وقد أشارت النتائج أيضاً إلى أن العنف ضد المرأة ليس فقط ضربها أو تكسيها أو إهانتها ولكن قد يصل إلى التهديد بالقتل، بل يصل إلى القتل أيضاً.

وتشير الإحصائيات أن حوالي ٢١٪ من السيدات قد تلقين خدمة طبية من خدمات الجراحة والطوارئ في المستشفيات بعد الشجار مع الزوج وتعرضها للضرب^(٢).

(١) موقع منظمة الصحة العالمية <http://www.who.int/ar>

(٢) الإساءة إلى المرأة، د. هبة محمد علي حسن، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة - مصر، طبع عام ٢٠٠٣م، ص ١٤.

والعنف الجسدي منتشر بكثرة في عصرنا، وفي كل مكان من العالم، والسبب هو ضعف الوازع الديني، وغياب القيم الأخلاقية والمثل العليا، وانتشار الأمراض النفسية وغيرها.

٣- العنف الجنسي:

ويعني إلزام أحد الطرفين للآخر على القيام بممارسات جنسية مختلفة ضد إرادته. والأكثر شيوعاً أن يكون المعتدي في هذه الحالة هو الرجل مع استخدام القوة الجسدية أو التهديد باستخدامها.^(١)

وبحسب رأي منظمة الصحة العالمية فإن العنف الجنسي، قد تم تعريفه بأحد التصرفات التالية: إكراه امرأة على إقامة علاقة جنسية؛ إقامة علاقة جنسية معها تحت التهديد؛ إكراهها على القيام بممارسة جنسية تعتبرها مهينة أو محبطة لقيمتها.^(٢)

ويدخل في العنف الجنسي مقارنة الزوجة في أيام طمثها عنوة، أو إجبارها على ممارسات محرمة بنظر الشرع رغماً عن إرادتها.

ويأتي الاغتصاب في مقدمة ضحايا العنف الجنسي، إلا أنه نادراً ما يكون بين أفراد الأسرة خصوصاً في المجتمعات المسلمة، لكنه بدأ يزداد عما كان عليه الأمر في الماضي.

ويعرف الدكتور رشاد علي عبد العزيز موسى العنف الجنسي بأنه لجوء الآخر إلى استدراج الضحية - سواء طفلاً أم امرأة - بالقوة والتهديد، إما لتحقيق الاتصال الجنسي، أو استخدام المجال الجنسي مثل التحرش الجنسي، والشتم بالفاظ نابية، والإجبار على ممارسة الجنس، والإجبار على القيام بأفعال جنسية شاذة.^(٣)

(١) مجله العربي، العدد ٤٤٩، أبريل ١٩٩٦م، موضوع: العنف بين الزوجين، د. مطاوع بركات، ص ١٦٥.

(٢) موقع منظمة الصحة العالمية <http://www.who.int/ar>

(٣) سيكولوجية القهر الأسري، د. رشاد علي عبد العزيز موسى، عالم الكتب، القاهرة- مصر، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م، ص ٦٩.

ويوجد تعاريف متنوعة لمفهوم التحرش الجنسي والذي يدخل في دائرة (العنف الجنسي)، ومنها: إنه فعل أو سلوك يصدر من ذكر ضد أنثى، سواء كان لفظي، جسدي، ينتج عنه تأثيرات مرتبطة بالجنس لدى الأنثى، والتي لا تقبل هذا الفعل أو السلوك، وقد يترك هذا الفعل أو السلوك أذى نفسي أو مادي أو اجتماعي لدى الأنثى التي تتعرض له.

وبتحليل هذا التعريف، نجد أنه يتضمن عدداً من الأبعاد هي:

- ١- يسمح هذا التعريف بأن يتضمن كل الشرائح العمرية التي يمكن أن ترتكب مثل هذا الفعل، أو تتعرض له.
- ٢- يشمل هذا التعريف كل أشكال التحرش الجنسي، سواء كان فعل التحرش يعتمد على الإشارة، أو اللفظ، أو اللمس والاحتكاك الجسدي.
- ٣- يرتبط بهذا التعريف أيضاً بموقف الأنثى من هذا الفعل أو السلوك فالدراسة تنصب على الفعل أو السلوك الذي لا تقبله الأنثى، وأي سلوك يرتبط بالجنس وتقبله الأنثى لا يقع ضمن حدود هذه الدراسة.
- ٤- وطالما ارتبط التعريف برفض الأنثى، فإنه بذلك يتضمن التدايعات السلبية أو الأذى المترتب على هذا الفعل ويقع على الأنثى التي تقع ضحية لهذا العنف، وارتبط أيضاً بالاستراتيجيات التي تعتمد عليها الأنثى في مواجهة هذا الفعل وتعتبر بها عن رفضها لمثل هذا السلوك.^(١)

وعرفه «كاتلين» بأن التحرش مجموعة من الأفعال يقوم بها الرجل ضد المرأة، والتي تعكس في مجملها المكانة الاجتماعية المتدنية للمرأة مقارنة بالرجل، كما تعكس أيضاً عملية نشر الدور الجنسي النوعي للمرأة على أدوارها الأخرى، ووفق هذه الرؤية فإن التحرش الجنسي ينشأ من تفاوتات وفروق القوة وحيازتها واستغلالها بين الرجال والنساء على المستويين الاجتماعي والثقافي، ويعمل التحرش الجنسي

(١) العنف ضد المرأة، د. مديحة أحمد عبادة و أ. خالد كاظم أبو دوح، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م، ص ٢٠٣ - ٢٠٤.

على الحفاظ على هذه الفروق والتباينات على المستوى التنظيمي.

وإذا كان التعريف السابق قد أهمل طبيعة هذه الأفعال التي يقوم بها الرجل والهدف منها على حساب التأكيد على ارتباط هذه الأفعال بالمكانة الاجتماعية المتدنية للمرأة، بالإضافة إلى عدم حيازتها للقوة مقارنة بالرجل، فإن هناك تعريفاً آخر يذهب إلى أن التحرش الجنسي هو مجموعة من الحيل والأفعال غير المألوفة والتي قد تتضمن مطالب جنسية، في سياق علاقة تتضمن تفاوت للقوة ما بين أطرافها.

والملاحظ على التعريفات السابقة أنها تتجه نحو التأكيد على أهمية القوة والمكانة كدوافع تساهم في ظهور أفعال التحرش الجنسي، من هنا فإن القوة وفق هذه الرؤية تمثل جوهر مفهوم التحرش وهذه القوة قد تستمد من خلال المكانة الاجتماعية، أو المكانة الرسمية المؤسسية للفرد، وهذا الأخير يعتمد على هذه القوة من أجل تعبئة وتحقيق منافع جنسية له.^(١)

أشكال التحرش الجنسي

يمكن من خلال مراجعة التراث المرتبط بظاهرة التحرش الجنسي، الوقوف على عدد كبير ومتباين من المحاولات التصنيفية لأشكال التحرش الجنسي، وهذا التباين يرجع إلى أن طبيعة فعل التحرش الجنسي مرتبطة بأنه يتجسد في أشكال مختلفة، باختلاف السياقات الاجتماعية والتنظيمية، والبنى الثقافية التي تحكم هذه السياقات والتنظيمات. وقد يختلف شكل فعل التحرش باختلاف الفاعل، فهناك تحرش الرئيس بمرؤوسيه، وهناك تحرش الأقران بعضهم ببعض.

فمن خلال إحدى الدراسات حول التحرش الجنسي بين الممرضات، تم تصنيف أشكال التحرش الجنسي إلى:

١ - سلوك جنسي لفظي، يتضمن التعليقات والألفاظ والفكاهات الجنسية.

(١) العنف ضد المرأة، د. مديحة أحمد عبادة و أ. خالد كاظم أبو دوح، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م، ص ٢١٣.

- ٢- سلوك جنسي غير لفظي، ويتضمن التعبيرات الجنسية العدوانية.
٣- سلوك جنسي جسدي، ويتضمن عدد من السلوكيات تبدأ من الربت على الجسد، والقرص، والمعانقة، إلى الاغتصاب.

ووفق شكل الفعل وطبيعته ذهب «ميشيل ديمون» إلى أن فعل التحرش يتضمن مجموعة من السلوكيات التي بناء عليها يختلف شكل التحرش الجنسي، وهي:

- أ- التعليقات الجنسية الشكلية، مثال: الغمز بالعين، والبصبة.
ب- التعليقات الجنسية اللفظية، مثال: النكت والألفاظ الجنسية.
ج- السلوك الجنسي المعتمد على اللمس.

أما «ماري فرانس» فقد صنفت أشكال التحرش، وحددتها فيما يلي:

- أ- سلوك الإغواء.
ب- الابتزاز الجنسي.
ج- إبداء الاهتمام الجنسي غير المرغوب فيه.
د- التكلف الجنسي.
هـ- الاعتداء الجنسي المباشر.

ومن خلال الدراسة التي أعدها «جوكلين» حول التحرش الجنسي في المدن الصغيرة بنيوزيلندا، ذهبت إلى أن التحرش أخذ شكلين رئيسيين هما:

(أ) التحرش الجنسي الظاهر: ومن خلاله يطلب رجال اتصالات جنسية من نساء بعينهن.

(ب) التحرش الجنسي القهري، وفيه يقوم رجال بعينهم، بممارسة بعض أفعال التحرش الجنسي البسيط ضد النساء بهدف تخويفهم وقهرهم، وليس بهدف الجنس في حد ذاته.^(١)

(١) العنف ضد المرأة، د. مديحة أحمد عبادة و أ. خالد كاظم أبو دوح، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م، ص ٢١٩ - ٢٢١.

وقد حرم الإسلام مختلف أشكال وأنواع العنف الجنسي، وكذلك التحرش الجنسي بمختلف صورته وأشكاله، لأن الإسلام يريد تربية الفرد على منظومة قيمة وأخلاقية تحافظ من خلاله على إنسانية الإنسان، والابتعاد عن السقوط في رذائل الأخلاق ومساوئها.

التحرش الجنسي داخل الأسرة

يوجد فرق واضح بين التحرش الجنسي بمفهومه العام والتحرش الجنسي بين المحارم، حيث يشير الأخير إلى أية علاقات أو أفعال تتضمن معنى جنسي بين عضوين من داخل الأسرة، يحرم الزواج بينهما طبقاً للدين أو العرف أو القانون.

وفكرة التحريم المرتبطة بالأفعال الجنسية بين المحارم فكرة متداولة وموجودة داخل معظم المجتمعات على اختلاف انتماءاتها الدينية والعرقية، وهي تتضمن تحريم كل الأفعال الجنسية بين الأقارب المباشرين حيث تحرم تلك العلاقات، عادة بين الآباء والأبناء، وبين الأخوة والأخوات، وأعمامهم وأخوالهم وغير ذلك، ويمتد نطاق التحريم إلى الأشخاص الذين ينتمون إلى مثل هذه العلاقات الأولية عن طريق الزواج أو الرضاعة.

ويرتبط مفهوم التحرش الجنسي بمفهوم الاغتصاب، حيث أن التحرش الجنسي يعد من مقدمات الاغتصاب، لأن الاغتصاب فعل يمكن أن يكون نتيجة مترتبة على أفعال التحرش، ويشير «أتوني جدينز» إلى أن الاغتصاب يشير إلى استخدام القسر أو التهديد به لدفع الأنثى إلى الدخول في علاقة جنسية كاملة مع شخص آخر.

وهناك أيضاً مفهوم زنا المحارم والذي يشير إلى الدخول في علاقات جنسية كاملة بين فئات قرابية، ويعرفه «وائل أبو هندی» بأنه مفهوم يشير إلى علاقة جنسية كاملة بين بالغين مكلفين من المحارم، كأخ وأخت بالعين، أو أب وابنته البالغة، أو بين الأم وابنها... الخ، سواء كانت هذه العلاقة سرّاً بين اثنين في الأسرة، أو كانت

معروفة لطرف ثالث، ويعتمد هذا التعريف على التعريف الفقهي للزنا والذي يقول «الزنا هو تغييب البالغ العاقل حشفة ذكره في فرج امرأة - ليس من حلاله - عمداً بلا شبهة، سواء أنزل أو لم ينزل»^(١).

وقد أشارت العديد من الدراسات الأجنبية والعربية إلى وجود التحرش الجنسي وزنا المحارم في المجتمعات المختلفة، لكنه يقل كثيراً في المجتمعات المسلمة عنها في المجتمعات الغربية.

ومن الدراسات الأجنبية دراسة لوكيا نولويز (١٩٧٢م). في أيرلندا الشمالية شملت عينة الدراسة ٧٠ مريضاً نفسياً، استخدم الباحث في الدراسة المنهج الوصفي وصمم استبياناً يشمل ١٥ سؤالاً يغطي جميع جوانب وأهداف الدراسة، وقد كشفت الدراسة عن أنه في العلاقات الأسرية الحميمة يكون من الصعب حل تعقيدات الرضا من طرف والاستفزاز من الطرف الآخر، فالضحية في العنف الجنسي قد لا تمتنع صراحة بل تتخذ موقف من الصمت النسبي تجاه الطرف المعتدي وهذا الغموض الجنسي هو الموقف النمطي في حالة الزنا وهتك العرض والاعتصاب، فمعنى إقامة علاقة جنسية غير مشروعة بين أفراد الأسرة تربطهم قرابة من الدرجة الأولى وحدوث ذلك ليس بالأمر النادر، كما أوضحت الدراسة أن غالبية أفراد عينة البحث كانت لهم خبرات من أنواع مختلفة من زنا المحارم كزنا الأخ مع أخته، والجد مع حفيدته، والعم مع ابنة أخيه، والأم مع ابنها، والخالة مع ابن أختها، أما زنا المحارم الأبوي فكان النمط الأكثر شيوعاً، ذلك بالنسبة للآباء الذين يبلغون من العمر ما بين ٣٠ - ٤٠ سنة وبناتهم في سن ٥ - ١٤ سنة، وقد استمرت علاقات زنا المحارم الأبوي لفترات وصلت ٨ سنوات في المتوسط، وكذلك تبين من الدراسة أن الآباء كانوا ذوي رغبات جنسية مفرطة ومحدودي القدرة على التحكم في النفس، ولديهم وقت فراغ كبير، وكانت أمهات البنات المجنبي عليهن مغلوبات

(١) العنف ضد المرأة، د. مديحة أحمد عبادة وأ. خالد كاظم أبو دوح، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م، ص ٢١٦ - ٢١٧.

على أمرهن ومكتنبات ومنفصلات عاطفياً عن أزواجهن، وكن في الغالب يفضلن الصمت والتغاضي عن تلك العلاقات خوفاً من عنف أزواجهن، أما الأسر الذي حدث فيها العنف الجنسي فكان أغلبهن من أسر الطبقة العاملة التي تعيش في مساكن ضيقة في المدن الصناعية أو في مناطق ريفية منعزلة، ويبدو أن ازدحام المنزل وضيقه وافتقاد أية حماية للحياة الخاصة والعزلة الثقافية كانت من أهم العوامل المشجعة على زنا المحارم.^(١)

وفيما يتعلق بالدراسات التي اهتمت بالآباء مرتكبي جرائم العنف الجنسي تجاه بناتهم تبين من دراسة كارين بالولايات المتحدة، أن نسبة كبيرة من الآباء مرتكبي جرائم العنف الجنسي تجاه بناتهم تعرضوا هم أنفسهم لعنف جنسي في طفولتهم أو كانوا شهوداً على علاقات جنسية عنيفة بين آبائهم وأخواتهم، كما كشفت الدراسة عن أن حرمان الآباء من العاطفة والرعاية في طفولتهم وتخلي زوجاتهم عن القيام بواجباتهم الزوجية الجنسية من الأسباب الأساسية لارتكابهم تلك السلوكيات المحرمة.

وفي دراسة أخرى أجريت في المملكة المتحدة البريطانية تبين أن ثمة عاملين هاميين في معظم حالات العنف الجنسي الأبوي وهما الضغط النفسي الناجم عن أزمة أو مشكلة الفرصة الملائمة، فكل تحول يتطلب من الشخص التكيف بشكل سبباً للضغط النفسي إذا تجاوز هذا الضغط الحدود فإنه يحدث اضطراباً، كما أوضحت الدراسة أن غياب الزوجة عن المنزل لفترات طويلة يشجع الزوج (الأب المضطرب نفسياً وعاطفياً) على البحث في ابنته عن ملاذ يلجأ إليه هرباً من الضغوط التي يعانيتها.

وكشفت دراسة: سالي للآباء مرتكبي العنف الجنسي تجاه بناتهم عن أنه في أغلب حالات العنف الجنسي الأبوي كان الأب مدمناً للكحول الأمر الذي يخلق لديه شعوراً بالكبت يسعى لإقامة علاقات جنسية مع ابنته بسبب عدم قدرته على

(١) العنف ضد المرأة، د. مديحة أحمد عبادة و أ. خالد كاظم أبو دوح، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م، ص ٢٨٨ - ٢٨٩.

مواجهة الضغوط الخارجية، كما تبين أن الأب مرتكب العنف الجنسي كطراز هو أب متسلط وييث القسوة في عائلته^(١).

وفيما يرتبط بالدراسات العربية فهي محدودة العدد، وثانياً سطحية العمق، حيث لا توجد دراسة عميقة في هذا الصدد، وفيما يلي عدد من هذه الدراسات:

- ١ - دراسة: التحرش الجنسي في المغرب، وهدفت هذه الدراسة إلى:
 - التعرف على مختلف مدلولات ومعاني التحرش الجنسي، والنماذج الثقافية المؤثرة فيه.
 - تحديد نوعية النساء اللواتي يتعرضن لظاهرة التحرش الجنسي وأي الفئات تعد الأكثر عرضة للتحرش الجنسي.
 - تحليل انعكاسات التحرش الجنسي على الحياة اليومية للنساء.
 - تحديد ردود أفعال المسؤولين، وتحليل خطابهم حول مشكلة التحرش الجنسي.

وانتهت هذه الدراسة على عدد من النتائج أهمها: أن التحرش الجنسي يلقي بالعديد من التداعيات على المرأة التي تتعرض لهذا الفعل، وصنفت هذه الدراسة تلك التداعيات إلى:

١ - أثر التحرش على الحياة المهنية للمرأة:

يؤثر التحرش على الحياة المهنية للمرأة بشكل كبير، لما ينجم عنه من وقوع المرأة تحت التهديد والابتزاز، وقد يترتب على ذلك تعرضها للفصل من العمل، أو القيام بتقديم استقالتها، بالإضافة إلى أن التحرش الجنسي يصيب المرأة بالإحباط واليأس، وقتل الطموح، وسوء التكيف مع بيئة العمل. وكل ذلك قد يدمر الحياة المهنية للمرأة.

(١) العنف ضد المرأة، د. مديحة أحمد عبادة و أ. خالد كاظم أبو دوح، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م، ص ٢٩٠ - ٢٩١.

٢- أثر التحرش على الحياة العائلية للمرأة:

يعرض التحرش حياة الضحية العائلية لتأثيرات شديدة سلبية، لأنه يصيب المرأة باضطرابات نفسية، ويفقدها الثقة في الرجال، وقد يترتب على فعل التحرش الموجه ضد المرأة المتزوجة، أن يقوم زوجها بطلاقها، وهذا يعد هدم للحياة العائلية.

٣- أثر التحرش على صحة المرأة:

تعرض ضحايا الجنس إلى هزات عصبية خطيرة، وقد أشارت بعض حالات الدراسة إلى أنهن تابعن لفترات طويلة العلاج النفسي لعدة سنوات من جراء تعرضهن لأفعال التحرش الجنسي.^(١)

وفي دراسة أخرى عن سلوك الوالدين الإيذائي والحماية القانونية للأبناء، اهتمت هذه الدراسة بتوضيح صور الإيذاء الجسدي للطفل، فعرضت لصور الإيذاء الجسدي المباشر، ومن هذه الصور الاعتداء الجنسي، ووضحت الدراسة أن الإيذاء الجسدي المباشر هو الاعتداء الجنسي، ويقصد به الاتصال الجنسي بين أحد الآباء والأبناء أو تسهيل هذا الاتصال بين الطفل وآخرين بما يلحق به الضرر الجسماني والنفسي، ورغم أن هذا النوع من الإيذاء غير محدد إحصائياً نظراً لتنافيه مع القيم الأخلاقية والدينية، لهذا فهو يتم في الخفاء ونادراً ما يبلغ عنه أو يعترف به، وأشارت الدراسة إلى أن هذا الشكل من الإيذاء يوجد داخل المجتمع المصري بكثرة، ولخطورة هذا النوع من الإيذاء، فقد حرمه القانون واعتبره جريمة هتك عرض الطفل وذلك في المادة ٢٦٩ عقوبات، ونظراً لضعف الطفل بدنياً ونفسياً بما يصعب عليه مقاومة الاعتداء من ناحية، كما أنه قد يسهل التأثير عليه ويخضع لعوامل الإغراء من ناحية أخرى. كما أنه غالباً ما ينصاع للكبار وخاصة إذا ما كانوا من أفراد أسرته، لذلك شدد القانون العقوبة إذا ما كان هذا الفعل ناتجاً من أحد

(١) العنف ضد المرأة، د. مديحة أحمد عبادة وأ. خالد كاظم أبو دوح، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م، ص ٢٩١ - ٢٩٢.

أصول الطفل، فذهبت المادة ٢٦٨ من قانون العقوبات على معاقبة هتك عرض إنسان بالأشغال الشاقة من ثلاث إلى سبع سنوات، وتفيد الدراسة أنه رغم هذه الأحكام المشددة للعقوبة إلا أنه كثيراً ما تحدث مثل هذه الاعتداءات الخطيرة داخل الأسرة سواء كان هذا الاعتداء عن طريق أحد الوالدين أو تسهيل إجرائه من خلالهم^(١).

وفي دراسة عن نماذج وأنماط الاتجاهات نحو السلوك الجنسي والانحرافات بين طلاب الجامعات المصرية توضح هذه الدراسة أن هناك تحرشاً جنسياً بالمحارم، والهدف من هذه الدراسة هو دراسة اتجاهات الطلاب نحو السلوك الجنسي في عينة من ١٠٠٠ طالب وطالبة جامعية من ثلاث كليات مختلفة الطب والآداب والحقوق، من جامعة عين شمس والقاهرة، وكانت نصف العينة من الطلاب المستجدين من الصف الأول والثاني، والنصف الآخر من العينة من الطلاب والطالبات القدامى، ومن الأدوات التي اعتمد عليه هذا البحث المقابلة من خلال تطبيق استمارة استبيان وكانت مقابلة هؤلاء الطلاب تتم على انفراد لكي يستطيع الطالب الحديث بحرية وثقة تامة، ولقد تم شرح غرض المقابلة شرحاً تاماً لكل طالب، أما الذين أظهروا مشاعر الخجل والإحساس بالذنب أو القلق، فقد تم منحهم فرص أكثر ولقد تمت مقابلة بعض الطلاب أكثر من أربع مرات، وانتهى هذا البحث إلى عدد من النتائج من أهمها الآتي:

- إن قيمة العفة والعذرية هي قيمة من القيم التي تنشدها الثقافة المصرية، ومن المتوقع أن ينظم الطلاب سلوكهم الجنسي وفقاً لها، ولقد أكدت نتائج الدراسة الميدانية على أن بعض طلاب الجامعات وطالباتها يبدون أنهم غير مكترئين بذلك أو يتجاهلون تجاهلاً تاماً.

- تشير نتائج هذه الدراسة إلى أن ٢٠٪ من الطلاب الذكور، و ٢, ٥٪ من

(١) العنف ضد المرأة، د. مديحة أحمد عبادة و أ. خالد كاظم أبو دوح، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م، ص ٢٩٦-٢٩٧.

الطالبات كانت لهم ممارسات ومضاجعات جنسية كاملة قبل الزواج ويستمر المزيد من الطلاب في هذه الممارسات الجنسية كلما كبر سنهم، وفي الفئة العمرية من ١٧ - ١٩ عاماً كانت النسبة المئوية للذكور ٤, ٢٪ وبالنسبة للإناث ٤, ٠٪ وفي الفئة العمرية ٢٣ - ٢٥ عاماً كانت توجد زيادة حادة ومفاجئة بين كل من الجنسين، ففي هذه الفئة العمرية النسبة المئوية ١٢٪ من الذكور ٢, ٣٪ من الإناث قد مارست الجنس قبل الزواج.

- وافقت نسبة ٤٥٪ من الطلاب الذكور و ١٥٪ من الطالبات الإناث على المضاجعة والجماع الجنسي قبل الزواج بينما ٥٪ من الذكور و ٧٥٪ من الإناث استهجنوا ذلك.

- أشارت نسبة ٨٠٪ من الذكور و ٨, ٩٤٪ من الإناث إلى أسباب تأجيل ممارسة العملية الجنسية إلى ما بعد الزواج لأن ذلك يحثنا عليه التراث الثقافي للمجتمع، ويرون أن وسائل الإعلام لها دور كبير في إثارة السلوك الجنسي.

- وهناك نشاط جنسي آخر يقوم به طلاب الجامعات غير نشاط الجماع وهو الملاطفة والتقبيل والملامسة، وفي هذا النشاط يتم الحصول على الإثارة الجنسية والإشباع الجنسي، ووجدت الدراسة أن ١١٪ من العينة من الجنسين مارسوا هذه الخبرة.

- أما بالنسبة للشذوذ الجنسي وضحت نتائج الدراسة أن الشذوذ الجنسي كان شائعاً وينتشر بدرجة أكبر مما توقع البحث فبلغت النسبة ١٠ ذكور و ٢ إناث يمارسون الشذوذ الجنسي.

- وتشير نتائج الدراسة إلى حالتين من غشيان المحارم وزنا المحارم: وإحدى الحالتين كانت زنا محارم بين أب وابنته، والحالة الأخرى كانت بين الأخ وأخته، وكلتا الحالتين أظهرت مشاعر الاكتئاب والقلق والخجل والذنب والجرم وكلتاهما لم تكشف عن مشكلاتهما إلا بعد المقابلة الثالثة.

- وأوضحت هذه الدراسة أن هناك حالات التحرش الجنسي بين المحارم.^(١)

وقد بدأت هذه الظاهرة في الانتشار في كل المجتمعات، وإن اختلفت في النسبة والأسباب، ويعود ذلك إلى الابتعاد عن قيم الدين وأخلاقه وتعاليمه.

حكم الزنى بين المحارم

أحل الله عز وجل النكاح، وحرّم الزنى والسفاح، وجعل الأول الطريق الطبيعي لتصرف الطاقة الجنسية، وإشباع الغريزة الجنسية بالحلال، أما الطريق الآخر فهو السلوك غير الطبيعي لإشباع الغريزة الجنسية، وقد حرم الله عز وجل الزنى كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾^(٢) وقال تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣)، وحرمة الزنا ثابت بضرورة الدين، ومن استحلّه من غير شبهة تدرأ عنه الحد فهو كافر، ومن فعله عن استخفاف وتهاون فهو فاسق.

والاغتصاب وهو من أعلى درجات (العنف الجنسي) تارة يكون ضد امرأة من غير ذات محرم في النسب، وتارة أخرى يكون ضد امرأة من المحارم النسبية، وفي الحالة الأولى يقول الفقهاء: من أكره امرأة على الزنا يجب قتله محصناً كان أو غير محصن إجماعاً ونصاً، ومنه أن الإمام الباقر أبا الإمام الصادق (عليه السلام) سئل عن رجل اغتصب امرأة فرجها؟ قال: «يقتل، محصناً كان أو غير محصن».^(٤)

وفي الحالة الثانية: أجمع الفقهاء على أن من زنى بذات محرم من النسب

(١) العنف ضد المرأة، د. مديحة أحمد عبادة وأ. خالد كاظم أبو دوح، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م، ص ٢٩٨ - ٣٠٠.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣٢.

(٣) سورة النور، الآية: ٣.

(٤) فقه الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)، محمد جواد مغنية، مؤسسة السبطين العالمية، قم - إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، ج ٦، ص ٢٧٧.

كالأم والبنت والأخت و بنت الأخ والعممة والخالة وجب قتله، متزوجاً كان أو غير متزوج، شيخاً أم شاباً؛ لقول الرسول الأعظم (ﷺ): «من وقع على ذات محرم فاقتلوه» وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «يضرب ضربة بالسيف». وفي رواية ثانية: «تضرب عنقه». إلى غير ذلك من الروايات الكثيرة.^(١)

وهذا يعني أن جريمة الاغتصاب من ذوات المحارم يعد من الجرائم الكبرى التي يعاقب عليها القانون الإسلامي بالقتل سواء كان الفاعل محصناً أم غير محصن.

أما سائر أشكال التحرش الجنسي الذي لا يصل لمستوى (الزنى) فيعاقب عليه الفاعل بالتعزير بحسب ما يراه القاضي الشرعي منعاً لانتشار المفاسد الجنسية في المجتمع.

رؤية الإسلام للجنس

ينظر الإسلام إلى الطاقة الجنسية في الكائن الإنساني نظرتة إلى الطاقات الحيوية الأخرى، حيث لكل طاقة من الطاقات الإنسانية أهداف من خلالها تسير الحياة بصورة منظمة ودقيقة ورائعة، ومن ثم فالطاقة الجنسية ليست سوى جزءاً من التركيبة العامة للإنسان، والتي يجب تصريفها في المسار المحدد لها.

ولما كان الإسلام دين الفطرة فقد شرع الزواج والنكاح كأسلوب إنساني وأخلاقي لتصريف الطاقة الجنسية في مسار الحلال، ومنع من تصريفها في الحرام؛ ولذلك فالإسلام لا يسمح بصرف الطاقة الجنسية من دون ضوابط ومعايير وقيود كما هو حال الماديين الذين أطلقوا العنان للعلاقات الجنسية، ولم يضعوا أية ضوابط شرعية أو أخلاقية، بل شجعوا على الممارسة الجنسية المفتوحة، وسنوا القوانين لحماية مثل تلك العلاقات الفوضوية في المجال الجنسي، بدعوى أنه جزء

(١) فقه الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)، محمد جواد مغنية، مؤسسة السبطين العالمية، قم - إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، ج ٦، ص ٢٧٦.

من الحرية الشخصية!!

وكما لا يقبل الإسلام بالعلاقات الجنسية غير المشروعة، كذلك لا يوافق على كبت الطاقة الجنسية والعزوف عن الزواج كما هو حال رجال الكنيسة وبعض الفلاسفة وغلاة المتصوفة! فالإسلام دين الاعتدال، فهو يدعو إلى تصريف الطاقة الجنسية من خلال الزواج الشرعي، ويحرم العلاقات الجنسية القائمة على الصداقة والتراضي؛ لأن ذلك يؤدي إلى الفوضى الجنسية، وتحطيم كيان الأسرة، وتدمير القيم الأخلاقية والإنسانية والدينية، وترويج المجون والإباحية والفساد، كما ينهى الإسلام عن الرهينة والعزوبة لأن ذلك مخالف للفطرة، ومنطق العقل، وضرورة الجسم، وحاجة النفس.

«تعتبر الغريزة الجنسية من العوامل المهمة جداً في تحقيق اللذة والسعادة في حياة البشر، هذه الغريزة تثير بجاذبيتها القوية المرأة والرجل، وتلهب فيهما نار الشوق والود، وتدفعهما لوصول أحدهما بالآخر لإرواء هذا الميل الشديد باللذة والسعادة.

ولعل مسألة الزواج وبشكل عام العلاقات الجنسية، استأثرت باهتمام الأوساط الدينية والعلمية في كل الأزمنة والأعصار، وقيلت فيها نظريات إفرافية وتفريطية ومعتدلة.

وقد اعتبر أتباع الكنيسة ومؤيدو بعض المدارس، وكذلك بعض الفلاسفة وعلماء الأخلاق أن العملية الجنسية سلوك حيواني منفور منه وقذر، وقد اختار هذا الصنف طريق التفريط حيال الغرائز وكتبوها بصعوبة بالغة، وحرّم الكثير من الشباب المعتقدين بهذه النظرية -إنثاءً وذكوراً- على أنفسهم الحياة الطبيعية واللذائذ المشروعة، وراح بعضهم إلى ممارسة رياضات عسيرة، وتحمل ضغوطاً وآلاماً شديدة على أمل نيل الكمال الروحي والسمو المعنوي.

وفي مقابل النظرية التفريطية يوجد أتباع النظرية الإفرافية حيث يعتقدون

بإطلاق حرية الغرائز، ويعتبر فرويد وأتباعه من متأخريهم، أخذوا جانب الإفراط والتطرف إزاء الميل الجنسي، ووجهوا انتقادات لاذعة للضوابط القانونية والأخلاقية، فقد بالغ فرويد في إطلاق حرية الغريزة الجنسية.. هذه النظرية الخاطئة التي استندت إلى مبدأ اللذة خلقت مفاسد لا تعد ولا تحصى، وضللت الكثير من شباب الشرق والغرب وساقتهم نحو طريق الفساد والانحراف.

أما الدين الإسلامي فإنه يرفض كلتا النظريتين ويتقدّهما، حيث عجز مؤسسهما وأتباعهم عن فهم الحقيقة والنظر إلى الغريزة الجنسية بنظرة واقعية، وتمييز المباح من الممنوع والصالح من الطالح، ولهذا سلكت إحدى المجموعتين سبيل الإفراط والأخرى نهج التفريط، وما من سبب لهذا الإفراط والتفريط إلا الجهل، كما يعبر عن ذلك الإمام علي بقوله: «لا يرى الجاهل إلا مُفراطاً أو مُفراطاً»^(١).

والاعتدال في استخدام الغريزة الجنسية، أمر يرضى عنه الخالق تبارك وتعالى، ويطلق سنن الخلقة، فهذا الأسلوب لا يطلق العنان للغريزة الجنسية ولا يكتبها ويرفضها كلياً، بل يجري التحكم بهذا الميل الطبيعي بنحو صحيح بمساعدة من القانون والأخلاق، وتوفير متطلبات إشباعها بحدود المصلحة الفردية والاجتماعية.

وقد وضع الإسلام ضوابط معينة وقيوداً محددة لإشباع الغريزة الجنسية على أساس المصلحة المادية والمعنوية وفقاً لنظام الخلقة، وسنّ مقررات يكتفي بموجبها الرجال بالنساء والرجال بالرجال، ومنع من انتهاج أساليب منحرفة عن سنة التكوين، ووصف المنحرفين جنسياً بالمعتدين ﴿فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾^(٢) (٣).

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ١، ص ٤١٥، رقم ٣٥.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٧.

(٣) الأفكار والميول في علاقة الشباب والشيوخ والكهول، ج ١، ص ١٦١.

وقد اهتم الإسلام بالطاقة الجنسية في الإنسان ضمن اهتمامه بالطاقات الحيوية للبشر، ولتعلق الطاقة الجنسية بجسد الإنسان ونفسيته وسلوكه فإن معالجة الأمور الجنسية اتصلت بالإنسان كله: نفسه، وسلوكه، وأخلاقه، وطاقته الجسدية. بالإضافة إلى أن الإسلام عالج مسائل الجنس بصراحة ووضوح في أدب سام رفيع يجعل الجنس نشاطاً إنسانياً سامياً إذا وجه للحلال، وعملاً حيوانياً ساقطاً إذا وجه في الحرام؛ ولذلك جعل الإسلام الزواج هو المكان المشروع، والنظام المعروف لتبديد الطاقات الجنسية في الإنسان، والارتفاع بالمجتمع الإنساني بوقايته من الانسياق وراء شهواته بلا وازع، ولا تنظيم، ولا حرمة، ولا قداسة.

إن الإسلام يحرم تلبية الحاجات الفطرية للبشر عن طريق المخالطة الجنسية، والفوضى في العلاقات، والتعدي على الأعراض التي لا تستحل إلا بالنكاح الصحيح.

إن الإسلام يهدف في تربيته الجنسية إلى الارتقاء بالإنسان، والارتفاع به عن مستوى بعض الحيوانات؛ لأن كثيراً من الحيوانات تعيش حياة جنسية منظمة، وتنفر من الفوضى الجنسية، بل ويغار الذكر منها دائماً على الأنثى؛ فإذا كان الجنس مكشوفاً في حياة الأمة، هابطاً عارياً كما في بعض الحيوانات، مباحاً مبذولاً بلا رابط ولا قيد كان هادماً للحياة، مدمراً للمجتمع، منافياً للفطرة التي تنفر من الفوضى الجنسية، ولذلك حرم الإسلام الزنى، وشدد عقوبة المقترف له، لما لانتشاره من آثار اجتماعية واقتصادية ونفسية سيئة على المجتمع^(١).

ونتيجة للإباحية الجنسية في الغرب فقد انتشرت ظاهرة الاغتصاب بصورة مقلقة، بل وخطيرة، كما انتشرت ظاهرة الأولاد غير الشرعيين، وقد أباحوا في بعض البلاد الغربية الإجهاض كحق من حقوق المرأة! ولم يتذكروا حق الجنين في الحياة، وأنه إنسان له كامل الحق في الحياة؛ كما أن كثيراً من النساء في الغرب لا يرغبن في الإنجاب، وتخلي بعض الرجال عن تحمل المسؤولية تجاه الأولاد، وأصبح همّ

(١) مشكلات الشباب.. الحلول المطروحة والحل الإسلامي، ص ٨٧.

الكثير من الشباب والفتيات إشباع الغريزة الجنسية بصخب وجنون وإسراف، تحت مسمى الحرية الشخصية، وأصبحت الحرية الجنسية في المفهوم الغربي مرتبطة بحرية الجسد، وممارسة الجنس بلا ضوابط، والتعري أمام الملأ العام بلا حياء ولا خجل.. وقد أدى ذلك إلى الفساد الاجتماعي، والتحلل الأخلاقي، وتحطم كيان الأسرة والعائلة، وتدمير البنية الأخلاقية والروحية والقيمية للشباب والفتيات!

ونتيجة لهذه المفاسد وغيرها الناتجة من الحرية الجنسية المطلقة، فقد حرم الإسلام جميع أنواع الانحرافات الجنسية، وشرع عقوبات شديدة وصارمة لمن يقترفها، وجعل الزواج الشرعي هو الطريق الفطري والأخلاقي الوحيد لتصريف الطاقة الجنسية.^(١)

وعندما يدعو الإسلام المرأة إلى الالتزام بالحجاب الشرعي، والتحلي بالحشمة والاحتشام والعفة والاتزان، فإنما من أجل حمايتها من أي اعتداء أو انتهاك لجسدها وحرمتها الشخصية.

كذلك ينبغي للمرأة المسلمة أن تراعي الآداب الإسلامية في اللباس حتى داخل حرم كيان الأسرة، حتى تحافظ على نفسها من أي انحراف، أما الظهور أمام المحارم بصورة مثيرة للغاية، ولبس الملابس غير المحتشمة، فإن ذلك قد يشجع أحد أفراد أسرتها - وإن كان ذلك غير مبرر - على ارتكاب الزنى، وهو جريمة كبيرة يعاقب عليها الإسلام بالقتل لمن يقترفها.

فعلى المرأة المسلمة التحلي بأخلاقيات وآداب الإسلام في كل شيء، خصوصاً في الملابس والسلوك، وعليها أن لا تعطي أية فرصة للشيطان أن يمكر بها، مما قد يدفعها أو يدفع معها أحد محارمها على ارتكاب أشد المحرمات في الإسلام وهو الزنى بذات محرم.

(١) الشباب هموم الحاضر وتطلعات المستقبل، عبدالله أحمد اليوسف، مؤسسة البلاغ، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

الفصل الثالث

فئات العنف الأسري

مدخل

تعاني المجتمعات الإنسانية في كل مكان من انتشار ظاهرة العنف الأسري، والعالم العربي ليس استثناء من هذه الظاهرة، بل تشير الأرقام والإحصائيات والدراسات إلى تزايد انتشار العنف الأسري فيه بمختلف أنواعه وأشكاله، وتستخدم فيه كل الأدوات والوسائل المتبعة في ممارسة العنف ضد الأسرة.

«وقد كسرت الدول الأوروبية الصمت حول ظاهرة العنف، بعكس المجتمعات العربية التي تعتبر أن ما يحصل داخل الأسرة يبقى سراً وكأنه شيء مقدس، فما يحصل في بلادنا العربية محاولة للتغطية وإنكار وجود العنف إلا نادراً. فكم من الزوجات تعرضن للإهانة والضرب والشتيم وحتى الاغتصاب من قبل أزواجهن ولم يتحدثن عنه وعشن حياتهن صابرات ولكن ذليلات لا حول لهن ولا قوة. وكم من الفتيات تعرضن للضرب والإهانة بحجة التربية، وتعرضن للاغتصاب والتحرش الجنسي واختبأن وراء الصمت والخجل خوفاً من أن يصبحن هن الجانيات.

والعنف الأسري هو كل عنف يقع في إطار العائلة ومن قبل أحد أفراد العائلة (كالأب، الأخ الأكبر...) بما له من سلطة أو ولاية أو علاقة بالمعنف. إن الأطفال مقلدون بطبيعتهم لذلك وجب على الأهل أن يكونوا قدوة جيدة لأطفالهم. هكذا يتشرب الطفل الأخلاق والعادات الحسنة واللطيف إذا وفر له الأهل المثال الجيد، أما إذا أظهر الأهل مزاجاً سيئاً واستخدموا كلمات نابية وكانوا كاذبين وأنانيين،

وتجاهلوا أطفالهم عندما يتحدثون إليهم فينشغلون عنهم بأي شيء، فعليهم أن يتوقعوا أبناء مثلهم تماماً. إن الممارسات العنيفة في المنزل تؤدي إلى أن يصبح الابن عدوانياً والابنة منعزلة، وقد تصبح أما عنيفة ومهملة لأطفالها عندما تكبر.^(١)

وتشير الكثير من الدراسات الميدانية في العالم العربي إلى أن الزوجة هي الضحية الأولى، ومن ثم فإن الزوج هو الممارس الأول للعنف ضد زوجته، يأتي بعدها الأطفال كضحايا إما للأب أو للأخ الأكبر أو للأم.

وما نريد الحديث عنه من أنواع العنف الموجه ضد الأسرة يشمل الفئات والشرائح التالية:

- ١- العنف ضد الزوجات.
- ٢- العنف ضد الأطفال.
- ٣- العنف ضد الأزواج.
- ٤- العنف ضد الخدم.

وبالبداهة مع العنف الموجه ضد النساء بشكل عام، والمتزوجات منهن بشكل خاص.

(١) - إشكالية العنف: العنف المشرع والعنف المدان، د. رجاء مكّي ود. سامي عجم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ص ٩٠.

أولاً: العنف ضد الزوجات

العنف ضد المرأة هو: أي عمل عنيف عدائي أو مهين تدفع إليه عصبية الجنس، ويُرتكب بأية وسيلة كانت بحق أية امرأة، ويسبب لها أذى نفسي أو بدني أو جنسي أو معاناة بما في ذلك التهديد بأفعال من هذا القبيل، أو القسر أو الإكراه أو الحرمان التعسفي من الحرية سواء حدث ذلك في الحياة العامة أو الخاصة.

ومن التعريف نفهم أن العنف هو أي فعل مقصود أو غير مقصود يسبب معاناة نفسية أو جسدية أو جنسية للمرأة، فالعدوان عنف، والإهانة عنف، وكل ما يخلق لها معاناة من قهر وخوف وتهديد هو عنف، فكل فعل يمارس من قبل الرجال في العائلة أو المجتمع ابتداءً من الشتم والتحرش الجنسي واستخدام القسوة ضدها والانتقاص من قيمتها كإنسان، وإجبارها على فعل ما لا تريد، وحرمانها من حقوقها، وانتهاءً بالاغتصاب أو القتل هو عنف ضد المرأة.

إن المصدر الأكبر الذي يتهدد النساء، بلا استثناء، هم الرجال الذين يعرفهم، وليس الغرباء، وغالباً ما يكون هؤلاء أفراد العائلة أو الأزواج وما يثير الدهشة هو درجة الشبه التي تحيط بهذه المشكلة في مختلف أنحاء العالم. بحيث يعتبر بالنسبة لملايين النساء، ليس المأوى الذي يجدن المأمن فيه، وإنما مكان يسوده الرعب حيث يمثل العنف الأسري أكثر أشكال العنف ضد المرأة انتشاراً وأكثرها قبولاً من المجتمع، وتعرض له نساء ينتمين إلى كل الطبقات الاجتماعية والأجناس

والديانات والفئات العمرية على أيدي رجال يشاركونهن حياتهن.^(١)

ويأخذ العنف الموجه ضد الزوجات أنواعاً متعددة وأشكالاً مختلفة من السلوك المسبب للضرر، ويعرّف العنف ضد المرأة كما جاء في إعلان الجمعية العمومية للأمم المتحدة (١٩٩٣ م) بأنه: عنف يقوم على أساس النوع أو الجنس ويتج عنه ضرر أو أذى جسدي أو نفسي أو جنسي، ويشمل التهديد بالفعل ذاته أو الإكراه أو الحرمان من الحرية الشخصية سواء حدث ذلك في الحياة الخاصة أو العامة.

وعلى الرغم من أن معظم حالات العنف ضد الزوجات لا يتم الإبلاغ عنها ولا تمثل الواقع الفعلي للظاهرة، إلا أن نتائج ما يقرب من ٥٠ مسحاً ميدانياً أجريت في أجزاء متفرقة من العالم أشارت إلى أن ما بين (١٠-٥٠٪) من النساء ذكرن بأنهن تعرضن للضرب أو الإيذاء الجسدي من قبل شريكها خلال حياتها، وتشير الدراسات إلى أن العنف الجسدي يلازمه في الغالب إيذاء أو حتى إكراه واغتصاب جنسي، فعلى سبيل المثال فإن من بين ٦١٣ تم استجوابها في أحد المسوح الميدانية في اليابان تبين أن (٥٧٪) من النساء تعرضن لأنواع الثلاثة معاً - العنف الجسدي والنفسي والجنسي - وأن نسبة (٥٨٪) تعرضن للإيذاء الجسدي فقط، كما أن الأغلبية ممن تعرضن للإيذاء الجسدي في كل من نيجيريا والمكسيك تعرضن أيضاً للاغتصاب.

كما دلت المقابلات المتعمقة وإحصائيات الجرائم إلى أن ما بين ١٠ إلى ٢٥٪ من النساء المتزوجات يتعرضن للعنف من جانب أزواجهن، وأن معظم هذه الحالات تعاني من العنف البدني، كما أن معظم حالات قتل الزوجات يعود إلى العنف الذي يمارس عليهن من قبل أزواجهن.^(٢)

(١) إشكالية العنف: العنف المشرع والعنف المدان، د. رجاء مكي ود. سامي عجم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ص ٩٠-٩١.

(٢) - العنف الأسري: دراسة ميدانية على مستوى المملكة العربية السعودية، د. عبدالله بن عبد العزيز اليوسف وآخرون، وزارة الشؤون الاجتماعية، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص ٣٦-٣٧.

ظاهرة العنف ضد المرأة في دول العالم

أولاً: العنف الأسري ضد المرأة في الدول غير الإسلامية:

العنف في أمريكا:

ترى دراسة أجريت عام ١٩٨١م أن حوادث العنف الزوجي منتشرة بين (٥٠ - ٦٠٪) من العلاقات الزوجية في الولايات المتحدة الأمريكية، في حين قدرت دراسة أخرى أجريت عام ١٩٨٢م هذه النسبة بـ (٢١٪)، كما تبين في دراسة أخرى أجريت عام ١٩٨٠م على ٦٢٠ امرأة أمريكية أن نسبة (٣٥٪) منهن تعرضن للضرب مرة واحدة على الأقل من قبل أزواجهن، ودلت نتائج دراسة أخرى أجريت عام ١٩٨٤م أن نسبة (٤١٪) من النساء كن ضحايا العنف الجسدي من قبل أمهاتهن، و (٤٤٪) من قبل آبائهن و (٤٤٪) منهن كن شهوداً لحوادث الاعتداء الجسدي لآبائهن على أمهاتهن.

وفي إحصائيات عام ١٩٨٥م تبين أن (٢٩٢٨) شخصاً قتل على يد أحد أفراد عائلته، وأن ثلث النساء اللاتي قتلن لقين حتفهن على يد أزواجهن أو شريك حياتهن، وأن الأزواج مسؤولون عن قتل (٢٠٪) من النساء اللاتي قتلن عام ١٩٨٤م، في حين أن القتلة كانوا من رفاقهن الذكور في (١٠٪) من الحالات.^(١)

(١) العنف الأسري: دراسة ميدانية على مستوى المملكة العربية السعودية، د. عبدالله بن عبد العزيز اليوسف وآخرون، وزارة الشؤون الاجتماعية، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص ٣٨.

العنف في بريطانيا:

وفي بريطانيا فإن أكثر من (٥٠٪) من القتلات كن ضحايا الزوج أو الشريك، وارتفع العنف في المنزل بنسبة (٤٦٪) خلال عام ١٩٩٢م، كما ثبت أن (٢٥٪) من النساء يتعرضن للضرب من قبل أزواجهن أو شركائهن، كما تتلقى الشرطة البريطانية ١٠٠ ألف مكالمة سنوياً لتبلغ عن شكاوى اعتداء على زوجات، وأن ما يقارب (٤٥٪) من حالات الطلاق تعزى إلى العنف في المنزل، وبصورة رئيسة إلى تعاطي المسكرات وهبوط المستوى الأخلاقي.

العنف في نيوزلندا:

واستناداً لإحصائيات رسمية استهدفت رصد ظاهرة العنف في نيوزلندا، فإن ما يقارب ٣٠٠ ألف امرأة وطفل كانوا ضحايا العنف الأسري، وتبعاً لدراسة قام بها مقدمو الخدمات توصلوا إلى نتيجة أن معدل انتشار العنف الأسري تبلغ قرابة (١٤٪)، وأشارت دراسات أخرى مشابهة أن معدل الانتشار هو ١٠:١ أو ٤:١ وبالرجوع إلى عدد السكان في آخر شهر آذار ١٩٩٤م تبين أن نسبة واحدة إلى سبعة تساوي ١٢٩٥٥٦ طفلاً، وامرأة واحدة من سبعة تساوي ١٧٢١٢٥ امرأة.

العنف في النمسا:

أما في النمسا فقد أشارت إحصائيات عام ١٩٨٥م إلى أن العنف الأسري كان من العوامل الرئيسة في فشل الزواج في (٥٩٪) من ١٥٠٠ قضية طلاق، منها (٣٨٪) الزوجات الممتنيات إلى الطبقة العاملة اللاتي استدعين الشرطة رداً على الاعتداء عليهن بالضرب المبرح، في حين أنه لم تفعل ذلك غير (١٣٪) من النساء الممتنيات إلى الطبقة المتوسطة، و(٤٪) من النساء الممتنيات للطبقة العليا.^(١)

(١) العنف الأسري: دراسة ميدانية على مستوى المملكة العربية السعودية، د. عبدالله بن عبد العزيز اليوسف وآخرون، وزارة الشؤون الاجتماعية، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص ٣٨.

بعض نکتہ نگاروں کی طرف سے:

بہت سے نکتہ نگاروں نے کہا ہے کہ بعض نکتہ نگاروں نے کہا ہے کہ ان کی طرف سے جو نکتہ نگاروں کی طرف سے لکھے گئے ہیں ان میں سے بہت سے نکتہ نگاروں کی طرف سے لکھے گئے ہیں۔

بعض نکتہ نگاروں کی طرف سے:

بہت سے نکتہ نگاروں نے کہا ہے کہ بعض نکتہ نگاروں نے کہا ہے کہ ان کی طرف سے جو نکتہ نگاروں کی طرف سے لکھے گئے ہیں ان میں سے بہت سے نکتہ نگاروں کی طرف سے لکھے گئے ہیں۔

بعض نکتہ نگاروں کی طرف سے:

بہت سے نکتہ نگاروں نے کہا ہے کہ بعض نکتہ نگاروں نے کہا ہے کہ ان کی طرف سے جو نکتہ نگاروں کی طرف سے لکھے گئے ہیں ان میں سے بہت سے نکتہ نگاروں کی طرف سے لکھے گئے ہیں۔

بعض نکتہ نگاروں کی طرف سے لکھے گئے ہیں۔ ان کی طرف سے لکھے گئے ہیں۔ ان کی طرف سے لکھے گئے ہیں۔ ان کی طرف سے لکھے گئے ہیں۔

العنف في سويسرا:

يطلق على سويسرا أقدم ديمقراطية في العالم إلا أن هذه الديمقراطية القديمة ظالمة للمرأة وتحمل إساءة بل وإهانة لها، فهذه الديمقراطية لم تمنح المرأة السويسرية حق التصويت في الانتخابات إلا في عام ١٩٧١م، ولم تنل المرأة حقوقها السياسية إلا في هذه السنة، وكان حق التصويت والترشيح مقصوراً فقط على الرجل.

ولم ينص القانون السويسري على أن هناك حقوقاً متساوية للرجل والمرأة في الأسرة والتربية والعمل، ولم تدخل المرأة السويسرية البرلمان إلا في سنة ١٩٨٤م وهي سيدة واحدة تدعي إليزابيت كوب وقد تعرضت لكثير من الضغوط للتقاعد عن العمل السياسي.

وبالإضافة إلى الإساءة إليها طويلاً من خلال حرمانها من أبسط حقوقها السياسية وهي الانتخاب والترشيح للبرلمان، فإن المرأة السويسرية لم تفلت من الإساءة إليها حيث تشير المستشفيات وأقسام الشرطة وبيوت الإيواء إلى تعرض المرأة السويسرية لأشكال الإساءة من القتل إلى الاعتداء البدني الشديد إلى الاغتصاب والتحرش الجنسي إلى الإهانة النفسية والإهمال.

وهنا يظهر التناقض في البلاد التي تدعو إلى الحرية والمساواة حيث أنهم يقصدون فقط الحرية للرجال أما النساء فهن الجنس الثاني.

العنف في بلغراد:

كما تمثل بلغراد شكلاً آخر من أشكال الإساءة إلى المرأة حيث نشبت الحرب الأهلية ومات حوالي نصف مليون فرد في صيف ١٩٩٣م وترك حوالي ٣٠٠٠٠٠٠ من البوسنة أراضيهم وبقي في البوسنة المسلمة النساء والأطفال والشيوخ فقط وقام الجنود الصرب بالاعتداء على الشيوخ واغتصاب النساء المسلمات.

وغالباً ما يقترن الاغتصاب بنوع من السادية كحرق للنساء أو جرحهن أو تكسير عظامهن، وأن النساء كن يشعرن بالعجز واليأس وانهييار اعتبار الذات.

كما أن الجنود عندما عادوا إلى أسرهم بعد الحرب كانوا أكثر عنفاً مع زوجاتهم وأكثر اعتداء عليهن بل وأكثر اغتصاباً لهن بالإضافة إلى حدوث حالات اغتصاب وتحرش جنسي من الجنود لأمهاتهم وأخواتهم.

العنف في المجر:

يعتبر العنف جزء من الثقافة المجرية حيث أن التراث المجري والأغاني تحث الإناث على الصبر في مواجهة عدوان الذكور، والعنف البدني حدث نتيجة لما مرت به المجر من أزمات وحروب.

وتشير البحوث إلى أن حوالي ٢ مليون سيدة من المجر قد تعرضن للعنف خلال فترات حياتهن، كما يوجد أكثر من مائة مأوى للزوجات المضروبات وأطفالهن، وأشارت أنه في عام ١٩٩٣م فقط كانت الإحصاءات الرسمية من أقسام الشرطة والمستشفيات وبيوت الإيواء لمظاهر الإساءة للإناث: ٥٦٨٨ اعتداء بدني ضد المرأة، ١٥٣ جريمة قتل ضد المرأة، ١٢٣٩ إساءة نفسية، ٣٤٦ إساءة جنسية (اغتصاب وتحرش جنسي).

العنف في روسيا:

ينتشر العنف ضد المرأة في الاتحاد السوفيتي سابقاً وفي روسيا الآن حيث نشرت صحيفة البرافدا أنه في سنة ١٩٩٣م فقط وجد حوالي ١٤٨ اعتداء جنسي على المراهقات، كما أشارت الصحيفة إلى أن أكثر حالات الاعتداء الجنسي ٥٥٪ تكون على نساء تراوحت أعمارهن ما بين ١٨ - ٣١ سنة وقد تعرض حوالي ١٤ ألف أنثى للقتل و٥٧ ألف للضرب. وهناك أشكال أخرى من الإساءة غير الإساءة الجسمية والجنسية والنفسية وهي استغلال المرأة في البغاء والأعمال المنافية للآداب سواء داخل روسيا أو خارجها، بل أن هناك عصابات دولية تستغل البنات

الروسيات في أعمال الدعارة في أوروبا وفي شتى أنحاء العالم خاصة البنات ذو الدخل والمستوى الاقتصادي والاجتماعي المنخفض.

وهناك شكل آخر من أشكال استغلال المرأة غير الدعارة وهو استغلالها في تصوير بعض الأفلام الجنسية وهذه الأفلام قد تحتوي على الجنس والجنس المقترن بالعنف والسادية.

كما يتم استغلال النساء في تصوير بعض الصور الجنسية وتوزيع وبيع هذه الصور على المراهقين؛ وكل هذا يمثل أشكالاً من الإساءة إلى المرأة التي يجب دراستها والالتفات إليها.

وأمام تفاقم ظاهرة العنف ضد المرأة عربياً وعالمياً، فكان لزاماً من التدخل لحماية المرأة من جميع صنوف العنف الموجهة ضدها. وعليه أقرت الجمعية العمومية للأمم المتحدة اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة في ١٨ كانون الأول ١٩٧٩م (قرار الأمم المتحدة رقم ٣٤ / ١٨٠)، وتم العمل بهذه الاتفاقية في ٣ أيلول ١٩٨١م وفقاً للمادة ٣٧(١) التي تنص على دخول الاتفاقية حيز التنفيذ بعد المصادقة رقم ٣٠ عليها. ومنذ شهر أيلول ٢٠٠٠م أصبح عدد الدول التي قامت بالمصادقة على الاتفاقية ١٦٧ دولة. وقد نصت الاتفاقية على أن ميثاق الأمم المتحدة يؤكد من جديد الإيمان بحقوق الإنسان الأساسية، وبكرامة الفرد وقدره، ومساواة الرجل والمرأة في الحقوق.^(١)

العنف في كندا:

في إحصائية كندية شملت النساء المتزوجات، نتج عنها أن العاصمة شهدت عدة اعتداءات ضد الزوجات أكثر من أي مكان في كندا. فقد صرح ٣٦٪ من الزوجات بأنهن قد تم الاعتداء عليهن بشكل أو بآخر، لمرة واحدة على الأقل منذ بلوغهن سن

(١) سيكولوجية القهر الأسري، د. رشاد علي عبدالعزيز موسى، عالم الكتب، القاهرة- مصر، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م، ص ٢٤-٢٧.

الفصل الثالث: فئات العنف الأسري

السادسة عشر، ٨١٪ من الاعتداءات التي رصدها جهاز الشرطة، تبين تورط معتد ذكر، و٥٩٪ معتدية أنثى، ١٠٪ تورط معتد ذكر وأنثى معاً، وما يزيد عن الضعف، و٥٣٪ من هذه الحوادث ثبت أن طرفاً واحداً على الأقل كان تحت تأثير شرب الكحول.^(١)

العنف في ألمانيا:

ذكرت دراسة ألمانية أن ما لا يقل عن مائة ألف امرأة تتعرض سنوياً لأعمال العنف الجسدي أو النفساني التي يمارسها الأزواج، أو الرجال الذين يعاشرونهن مع احتمال أن يكون الرقم الحقيقي يزيد عن المليون، وانتهت الدراسة إلى أن الأسباب المؤدية إلى استخدام العنف هي البطالة زمنياً طويلاً، والديون المالية، والإدمان على المشروبات الكحولية، والغيرة الشديدة.^(٢)

ثانياً: العنف ضد المرأة في الدول العربية:

العنف في المغرب:

أظهرت مراجعة لملفات قضايا الزوجية بالمحكمة الابتدائية لمدينة الدار البيضاء عددها الإجمالي ٣٠٠٠ ملف، أن ١٥٠٣ ملف منها يتعلق بالمطالبة بالنفقة، إلا أن تحليلها أظهر تعرض النساء المدعيات للعنف داخل الأسرة. فقد اشتمت ٧٦٣ مدعية (٦, ٥٠٪) من العنف المرتبط بالإدمان على المخدرات، و٣١٦ مدعية (٢١٪) اشتمت من عنف نفسي يتجلى في إهمال الزوج وعدم تحذره مع زوجته. وظهر أن الشرائح الاجتماعية التي تستقطب النسبة الأكبر من حالات العنف هي على التوالي: الشريحة المتوسطة (٥٧٪)، الشريحة الفقيرة (٢٧, ٥٪)، الشريحة العليا (٦, ١٥٪).

(١) سيكولوجية القهر الأسري، د. رشاد علي عبدالعزيز موسى، عالم الكتب، القاهرة- مصر، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ص ٢٣.

(٢) سيكولوجية القهر الأسري، د. رشاد علي عبدالعزيز موسى، عالم الكتب، القاهرة- مصر، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ص ٢٤.

العنف في تونس:

أجرى الاتحاد الوطني للمرأة التونسية دراسة حول العنف الزوجي عام ١٩٩١م أبرزت ضخامة هذه الظاهرة وخصوصياتها. فبالرغم من أن ٦٠٪ من النساء و ٥١٪ من الرجال وصفن العنف بأنه غير مقبول، إلا أن هناك اتجاهات لتشريع مثل هذا السلوك، فقد اعتبر ٤٠٪ من الرجال و ٣٠٪ من النساء أنه من الطبيعي أن يضرب الرجل المرأة من أجل تقويمها، كما اعتقد ٦, ٣١ من الرجال أن العنف ضد المرأة أمر مقبول.

وأبانت الدراسة أن ٨, ٥١٪ من النساء اللواتي يتعرضن للعنف يلجأن إلى العائلة، بينما تتجه ٩, ٣٪ فقط إلى مراكز الشرطة، ٥, ٣٪ إلى المحاكم، ١, ٤٪ إلى المرشحات الاجتماعيات.

وبالرغم من أن العنف جريمة يعاقب عليها القانون التونسي، إلا أن العنف الزوجي يعتبر مشروعاً بالثقافة والواقع المعيشي، ويظل من الصعب إنصاف ضحاياه لصعوبة توفير الأدلة، وعدم كفاية الشهادة الطبية.

العنف في مصر:

بينت تقارير وسجلات الأمن العام خلال خمس سنوات (١٩٩٠م - ١٩٩٤م)، أن هناك ٨٤٤ قضية هتك عرض، وقد تزايدت جرائم الاغتصاب من ١٦٣ في عام ١٩٩٣م إلى ٣٠٣ قضية في عام ١٩٩٤م، وفيما يتعلق باغتصاب المحارم، لا تصل إلى علم الشرطة بلاغات حول ذلك إلا بصورة نادرة جداً، إذ تعتبر هذه الحادثة بمثابة إعدام نفسي لما لها من آثار وخيمة. والمعلومات والدراسات حول الموضوع نادرة لصعوبة إجرائها.^(١)

(١) سيكولوجية القهر الأسري، د. رشاد علي عبدالعزيز موسى، عالم الكتب، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ص ١٧ - ١٨.

وتشير منال سيد (٢٠٠٠م) إلى أن العنف ضد الزوجة في المجتمع المصري يمثل مشكلة حيث تتعرض ما يقارب (٣٥٪) من الزوجات للضرب في حال معارضتهن لأزواجهن، وأن نسبة (٦٩٪) منهن يتعرضن للضرب في حال ردهن على أزواجهن بلهجة لا تعجب الزوج.^(١)

وفي مصر أيضاً، بينت دراسة أخرى أن ما نسبتهن ٣٥٪ من النساء الشابات في الفئة العمرية (١٥ - ٢٤) يتعرضن للعنف بشكل أو بآخر لأسباب مختلفة.

العنف في الأردن:

أما في المجتمع الأردني فتتراوح نسبة من يعانين من العنف حسب الدراسة التي أجريت عام (١٩٩٨م) كانت ٥٦٪ يعانين من أشكال مختلفة من العنف، ونسب أخرى مختلفة تتوزع بين هذه الأشكال العنيفة، إلا أن هذه النسبة العالية نسبياً قد انخفضت إلى ٤٨,٢٪ حسب نتائج الدراسة التي أجريت في عام (١٩٩٩م)، ولكن برزت، في نفس الوقت، مظاهر العنف الجسدي، ونعني الضرب أو الركل أو الدفع، كظاهرة شائعة ومنتشرة قياساً بأنماط العنف الأخرى حيث تكرر هذا النوع من العنف ١٢٩ مرة لدى ضحايا العنف من النساء البالغات في تلك العينة الكبيرة والتي وصلت أعدادها إلى ١٢٣٣ امرأة، وبنسبة تعادل ٢, ٢٤٪ من مجموع التكرارات الخاصة بأشكال العنف ومظاهرها جميعاً.^(٢)

العنف في الضفة الغربية وقطاع غزة:

بينت ٥٣٪ من النساء الفلسطينيات أنهن تعرضن للضرب على الأقل مرة واحدة، وقد تعرضت ٣٣٪ منهن للدفع والركل والإيقاع، و٣٣٪ للصفع، و١٦٪

(١) العنف الأسري: دراسة ميدانية على مستوى المملكة العربية السعودية، د. عبدالله بن عبد العزيز اليوسف وآخرون، وزارة الشؤون الاجتماعية، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ص ٣٩..

(٢) العنف الأسري وخصوصية الظاهرة البحرينية، د.بنة بوزبون، المركز الوطني للدراسات، المنامة - البحرين، الطبعة الأولى ٢٠٠٤ م، ص ٧٢.

بآلة حادة، أو الطعن والذبح بالسكين، أو الحرق والصعق بالتيار الكهربائي.

٢- تمثل الزوجات غالبية ضحايا العنف الأسري من النساء، تأتي بعدهن نسبة الضحايا من الأمهات، فالأبناء الإناث فالأخوات. كما توجد نسبة من الضحايا ذات صلات قرابية أخرى كالحماة، وزوجة الأب، وابنة الخالة أو العم.

٣- برغم تعدد أسباب العنف واختلافها، إلا أن الأسباب الاقتصادية تأتي على رأس الأسباب المؤدية إلى وقوع عنف على المرأة في الأسرة، ولا تقف هذه الأسباب عند تدني الوضع الاقتصادي للأسرة العنيفة وسوء أحوالها المعيشية، ولكن تمتد إلى رغبة الرجل في الاستيلاء على ممتلكات المرأة (الزوجة- الأم- الحماة) بالقوة. وتوضح هذه النتيجة أن مسألة استقلال الذمة المالية للمرأة ليست إلا نصوصاً نظرية تخلو من مضمونها الاقتصادي الفعلي في ظل السيطرة الأبوية للرجل داخل الأسرة، والسيطرة الاقتصادية الاجتماعية للطبقات البورجوازية في المجتمع^(١).

٤- من بين أهم الأسباب الاجتماعية المؤدية إلى العنف الأسري ضد المرأة، يبرز تعدد الزوجات باعتباره مسئولاً عن كثير من أشكال العنف التي تتعرض لها المرأة خاصة عندما يشرع الرجل في الزواج بأخرى، فيلجأ إلى ممارسة العنف على زوجته الأولى، وذلك لإجبارها على ترك منزل الزوجية أو التنازل عن حقوقها قبل الزواج، أو الإذعان للأمر الواقع والامثال له ولشروطه. كما يظهر العنف ضد المرأة في الأسرة أيضاً عند إجبار الأسرة على زواج الفتاة بغير رضاها، أو عند لجوء الفتاة إلى الزواج بشخص لا ترغب فيه الأسرة ولا توافق عليه^(٢).

(١) لكن الإسلام يضع عقوبات ضد كل من يعتدي على حقوق الآخرين، ولو كان من أقرب الناس إليه، ثم إن الوازع الديني الذي يخلقه الدين في نفوس أتباعه أقوى ضمان لحفظ الحقوق من أي قانون.

(٢) رأي الإسلام أن زواج البنت من غير رضاها باطل، كما أن زواج البنت البكر بغير إذن أبيها فيه إشكال. ونحن نختلف مع الباحثة أيضاً عندما ترى أن تعدد الزوجات مسؤول عن العنف إذ أن الصحيح أن ممارسة العنف ضد الزوجة الأولى محرم شرعاً وقانوناً، أما أن يتزوج من امرأة أخرى فهذا من حقه الشرعي. ولا تلازم بين تعدد الزوجات وممارسة العنف وجوداً وعدماً.

٥- تبدو الأسباب الثقافية أقل الأسباب تأثيراً في ظاهرة العنف ضد المرأة، وعند بروزها تتركز في الشك والارتياب في سلوك وأخلاقيات المرأة، أو في بعض المعتقدات الخرافية.

٦- هناك علاقة واضحة بين انتشار العنف ضد المرأة في الأسرة وانخفاض المستوى التعليمي والثقافي للزوج والزوجة، حيث اتضح أن غالبية الضحايا النساء أميات أو على أحسن تقدير يعرفن القراءة والكتابة، وأن نسبة الضحايا من المتعلّقات تعليماً عالياً تعد قليلة بالمقارنة بالمستويات التعليمية المنخفضة. كما اتضح أيضاً أن غالبية الجناة من الرجال ينتمون إلى مستويات تعليمية ضعيفة ومنخفضة وإن كانت النسبة بين النساء في هذه المستويات أعلى.

٧- ينتشر العنف الأسري ضد المرأة بين أبناء الطبقة العاملة بشكل ملحوظ حيث تبين أن الظاهرة تتركز بين الفلاحين والعمال والحرفيين وصغار الموظفين. وبالرغم من وجود نسبة من الجناة تقع بين أصحاب المهن العليا، إلا أنها تعد ضئيلة بالمقارنة بأصحاب المهن التي تقع في أسفل الهرم المهني والوظيفي، معنى هذا أن هناك ارتباطاً بين انخفاض المستوى الاجتماعي والمعيشة للأسرة والعنف الذي يقع على المرأة من الرجل، مما يؤكد ازدواجية القهر الذي تتعرض له النساء في الطبقات الفقيرة الكادحة.

٨- وعن العلاقة بين العنف الأسري وعمل المرأة، تبين أن غالبية النساء من الضحايا لا يعملن خارج المنزل، أي أن غالبيةهن ربات بيوت، بينما تقل بشكل ملحوظ نسبة الضحايا من النساء العاملات خارج المنزل. ومع هذا نجد أنه يلزم التنويه إلى نسبة كبيرة من النساء - الريفيات على وجه الخصوص - يقمن بأعمال كثيرة خارج المنزل في مختلف مراحل العملية الزراعية، وفي تربية الطيور والمواشي، وفي عمل الجبن والزبد، وفي التسويق... إلخ، ومع هذا يعتبرن أن الدور الزراعي الإنتاجي هو جزء من دورهن العائلي طالما أنهن يساعدن أزواجهن ولا يتقاضين أجراً عن هذا العمل. وجدير بالذكر أن الخلط القائم بين الدور العائلي

للمرأة الريفية ودورها في العمل الزراعي الإنتاجي، لا يرتبط بمفاهيم المرأة والرجل في الأسرة الريفية فقط، بل كثيراً ما تقع فيه أجهزة التسجيل والإحصاء.

٩- تتراوح أعمار الجناة من الرجال بين ١٣ سنة و ٧٥ سنة، وهذا يعني أن العنف الذي يمارسه الرجل على المرأة يمر بمعظم المراحل العمرية من المراهقة والشباب والرجولة والشيخوخة. وبينما يمارس الرجل العنف على المرأة في معظم المراحل العمرية، فإن المرأة الضحية تمر بجميع المراحل العمرية منذ الطفولة حتى الشيخوخة. ومع هذا فقد اتضح أن العنف يتركز في مراحل الشباب عند الجاني والضحية على السواء.

١٠- لم تظهر فروق كبيرة في انتشار العنف الأسري ضد المرأة بين الريف والحضر، وذلك برغم زيادة نسبة الحضر عن الريف بفارق بسيط. ويلفت النظر انتشار الظاهرة في الحضر الشعبي الفقير والمكتظ بالسكان، حيث اتضح أن العنف ضد المرأة في الأسرة يتركز في المناطق الفقيرة في القاهرة الكبرى.

١١- تتأرجح ردود أفعال المرأة من العنف الواقع عليها بين ردود الأفعال السلبية والإيجابية. ويتميز رد الفعل السلبي للمرأة من العنف في الإذعان والاستسلام للرجل وشروطه. ويظهر رد الفعل السلبي غالباً بين النساء الفقيرات في الريف والحضر حيث لا يجدن دعم الأهل ومساندتهم أو قوة المال، لذا فلا قبل لهن بنفقات التقاضي أو طول إجراءاته.

١٢- يتخذ رد الفعل الإيجابي للمرأة من العنف الواقع عليها شكلين أحدهما يتم في إطار قانوني عندما تلجأ إلى القضاء لطلب حمايتها أو حقوقها الشرعية في الطلاق أو النفقة، وهذا بالطبع غير متوفر لجميع النساء في جميع الطبقات، أما الشكل الثاني فهو عندما تلجأ المرأة إلى الرد على العنف بعنف مضاد قد يصل إلى حد ارتكاب جرائم القتل.

١٣- تتميز الأحكام الصادرة في قضايا العنف ضد المرأة، الضرب على وجه

الفصل الثالث: فئات العنف الأسري

التحديد بالضعف وهي تتركز معظمها في الحبس من ١ - ٣ أشهر أو الغرامة مع إيقاف التنفيذ. وهذه الأحكام بهذه الصورة لا تمثل عامل ردع للرجل الذي يمارس العنف على المرأة من ناحية، كما إنها لا تشجع المرأة على اللجوء إلى القضاء لطلب حمايتها، مما قد يدفع بعضهن إلى استخدام العنف المضاد للتخلص مما يتعرضن له.^(١)

وهذه النتائج التي توصلت إليها الباحثة ليلي عبد الوهاب مشابهة في كثير من الاستنتاجات لما يقع على المرأة من عنف في البلدان العربية وغيرها، مع اختلافات بسيطة في بعض التفاصيل.

(١) العنف الأسري.. الجريمة والعنف ضد المرأة، د. ليلي عبد الوهاب، دار المدى للثقافة والنشر، بيروت - لبنان، طبع عام ٢٠٠٠م، ص ٨٦ - ٨٩.

انتكال العنف ضد الزوجة

يتضمن العنف ضد الزوجة أشكالاً وصوراً متنوعة ومختلفة، كما أنه يتطور بسرعة من حيث الوسائل والأدوات المستخدمة فيه، ويمكننا الإشارة إلى أهم أشكال وصور العنف ضد الزوجة في النقاط التالية:

١- الإساءة الجسدية: وتشير إلى أي سلوك جسدي يعرض المرأة للخطر وعدم الأمان الجسدي وهي تعني استخدام القوى الجسدية ضد المرأة بطريقة تؤدي إلى إلحاق الضرر والأذى الجسدي بها، وتتضمن الضرب والركل والحرق والصفع واللكم والجلد وشد الشعر والخنق والقرص واللدغ والتشويه، والاعتداء عليها بالسلح مثل السكين والقذف بالأشياء والخطف والكدمات والحبس وتكسير العظام والتكيبيل بالقيود والدفع على الأرض وترك الضحية في مكان خطير وغير آمن، ورفض مساعدة الضحية عندما تكون مريضة أو تعاني من الأذى؛ وغالباً ما تكون الإساءة الجسدية هي السائدة، وهي أكثر أشكال الإساءة ضد المرأة إذ أن حوالي ٨٥٪ من حالات إساءة معاملة الزوجة تكون من هذا النوع.

٢- الإساءة النفسية / الانفعالية: وهي التهديد اللفظي وغير اللفظي بالعنف ضد المرأة من قبل الزوج، وتشير إلى النقد الدائم وتحطيم نسق الاعتقادات الشخصية لدى المرأة، والتهديد بالأذى أو قتل الأطفال، وجعل المرأة ترى أطفالها وهم يساء إليهم ولا يسمح لها بالتدخل، وعادة ما تكون الإساءة الانفعالية أو النفسية مقترنة بالإساءة الجسدية، أو تستخدم بمفردها كطريقة لتحقيق التحكم والسيطرة على الضحية.

كما تشير هذه الإساءة أيضاً إلى التعامل مع المرأة بطريقة متدنية، و التحدث معها بطريقة تتسم بالازدراء والسخرية مما يؤدي إلى فقدان الثقة بالنفس لديها، وجعلها تلوم نفسها بسبب العنف الذي تعانيه، وإنكار السلوك العنيف الذي تتعرض له، وتتضمن أيضاً التهديد بالضرب أو القتل للمرأة أو تركها أو إجبار المرأة على إتيان أفعال وأشياء غير مشروعة، وحملها على الانتحار وعزلة المرأة عن البيئة والأنشطة الاجتماعية، وذلك للحد من الحرية السلوكية لديها، ولمنعها من رؤية أسرتها وأصدقائها.

كما تتضمن أيضاً التخويف ويتمثل ذلك في إلقاء الطعام على الأرض وتكسير الأشياء والاحتفاظ بالسلاح في البيت، والإهانة والتحقير، وإطلاق أسماء غير مرغوبة ومستهجنة عليها مثل أنها غبية أو مستهترّة أو فاشلة، وتوجيه الاتهامات إليها والنقد المستمر والسب والشتائم والغيرة المفرطة وفقدان الحب والفهم والتعاطف.^(١)

ويعتبر العنف المعنوي النفسي من أخطر أنواع العنف، فهو غير محسوس ولا أثر واضح للعيان، وهو شائع في جميع المجتمعات غنية أو فقيرة متقدمة أو نامية، وله آثار مدمرة على الصحة النفسية للمرأة، وتكمن خطورته بأن القانون قد لا يعترف به كما ويصعب إثباته.

حيث تعاني المرأة داخل الأسرة زوجة كانت (أم، ابنة أو أخت) من العنف النفسي الذي يرتكبه بحقها رجال العائلة، وفيه الإهانات والإهمال والاحتقار والشتيم والكلام البذيء والتحقير والحرمان من الحرية والاعتداء على حقها في اختيار الشريك.^(٢) عبر إجبارها على زوج كارهة له أو غير موافقة على الزواج منه،

(١) سيكولوجية العنف: المفهوم، النظرية، العلاج، د. طه عبد العظيم حسين، الدار الصولتية للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، طبع عام ١٤٢٦هـ، ص ٣٦.

(٢) إشكالية العنف: العنف المشرع والعنف المدان، د. رجاء مكّي ود. سامي عجم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ص ٩١.

وهو الأمر الذي يجعل الزواج باطلاً من أساسه في رأي الشرع كما هو رأي القانون الحديث.

٣- الإساءة الجنسية: وتتمثل في إجبار المرأة على أن تتصرف جنسياً ضد رغباتها، وإجبارها على الاشتراك في أنشطة جنسية لا تريدها، تقلل من قيمتها وتحط من قدرها فضلاً عن المضايقات الجنسية والاستغلال الجنسي. وتتضمن الإساءة الجنسية أيضاً الاغتصاب والتحرش الجنسي وإجبار المرأة على العقم وتعاطي وسائل منع الحمل^(١) والإجبار على الجماع وممارسته بالقوة (الاغتصاب الزوجي)^(٢)، وإجبارها على الدعارة والخلاعة والإيذاء الجسمي للضحية خلال الجنس والاعتداء على أعضائها التناسلية وإجبارها على أن ترتدي ملابس مثيرة واستفزازية، وغالباً ما تكون الإساءة الجنسية مرتبطة بالإساءة الجسمية وتحدث معاً أو أن الإساءة الجنسية ربما تحدث بعد الإساءة الجسمية.^(٣)

ويدخل في الإساءة الجنسية للزوجة إجبارها على مشاهدة أفلام إباحية وإرغامها على تطبيقها معه وإن كانت مخالفة للقيم الدينية والأخلاقية، كما أن عدم مراعاة الوضع الصحي للزوجة أو النفسي أو الأخلاقي يدخل أيضاً ضمن لائحة الإساءة الجنسية للزوجة.

٤- الإساءة الاقتصادية: وتتمثل في منع المرأة من العمل والتحكم في اختياراتها المهنية وأخذ أموالها الخاصة التي تكون قد حصلت عليها بالميراث، إلى جانب حجب مصروف المنزل عنها ورفض الرجل أن يدفع لها المؤخر في

(١) يرى بعض الفقهاء أن تعاطي وسائل منع الحمل من حق الزوجة ولا يشترط موافقة الزوج على ذلك.

(٢) من حق الزوج مطالبة الزوجة بتمكين نفسها متى ما أراد، وعلى الزوجة الموافقة إلا إذا كان لديها عذر شرعي ككونها في حالة الحيض، إلا أن الإجبار وإن لم يعد اغتصاباً فإنه لا يحقق النتائج المرجوة من المقاربة بين الجنسين.

(٣) سيكولوجية العنف: المفهوم، النظرية، العلاج، د. طه عبد العظيم حسين، الدار الصولتية للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، طبع عام ١٤٢٦هـ، ص ٣٩ - ٤٠.

حالة الطلاق، وعدم الإنفاق على الأولاد، والاستيلاء على المصادر الاقتصادية للضحية في تحقيق الأهداف الشخصية، وحجب الموارد والإمكانات المادية عن الضحية مثل الطعام والملابس والعلاج. ومنعها من تحقيق الاستقلال المادي. فهذا النوع من الإساءة يتضمن تحكّم وسيطرة المعتدي على كل مصادر الضحية ومواردها متضمناً ذلك الاستيلاء على الدخل الخاص لها إذا كانت تعمل وبالتالي فالضحية إذا تركت منزل المعتدي تصبح شريفة لا مسكن لها.

٥- الإساءة الروحانية (المعنوية): وهي تتضمن التقليل من الاعتقادات الروحانية للضحية، ومنعها من ممارسة اعتقاداتها الروحانية والدينية، والسخرية من المعتقدات الروحانية والدينية لديها.

٦- الإساءة التربوية: ويتمثل ذلك في التمييز بين الجنسين في الفرص التعليمية حيث يعتقد كثير من أولياء الأمور أن تعليم الذكور أهم من تعليم الإناث، ولهذا فهم يكتفون بإلحاق الإناث بالمدارس القريبة منهم ولا يشجعونها على متابعة الدراسة بحجة أن مصيرها في النهاية في المنزل، ففي بعض المناطق الريفية قد يرفض الآباء تعليم الإناث لأن ذلك يؤدي إلى تفتحهن وفساد أخلاقهن. وعلى الرغم من التحسن الذي طرأ على تعليم الفتاة في الدول العربية إلا أن نسبة الأمية بين الإناث في أغلب الدول العربية مرتفعة مقارنة بالذكور، وكثيراً ما تحرم الفتاة من متابعة دراستها العليا. وهذا يحد من قدراتها ويقف حجر عثرة في طريق تنمية مواهبها على قدم المساواة مع الرجل مما ينعكس أثر ذلك سلباً على مستوى ثقافتها بنفسها وعلى صحتها وصحة أسرتها في المستقبل.^(١)

(١) سيكولوجية العنف: المفهوم، النظرية، العلاج، د. طه عبد العظيم حسين، الدار الصولتية للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، طبع عام ١٤٢٦ هـ، ص ٤١.

الرؤية الإسلامية

يتجلى التوجه الإسلامي في معالجة العنف ضد الزوجة على شكل توصيات، إلا أن الدقة في مستلزمات الوصايا الدينية، تدفعنا إلى تشكيل إطار نظري جامع لها، أخذت فيه مجموعة من العوامل الجزئية والكلية. والمسلم في هذا الإطار النظري وجود بعض الحالات كالعوامل البيولوجية، والتعليمية، واستعمال الخمر، والفقر، وعدم النجاح الجنسي الذي يؤثر في عنف الرجال ضد النساء، يضاف إلى ذلك أن الإسلام قد تعامل، ومن موضع خاص مع كل واحدة من هذه المسائل، ولا مجال للحديث عنها هنا، وقد أكد الإسلام على مجموعة من العوامل الخاصة المؤثرة في مسألة العنف، حيث نتحدث عنها باختصار.

لعل العامل الأول والأهم بنظر الإسلام هو عدم التزام الشخص الموازين الأخلاقية، وبما أن الإسلام يولي أهمية لهذا الأمر، فإن هذا العامل، يعد من الوصايا الهامة في باب حسن الأخلاق، وحسن معاشرة النساء بشكل خاص؛ لذا قد أولاه الإسلام أهمية خاصة. وعموماً يمكن الاستفادة من الرواية المشهورة: «حب الدنيا رأس كل خطيئة»^(١)؛ وذلك لتوضيح التوجه الديني العام في العديد من الحوادث الاجتماعية. وعند تحليل مفهوم (حب الدنيا) إلى مفاهيم أكثر جزئية كالتكبر، والأنانية، والعصبية، والحرص، والحسد، والبخل وغيرها، يظهر وجود فرضيات كثيرة يستفاد منها في المقاصد التوضيحية ومن جملتها عنف الأزواج. ويبدو عند

(١) البحار، العلامة المجلسي، ج ٥١، ص ٢٥٨.

مطالعة الوصايا العديدة عدة مفاهيم تتمحور حول التعامل مع النساء بالحسنى، والتزام التقوى والامتناع عن ضربهن، والإغضاء عن الخلق السيئ للنساء والعفو عن أخطائهن، والتأكيد على التقوى كمعيار لاختيار الزوج.

إن مجموع هذه الأمور يشكل الوصايا الأخلاقية في الإسلام، وبالعموم هذه الروايات تؤكد على أن الخلق السيئ للأزواج هو السبب الرئيس للكثير من أعمال العنف الزوجي.

وفي وصايا أخرى لا يخفى أن الإسلام يطلب من النساء أن يحسن معاشرته الأزواج، ويتحملن أخلاقهم السيئة؛ إذ أن النساء السيئات في سلوكهن تلعبن دوراً أساسياً في النزاعات الزوجية؛ وبالتالي العنف الزوجي من قبل الأزواج، ومن البديهي أن التزام الأزواج القيم الأخلاقية يساهم في إزالة العديد من أسباب المنازعات الزوجية، ويقلل من احتمال لجوء الزوج إلى القوة مع زوجته.

أما العامل الثاني في إيجاد العنف الزوجي والذي أولاه الإسلام أهمية خاصة، فهو ضعف الرقابة الاجتماعية والحكومية. ويعد الأصل الفريد أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عملية واسعة تفتح الباب على مصراعيه أمام رقابة المجتمع والقانون على الفرد. ويظهر من خلال الآيات والروايات الكثيرة في هذا الخصوص مقدار الأهمية التي أعطاها الإسلام للرقابة العامة والمسؤولية الجماعية في مقابل انحراف الآخرين. ولا شك في أن استقرار هذا الأصل الحياتي في صورته الصحيحة والكاملة يترك أثراً عظيماً على مستوى رفع الكثير من الانحرافات الاجتماعية، ومن جملتها العنف الجنسي؛ فمثلاً: لو قرر في يوم من الأيام مواجهة العنف الزوجي بنوع من العقاب الاجتماعي الشديد (كالمقاطعة العامة) (قطع علاقة الجميع مع الشخص الخاطيء من أهم أساليب النهي عن المنكر) فلن يبقى في المجتمع مشكلة جادة تحت عنوان العنف الزوجي.

وأما على مستوى الرقابة الحكومية، فهناك بعض الروايات تعطي الدور والمسؤولية الخطيرة للمؤسسة الحكومية في المجتمع الإسلامي المطلوب، فقد

جاء في رواية عن الإمام الباقر عليه السلام قوله: «رجع علي عليه السلام إلى داره في وقت القيظ، فإذا امرأة قائمة تقول: إن زوجي ظلمني وأخافني وتعدي عليّ وحلف ليضربني، فقال: يا أمة الله، اصبري حتى يبرد النهار، ثم أذهب معاك إن شاء الله. فقالت: ليشتد غضبه وحرده عليّ، فطأ رأسه ثم رفعه، وهو يقول: لا والله، أو يؤخذ للمظلوم حقه غير متعتع، أين منزلك؟ فمضى إلى بابه فوقف فقال: السلام عليكم، فخرج شاب، فقال علي عليه السلام: يا عبد الله اتق الله، فإنك قد أخفيتها وأخرجتها، فقال الفتى: وما أنت وذاك؟ والله لأحرقنها لكلامك، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أمرك بالمعروف وأنهاك عن المنكر، تستقبلني بالمنكر وتنكر المعروف، قال: فأقبل الناس من الطرق ويقولون: سلام عليكم (يا أمير المؤمنين) فسقط الرجل في يديه، فقال: يا أمير المؤمنين أقلني عثرتي، فوالله لأكونن لها أرضاً تطأني، فأغمد علي عليه السلام سيفه وقال: يا أمة الله ادخلي منزلك، ولا تلجئي زوجك إلى مثل هذا وشبهه»^(١).

إذاً لا يمكن إنكار الدور الذي تقوم به المؤسسة الحكومية في الرقابة على العنف الزوجي. بل في بعض الدول الغربية يعمل على تدعيم دور الشرطة والأنظمة القانونية في هذا المجال.

وباختصار، فإن النظرة الإستراتيجية في الرؤية الإسلامية هو كما في كل رؤية أخرى، يقوم على التوجه التوضيحي لها وبناء لذلك، فإنه نظراً للتحليل التوضيحي لموضوع العنف الزوجي إسلامياً، واعتبار أن المؤسسة العائلية مقدسة في الإسلام، يعد الإسلام الركن الأساس في حل مشكلات العنف، إذ يتم التأكيد، وقبل كل شيء على العوامل التربوية والأخلاقية والثقافية والحكومية في إطار القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٢).

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٤١، ص ٥٧، رقم ٧.

(٢) الإسلام والأسرة، حسين بستان النجفي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م، ص ٢٢٢ - ٢٢٥.

وقد منع الإسلام من أي إساءة ضد المرأة، بل وحذر ممارسي العنف ضدها بالعذاب الشديد في الآخرة، ومواجهة العقاب الملائم لمختلف أنواع العنف الموجه ضد الزوجة، وأمر في الدنيا بمعاشرة الزوجة بالمعروف كما في قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(١) واستخدام العنف ضد الزوجة مخالف للمعاشرة بالمعروف، وعندما تصل الحياة الزوجية إلى طريق مسدود فإن المطلوب ﴿فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾^(٢) فإذا استمرار الحياة الزوجية مع المعاشرة بالمعروف، أو الانفصال والطلاق ولكن بإحسان أيضاً ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلَّ مَن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾^(٣).

(١) سورة النساء، الآية: ١٩ .

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٩ .

(٣) سورة النساء، الآية: ١٣٠ .

ثانياً: العنف ضد الأطفال

الفئة الثانية من الفئات التي تواجه العنف الأسري بصورة كبيرة هي فئة الأطفال، إذ تشير الكثير من الإحصائيات والأرقام إلى تزايد حجم العنف ضد الأطفال، فقد قدرت عدد حالات العنف التي ارتكبت ضد الأطفال عام ١٩٧٠م في الولايات المتحدة الأمريكية ما بين (٤ إلى ١٤) مليون طفل. وفي مسح آخر أجراه Gelles and Straus عام ١٩٨٥م وجدوا أن ما يقارب (مليون) طفل يعانون من هذه المشكلة كل عام، وأن ما يقارب من (٦, ٣٪) من جميع الأطفال في سن ١٣ إلى ١٧ سنة ممن يعيشون مع والديهم (الأب والأم معاً) قد أسئ معاملةهم بشكل قاس.

ووفقاً لإحصائيات الاتحاد الأمريكي لحماية الأطفال عام ١٩٨٦م فإن ما يقرب من (٦٤٩, ٧٢٦, ١) طفلاً تم الإبلاغ عنهم بسبب سوء معاملتهم أو إهمالهم. وتضمنت هذه الحالات أشكال مختلفة من إساءة المعاملة كالجروح، والإساءة الجنسية، والحرمان من الضروريات، والإساءة النفسية، وأنواع أخرى من الإساءات. وتمثل هذه الإحصائية زيادة نسبتها (١٥٨٪) عن عام ١٩٧٦م.

ويشير (Burgdorf, 1981) إلى أن هناك ما يقرب (١٠٠٠) حالة وفاة في السنة سجلت في الولايات المتحدة الأمريكية نتيجة العنف.

وتشير إحصائيات الاتحاد الأمريكي لحماية الأطفال عام ١٩٨٦م إلى

زيادة حالات العنف ضد الأطفال حيث وصلت إلى ما نسبته (٤٠٪) عام ١٩٨٣م و(٤٧٪) عام ١٩٨٤م.

واستناداً إلى المركز الوطني للأطفال المساء معاملتهم والمهملين في الولايات المتحدة الأمريكية فإنه قد تم التعامل في عام ١٩٩٢م مع ما يقارب (٩، ١) إلى (٩، ٢) مليون حالة من حالات العنف وإساءة معاملة الأطفال.

كما أشار (Wells, 1995) إلى أن صور إيذاء الأطفال تتمثل في الإيذاء البدني حيث بلغت (٩، ٤) في الألف، يليه الإيذاء النفسي بنسبة (٠، ٣) في الألف وأخيراً الإيذاء الجنسي (١، ٢) في الألف. أما الإهمال البدني فقد كان أكثر أنواع الإهمال شيوعاً حيث بلغت نسبته (١، ٨) طفل في الألف، يليه الإهمال التعليمي حيث بلغ (٥، ٤) طفل في الألف وأخيراً الإهمال النفسي حيث بلغ (٢، ٣) طفل في الألف.^(١)

وقد تفتشت الإساءة ضد الأطفال في المجتمع الأردني بشكل واسع، ففي عام ١٩٩٨م تبين أن هناك ٤٣٧ حالة من الأطفال تعرضوا للعنف، وقد عاينتهم عيادة الطب البشري لدى وحدة حماية الأسرة. شملت ١٤٥ حالة إساءة جسدية للأطفال تراوحت بين إحداث إصابات غير عرضية بسبب فرط التأديب والعقاب، إلى إحداث إصابات غير عرضية بسبب فرط التأديب والعقاب، إلى إحداث إصابات شديدة لتصريف ثورة غضب، وإلى أحداث متلازمة للطفل المعذب. كما وشملت ١٧٤ حالة جريمة جنسية على الأطفال كانت كما يلي (٤٨ حالة إساءة جنسية كان المعتدي فيها معروف من داخل العائلة و ٧٩ حالة إساءة جنسية كان المعتدي فيها معروف للضحية، قريباً أو جاراً، و ٤٧ حالة كان الاعتداء الجنسي على الطفل من قبل شخص غريب) أما حالات الإهمال غير المرافق للإساءة الجسدية فكانت

(١) العنف الأسري: دراسة ميدانية على مستوى المملكة العربية السعودية، د. عبدالله بن عبد العزيز اليوسف وآخرون، وزارة الشؤون الاجتماعية، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص ٤٦ - ٤٧.

الفصل الثالث: فئات العنف الأسري

فقط ٦ حالات، ووصلت عام ١٩٩٩م إلى ٥٢٢ حالة وعام ٢٠٠٠م حوالي ٦١٣ حالة.^(١)

وعن العنف ضد الأطفال في السعودية كشفت دراسة أعدها فريق نسائي متخصص أن ٢١ في المئة من الأطفال السعوديين يتعرضون للإيذاء اليومي، و٢٤ في المئة يتعرضون للإيذاء أحياناً.

وأوضحت الدراسة أن العنف النفسي هو أكثر أنواع الإيذاء انتشاراً بنسبة ٣٣ في المئة، مشيرة إلى أن أهم أنواعه هو الحرمان من المكافأة المادية أو المعنوية، والتهديد بالضرب، والسب بألفاظ قبيحة والتهكم، وترك الطفل في المنزل وحيداً مع من يخاف منه.

وذكرت الدراسة أن العنف الجسدي يمثل نسبة ٢٥ في المئة، وكان في الغالب مصحوباً بإيذاء نفسي، وكانت أكثر صور العنف الجسدي انتشاراً هي الضرب المبرح، وتعرض الطفل للصفع، والقذف بالأشياء التي في متناول اليد، والضرب بالأشياء الخطرة.

وأشارت إلى أن الإهمال يعد نوعاً من أنواع العنف ضد الأطفال، إذ يمثل نسبة ٢٣ في المئة، منوهة إلى أن أسباب إيذاء الأطفال تتلخص في تمسك الأسرة بالأساليب التربوية الخاطئة، وعدم اتباع تعاليم الشريعة والإهمال أو عدم الاستقرار الأسري والطلاق أو الانفصال والأزمات الاقتصادية. أو أسباب نفسية لدى الوالدين أو المربين وهي الذهان والفصام، والاضطرابات النفسية والإسقاط والوساوس والمخاوف. مؤكدة أن الأطفال يؤذون في المنزل والأسرة والمدارس والمعاهد.

(١) إشكالية العنف: العنف المشرع والعنف المدان، د. رجاء مكي ود. سامي عجم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ص ١٠٢.

العنف الأسري

وتنبأت الدراسة بالآثار المستقبلية لإيذاء الأطفال، التي تكمن في صعوبات التعلم أو ترك المدرسة، أو وفاة الطفل أو إحداث تشوهات، وصعوبة التواصل مع الآخرين، والحقد والكرهية، والمخاوف.^(١)

وتشير أرقام وإحصائيات أخرى إلى ما يلي:

٧٠٪ من الاعتداءات على الأطفال يرتكبها رجل البيت.

٧٠-٥٠٪ من الرجال الذين يعتدون على نساءهم يعتدون أيضاً على أطفالهم.

٧٠٪ من النساء اللاتي يتعرضن للاعتداء يعلنن أن المعتدي يعتدي على أطفالهن أيضاً.^(٢)

وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على كبر حجم ظاهرة العنف ضد الأطفال، وهو ما يستدعي معالجات وحلول جذرية لاقتلاع هذه الظاهرة الخطيرة من كيان العائلة والأسرة.

(١) صحيفة الحياة، الأحد ١١ يناير ٢٠٠٩م الموافق ١٤ محرم ١٤٣٠هـ، العدد ١٦٧١٨، ص ٧.

(٢) العنف العائلي، السا دلتافو، منشورات المدى، الطبعة الأولى ١٩٩٩م، ص ٥٥.

انتكال الإساءة إلى الأطفال

يواجه الأطفال أشكالاً متنوعة من الإساءة والأذى والاعتداء عليهم، وسلب حقوقهم، وممارسة الضغوط المختلفة ضدهم، ولكن يصنف أهم أشكال الإساءة إلى الأطفال في أربعة أنواع رئيسة وهي:

١- الإساءة الجسدية: نمط سلوكي يتمثل بإحداث المسيء إصابات غير عرضية بالطفل والتي قد تكون بقصد فرط التأديب، أو العقاب الجسدي غير المناسب لعمر الطفل، أو الانفجار السيئ لتصرف ثورة غضب. بالنسبة للعلامات السريرية لهذا النوع من الإساءة فتظهر عبر كدمات في الوجه، والقمم والفخذين «لها أعمار التئام متفاوتة وعلى شكل عناقيد، ولها أشكال محددة للأداة التي استخدمت مثل أسلاك كهربائية أو حزام أو إبريم الحزام» بالإضافة إلى وجود آثار عض وكسور من غير المستطاع تفسيرها وكسور لولبية في الأطراف.

أما المؤشرات السلوكية لضحية الإساءة الجسدية متغيرة حسب عمر الطفل ودرجة نموه وشدة الإساءة، وتشمل الانعزال، وتجنب الالتقاء بالبالغين، الخوف والقلق عند بكاء الأطفال الآخرين، السلوك غير المتزن والذي يتراوح بين العدائية والانعزالية، وجود الخوف من الوالدين وخاصة المسيء أو الاعتماد عليهم بشكل كامل. أما المؤشرات السلوكية للمسيء فتشمل عدم الاعتناء بالطفل، وإعطاء تفسيرات غير واقعية تبرر العنف ضد الطفل، وإدمانه على الكحول، وعدم القدرة

على التحكم بالنفس.^(١)

٢- الإساءة الجنسية: وتتمثل في قيام المسيء بأي تصرف جنسي أو تصرف مثير للرجبة الجنسية أو انتهاك متعمد لخصوصية جسم الطفل، بغض النظر عن قبوله بتلك الأفعال أم لا. المشكلة هي أن أكثرية الأطفال لا يتكلمون بهذا الكلام مما يجعل من العلاقات السريرية نادرة الحدوث، وعليه تم البحث عن المؤشرات السلوكية، والتي بدورها لا يوجد مؤشر سلوكي وحيد يعتبر تشخيصياً، [ولكن توجد] بعض العلامات السريرية المحتملة: صعوبة المشي أو الجلوس، تلوث الملابس الداخلية ببقع أو دماء، ألم، كدمات، نزف بالأعضاء التناسلية وغيرها، أما المؤشرات السلوكية فهي سوء النظافة، الانعزال عن الرفاق، السلوك الطفولي مقارنة مع عمره، تجنب الملامسة الجسدية للبالغين وحتى الأطفال، التبول اللاإرادي، كوابيس، مص الإبهام، أرق واضطرابات بالنوم، الكآبة والتوتر، السلوك الجنسي غير المتوقع لمثل عمره. وبالنسبة للمؤشرات السلوكية للمسيء تتضمن الغيرة من الطفل، الإفراط في حمايته من كافة الأشياء وإن كانت صغيرة، الإدمان على الكحول، والانعزال الاجتماعي، واضطرابات في الشخصية.

وحدوث الإساءة يعتمد على عوامل متعددة: تصادم العائلة، وهذه العوامل تتفاعل وتعزز بعضها البعض، لينتج عنها إساءة معاملة الأطفال أو إهمالها. وعليه فإن الإساءة تتولد نتيجة تفاعل عوامل خطيرة تتراوح بين الأطفال أنفسهم وعائلاتهم والمحيط الذي يسكنون فيه. وعلى المهنيين الذين يتعاملون مع هذه الحالات التكيف معها بشكل منفرد، وتجنب التعميم عند تشخيص، أو علاج الأطفال وعائلاتهم.

إن أكثرية الأشخاص المسيئين للأطفال، قد يكونون تعرضوا في صغرهم

(١) إشكالية العنف: العنف المشرع والعنف المدان، د. رجاء مكي ود. سامي عجم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م، ص ١٠٣.

الإساءة نفسية، جسدية، جنسية، ولكن يجب عدم تعميم هذه الفكرة، على الرغم من أن هؤلاء، يعانون من اضطرابات عاطفية أو سلوكية، إلا أن الأمراض النفسية تلعب دوراً ضئيلاً في حصول الإساءة والإهمال، ولا يوجد نمط معين تتصف به شخصية المسيء. فقد يتصف بعدم احترامه لنفسه، تدني الذكاء، اللامبالاة، الكآبة، العدائية، التوتر. والثاني مرتبط بغياب المعرفة والوعي لدى الوالدين التي تؤدي إلى الإهمال والإساءة، وتشمل فرط التأديب أو العقاب الجسدي، مشاكل الصعوبات الزوجية كغياب التواصل بين الزوجين، القناعة بأن الطفل ليس ملكية خاصة للوالد أو الوالدة، أو القناعة بأن العنف هو السبيل الأمثل لحل مشاكله. وهناك بعض الظروف التي تؤدي إلى زيادة خطورة الإساءة وتشمل ولادة غير مرغوب بها، مرض جسدي للوالد أو الوالدة، عدم التعاطف مع الطفل المريض جسدياً، الزواج المبكر، أو الوالدة الوحيدة والأرملة، والمطلقة، إن تعاضد هذه الظروف مع وجود ضغط اجتماعي أو عزلة اجتماعية لدى العائلة تؤدي إلى زيادة الإساءة.

٣- الإساءة العاطفية: وتم تعريفها بأنها نمط سلوكي مستمر يتصف بانسحاب المسيء من العلاقة العاطفية الطبيعية مع الطفل، والتي يحتاجها لنمو شخصيته وهي تشمل الإساءة الكلامية، العقلية النفسية كحبس الطفل في الحمام أو بغرفة مظلمة وربطه بأثاث المنزل أو تهديده بالتعذيب وغيره من الأمور التي تؤدي إلى تعنيفه ولومه وإهانته. وبالنسبة للعلامات السريرية لهذا النوع من الإساءة تشمل اضطرابات الكلام، بطء النمو وإخفاق النمو. أما المؤشرات السلوكية فتتمثل بشعور الطفل بالحزن والكآبة وبأنه غير مرغوب به، وظهور اضطرابات نفسية مثل مص الإصبع والعض واضطرابات سلوكية عدائية للمجتمع، وتشمل التخريب وظهور صفات عصابية مثل اضطرابات النوم واضطرابات الكلام وعدم اللعب.^(١)

٤- الإهمال المستديم للطفل: والإخفاق في حمايته من التعرض للخطر، أو

(١) إشكالية العنف: العنف المشرع والعنف المدان، د. رجاء مكي ود. سامي عجم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م، ص ١٠٤.

الإخفاق في القيام برعايته وتوفير حاجاته الجسدية والتربوية والانفعالية الأساسية، كما قد يتضمن الإهمال عدم توفير الرعاية الصحية الملائمة وفي الوقت المناسب، والإشراف غير الملائم للطفل وتركه دون إشراف لمدة طويلة، ويمكن تصنيف الإهمال إلى ثلاثة أشكال هي: الإهمال الجسدي، والإهمال التربوي، والإهمال النفسي.^(١)

والإهمال هو نمط سلوكي يتصف بإخفاق المسيء، تقديم احتياجات الطفل الجسدية والعاطفية مثل الطعام، المأوى، الملابس، المسكن وهو يتضمن ثلاثة أشكال هي الإهمال الجسدي أي إخفاق في تقديم الطعام واللبس والرعاية الطبية وأحياناً يصل إلى التخلي الكامل عن الطفل وطرده خارج المسكن. الإهمال التربوي إخفاق توفير الدراسة والاحتياجات التربوية فيما يعني ظهور مشكلة التسرب المدرسي. ثم الإهمال العاطفي أي الإخفاق في تقديم الحنان والحب والدعم للطفل أو حدوث عنف منزلي بحضوره أو الإدمان على الكحول والمخدرات من قبل البالغين ومشاركته في ممارسات هذا الإدمان. أما العلامات السريرية لهذا النوع من الإهمال هي الجوع المستمر، عدم وجود نظافة من ناحية الملابس وعدم توفير الرعاية الطبية له، أما المؤشرات السلوكية تشمل التسول وسرقة الطعام، والعزلة عن المجتمع، غير منظم، غير مكترث بالحياة، لا يتصل بالأقارب والأصدقاء والجيران.^(٢)

وجميع هذه الأشكال من الإساءة للأطفال إما منهي عنها أو محرمة شرعاً، فكل ما فيه ضرر للأطفال وإضرار بهم ولو كان من آبائهم وأمهاتهم هو أمر محرّم شرعاً وعقلاً.

(١) العنف الأسري: دراسة ميدانية على مستوى المملكة العربية السعودية، د. عبدالله بن عبد العزيز اليوسف وآخرون، وزارة الشؤون الاجتماعية، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ص ٤٨ - ٤٩.

(٢) إشكالية العنف: العنف المشرع والعنف المدان، د. رجاء مكي ود. سامي عجم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، ص ١٠٣.

مسببات العنف ضد الأطفال

توجد أسباب عديدة تؤدي إلى استخدام العنف ضد الأطفال، لكن أهمها ما

يلي:

- ١- شخصية الوالدين وخلفيتهما النفسية والجسدية، ودرجة الحرمان الاجتماعي الذي يعانون منه، والخبرات السابقة المرتبطة بإساءة معاملتهم من جانب والديهم أو من قام على رعايتهم.
- ٢- نظرة الوالدين إلى الطفل وعدم رغبتهم أو خيبة أملهم فيه وفي قدراته نتيجة توقعاتهم غير الصحيحة وغير المنطقية عن سلوك طفلهم وعن قدراته العقلية.
- ٣- الأوضاع والمشكلات الأسرية وخاصة في حال مواجهة الأسرة لأزمات مزمنة كحالات الطلاق وكثرة التنقل وموت أحد أفراد الأسرة وكثرة الضغوط والزواج الإجباري وغيرها من المشكلات التي تسبب التوتر والقلق لجميع أفراد الأسرة وتؤثر على علاقاتهم وتعاملاتهم.
- ٤- أسلوب التربية وطريقة التفاهم والاتصال بين أفراد الأسرة ونقص المعلومات والمهارات الأبوية.
- ٥- عدم تقدير الوالدين وجهلهم بالنتائج المترتبة على إساءة معاملة أطفالهم.
- ٦- عدم توفر المساعدات والخدمات والبرامج والموارد التي يمكن أن تلجأ



إليها الأسرة وقت الأزمات.^(١)

٧- الإدمان على المخدرات والمسكرات، إذ عادة ما يؤدي الإدمان عليها إلى ممارسة العنف ضد الأطفال، وإساءة معاملتهم، والتقصير في الوفاء بحقوقهم.

٨- وقوع رب الأسرة في أزمات مالية خانقة مما يجعله غير قادر على تلبية احتياجات أسرته، وهذا قد يجعله ضيق الصدر، ومتعب نفسياً، وهو الأمر الذي قد يدفعه لممارسة العنف ضد أطفاله وأسرته.

(١) العنف الأسري: دراسة ميدانية على مستوى المملكة العربية السعودية، د. عبدالله بن عبد العزيز اليوسف وآخرون، وزارة الشؤون الاجتماعية، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ص ٥٥.

نتائج العنف ضد الأطفال

يؤدي ممارسة العنف ضد الأطفال إلى نتائج خطيرة، وآثار سلبية عديدة...

ومنها:

١- النتائج النفسية:

يعاني الأطفال الذين يتعرضون لسوء المعاملة والإهمال كثيراً من المشكلات النفسية مثل الكوابيس المتكررة والقلق ومستويات مرتفعة من الغضب والعدوان والشعور بالذنب والخزي لكونهم أصبحوا ضحايا للإساءة. كما تظهر لديهم المخاوف المرضية بشكل مفاجئ مثل الخوف من الظلام ويعانون من الأعراض السيكوسوماتية والتي تتضمن ألم في المعدة وصداع وغيرها. كما يعاني هؤلاء الأطفال من توهم المرض والتبول اللاإرادي والخوف الشديد من الراشدين الذين مارسوا الإساءة ضدهم. كما تظهر لديهم أعراض عدة أيضاً مثل انخفاض تقدير الذات والشعور بالعجز وعدم الاستحقاق وضعف الثقة بالنفس وتكوين صورة سلبية عن الذات تبدأ في الطفولة وتستمر مع الطفل الضحية طوال حياته حيث يدرك الطفل الضحية نفسه بوصفه شخص سيئ وغير جدير بالاستحقاق وغير محبوب، وتوجد لدى هؤلاء الأطفال اضطراب في الشعور بالهوية وكرهية الذات والتقليل من شأنها علاوة على ذلك فإن هؤلاء الأطفال ضحايا سوء المعاملة والإهمال تظهر لديهم الأعراض الاكتئابية والانسحاب الاجتماعي والعزلة الاجتماعية وأفكار تدميرية وتفككية ومحاولات انتحار ومستويات مرتفعة من القلق والوحدة

والغضب والعدائية.

فضلاً عن وجود معارف مشوهة أو محرفة مثل المبالغة في إدراك الخطر والتفكير غير المنطقي، وتتكون لديهم صور عقلية غير دقيقة عن العالم الخارجي، ويكون لديهم صعوبة في التفكير وحل المشكلات الاجتماعية، فالإساءة تؤثر سلباً على الجوانب المعرفية للطفل، وبالإضافة إلى هذا فهي تمنع الطفل من بناء علاقات اجتماعية سوية مع الآخرين، فالطفل الذي يساء معاملته يكون محروماً من العديد من المهارات التي تعينه على التفاعل مع العالم الخارجي، وبالتالي قد يعاني مشكلات واسعة في بناء علاقات اجتماعية مع الآخرين من حوله.

٢- النتائج الجسمية:

إضافة إلى الأضرار والآثار النفسية التي تنجم عن سوء معاملة الطفل وإهماله فإن الضرر الجسدي الذي يلحق بالأطفال المساء معاملتهم مثل تكسير العظام والجروح والخدوش وغيرها من الأضرار الجسمية. كما أن الإهمال الشديد الذي يعانيه الأطفال يؤثر على الجوانب الجسمية لديهم، فمن المحتمل أن يكون الأطفال الذين تعرضوا للإهمال أقل وزناً عن الأطفال الذين لم يتعرضوا لذلك، كما أن الأطفال الذين يساء معاملتهم جسدياً يعانون من أضرار فسيولوجية تؤثر على نموهم في المستقبل. وإضافة إلى ذلك فإن هؤلاء الأطفال المساء معاملتهم يعانون أيضاً من اضطرابات في الأكل واضطرابات في النوم والصداع النصفي وألم في المعدة وصعوبة في التنفس والتوتر الزائد وانخفاض مستوى الصحة العامة واضطرابات الكلام مثل التلعثم.

٣- النتائج السلوكية:

ويعاني هؤلاء الأطفال كثيراً من المشكلات السلوكية التي تتمثل في الخجل المفرط والخوف من الغرباء وظهور بعض الأنماط السلوكية غير المقبولة اجتماعياً مثل المشاغبة وانخفاض التوافق الدراسي وظهور سلوكيات غير مقبولة داخل

الفصل الدراسي.

وعندما يصل هؤلاء الأطفال إلى مرحلة المراهقة فإنهم يظهرون كثيراً من المشكلات السلوكية مثل الهروب والجنوح وتعاطي المخدرات واضطرابات وفقدان الشهية والسمنة وخاصة بين ضحايا الإساءة من الإناث، كما تظهر المحاولات الانتحارية، وأن العديد من هذه المشكلات تستمر معهم في الرشد، وتصبح هذه الأنماط السلوكية متأصلة داخلهم، كما تظهر سلوكيات العدوان والعنف لديهم والتشرد والإجرام في مرحلة الرشد.

٣- النتائج الأكاديمية:

تؤثر إساءة معاملة الطفل وإهماله سلباً على مستوى الأداء المدرسي، فالأطفال المساء معاملتهم يظهرون انخفاض في مستوى الوظائف العقلية، وانخفاض في التحصيل وحدوث الفشل الدراسي الذي يكون له أثار خطيرة على المدى الطويل؛ إذ أن هذا الفشل الدراسي قد يدفع بهم إلى القيام بسلوكيات مضادة للمجتمع، وكذلك التزويغ من المدرسة. ومثل هذه السلوكيات السلبية يترتب عليها انخفاض في إنتاجية الطفل وظهور مستويات منخفضة من الرضا عن الحياة عندما يكونون راشدين، ولذلك فإن الأطفال المساء معاملتهم يظهرون انخفاض دال على اختبارات الأداء المدرسي وانخفاض في مستوى التعلم، وضعف التوجه نحو الأهداف التربوية والمهنية في المستقبل مقارنة بالأطفال العاديين الذين لا يتعرضون للإساءة.

٤- النتائج الجنسية:

يؤثر سوء معاملة الأطفال جنسياً بشكل غير ملائم على مفهوم الطفل عن الجنسية حيث يتكون لديهم إدراك سلبي عن الجنس. وعلى الرغم من أن الإساءة الجنسية تكون لها نتائج سلبية كثيرة على الطفل، فإن الأشكال الأخرى من إساءة معاملة الطفل وإهماله يمكن أن تكون مؤلمة جنسياً أيضاً. فمثلاً الطفل الذي يتعرض

للإهمال قد يسعى إلى العلاقات الجنسية غير المشروعة في حياته المبكرة، وهذا قد يؤدي إلى إصابته بأمراض جنسية قد تكون معدية. وتظهر نتائج إساءة معاملة الطفل في النواحي الجنسية من خلال الإفراط في عملية الاستمناء وحب الاستطلاع الجنسي والكشف المتكرر عن العورات الجنسية وممارسة أنماط سلوكية جنسية غير ملائمة فضلاً عن معرفة جنسية غير ناضجة.

وفي المراهقة و الرشد يستمر الأطفال المساء معاملتهم في ظهور سلوكيات جنسية غير ملائمة مثل الجماع الجنسي المؤلم وعدم الرضا عن الجنس. وفي الحقيقة قد يظهر الطفل الذي يعاني من الإساءة الجنسية صعوبة في التمييز بين العلاقات الجنسية وغير الجنسية ولذلك فهو يقدم العنصر الجنسي في كل تعاملاته مع الآخرين.

٥- النتائج الاجتماعية:

تتعارض إساءة معاملة الطفل وإهماله مع قدرته على تكوين علاقات اجتماعية هادفة وذات معنى، فالأطفال المساء معاملتهم والذين يتعرضون للإهمال يظهرون سلوكيات غير مرغوبة اجتماعياً مع الأقران، ومن ثم يجدون صعوبة في التفاعل الاجتماعي مع الآخرين. كما أن هؤلاء الأطفال المساء معاملتهم يظهرون نقص في الكفاءة الاجتماعية وفي القدرة على الإمباثية أو التعاطف، وكل من الكفاءة الاجتماعية والإمباثية تمثل عنصراً أساسياً في إقامة علاقات ناجحة مع الآخرين. وتتمثل المشكلات الاجتماعية التي يعانيها الأطفال المساء معاملتهم في التعلق غير الآمن بالوالدين أو القائمين على رعاية الأطفال، وصعوبة الثقة في الآخرين، ونقص في تكوين الأصدقاء، وعدم الرضا عن علاقات الراشدين والشعور بالعزلة والوحدة وسوء التوافق الاجتماعي.

وبالإضافة إلى كل ما تقدم، فإن الأطفال الذين تعرضوا للإساءة والإهمال في الطفولة قد يصبحون ضحايا أو قد يصبحون هم أنفسهم أكثر عنفاً تجاه أطفالهم

وزوجاتهم في مرحلة الرشد.^(١)

وبالإضافة لكل ذلك فإن من سلبيات العنف ضد الأطفال ما يلي:

- ١- تطبيع الطفل وتعويده على استخدام العنف في كل شيء.
- ٢- زرع الأحقاد والضغائن والكراهية تجاه أسرته وعائلته.
- ٣- يخلق في نفسه الخوف والرهبة والكراهية من الآخرين.

لكل هذه النتائج السلبية لممارسة العنف ضد الأطفال، يجب الابتعاد عن استخدام العنف في التعامل مع الأطفال، واتباع أساليب التربية الصحيحة في التأديب والتوجيه والإرشاد في تربية الأطفال.

الفروق بين التأديب والعنف

يشتهر بعض الناس فيتصورون أن العنف هو نوع من التأديب الضروري للطفل، وهذا خطأ فاحش، إذ توجد فروق عديدة بين ممارسة التأديب واستخدام العنف... أهمها ما يلي:

- ١- يكون تفكير وسلوك الآباء في حالة التأديب عميقاً ومتأنياً بينما يكون في حالة الإساءة اندفاعياً ولا يمتلك القدرة على التحكم بها.
- ٢- في حالة التأديب يكون الهدف بناء وإيجابي أما في حالة الإساءة فإن استخدام القوة يكون بهدف الإيذاء وإلحاق الضرر بالطفل.
- ٣- يرتبط التأديب بسلوك الطفل منطقياً بينما لا يرتبط بذلك في الإساءة.
- ٤- يتعامل التأديب مع المشكلات الحالية للطفل أما الإساءة فتعامل غالباً مع المشكلات الماضية.
- ٥- التأديب ليس خطيراً على النمو الجسدي والانفعالي للطفل أما في الإساءة يعاني الطفل من الإيذاء والضرر الجسمي والانفعالي.

(١) سيكولوجية العنف: المفهوم، النظرية، العلاج، د. طه عبد العظيم حسين، الدار الصولتية للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، طبع عام ١٤٢٦هـ، ص ١٤١ - ١٤٤.

- يكون التأديب معقولاً ومعتدلاً أما الإساءة تكون غير عادلة وحادة.
- ليس في التأديب إذلال أو إذعان على عكس الإساءة يكون فيها إذلال وإذعان من الطفل لقوة الآباء وتحكمهم.
- يركز التأديب على السلوك وليس على إدانة وانتقاد الطفل أما في الإساءة يبالغ الآباء في المشكلة ومن ثم يدينون وينتقدون الطفل على أنه سيئ.
- يحترم التأديب حقوق الطفل ويكون مقترناً بالحب والتقدير على عكس الإساءة حيث يستغل الآباء الخلل في توازن القوة بينه وبين الطفل وبذلك فهم لا يحترمون حقوق الطفل ويظهرون الغضب والعدائية نحو الطفل.

وجملة القول أن هناك اختلافاً بين العقاب الجسمي بهدف التأديب والإساءة الجسمية للطفل، فالتأديب ليس مرادفاً للقوة أو العنف الجسمي، وإذا كان العقاب الجسمي يعني استخدام القوة الجسمية مع القصد في أن يعاني الطفل الألم ولكن الهدف ليس هو الإيذاء أو الضرر بل الهدف هو تصحيح سلوك الطفل ولكن عندما يصبح العقاب الجسمي مفرطاً وقاسياً يكون ذلك هو الإساءة الجسمية للطفل.

فالعقاب الجسمي يعتبر إساءة جسمية عندما يكون قاسياً ومفرطاً وغير معقول وحاد وغير إنساني ومتطرف، وعلى هذا فالإساءة الجسمية تكون نتيجة للعقاب الجسمي المفرط، ومن هنا فإن السلوكيات التي تؤدي إلى حدوث خطر وضرر مثل الحرق والخنق تعتبر إساءة جسمية، فالهدف الأساسي من العقاب الجسمي هو وقف الطفل عن التصرفات الخاطئة والمسيئة.^(١)

ويجب البحث عن أفضل الطرق لتعديل السلوكيات الخاطئة للأطفال، وتهذيب أنفسهم، وتقويم سلوكهم، وتوجيههم نحو امتلاك مكارم الأخلاق، ومحاسن الصفات والأفعال.

(١) سيكولوجية العنف: المفهوم، النظرية، العلاج، د. طه عبد العظيم حسين، الدار الصولتية للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، طبع عام ١٤٢٦ هـ، ص ١٢٨.

خصائص الآباء المسيئين لأطفالهم

يتسم الآباء الذين يمارسون العنف ضد أولادهم بمجموعة من الخصائص الشخصية وهي:

- ١- نقص تقدير الذات والكفاءة الشخصية.
- ٢- توقعات مرتفعة وغير واقعية عن سلوك الطفل بعيداً عن سنه وقدراته.
- ٣- عدم النضج الاجتماعي والانفعالي والاعتماد على الآخرين.
- ٤- عدم فهم الاختلافات والفروق بين التأديب والإساءة وكذلك عدم فهم الحاجات النمائية للطفل.
- ٥- انخفاض القدرة على تحمل الإحباط.
- ٦- عدم القدرة على التحكم في الغضب.
- ٧- نقص الضبط الانفعالي ومن ثم يكونون عرضة للهياج والثوران.
- ٨- نقص الإمباتية والفهم للأطفال.
- ٩- نقص مهارات الوالديه وعدم الوعي بالمفاهيم الصحيحة للأبوة والطفولة.
- ١٠- تعاطي المخدرات والكحوليات.
- ١١- ممارسة أساليب والديه غير سوية.
- ١٢- غياب طويل عن الأطفال سواء كان ذلك بالسفر أو السجن.
- ١٣- تاريخ من الإساءة الأسرية حيث تم تعريضهم للإساءة وهم أطفال ومن

ثم يسيئون إلى أطفالهم.

١٤- نقص مهارات التواصل الاجتماعي والانفعالي مع الأبناء.

١٥- نقص المساندة الاجتماعية من الزوجة أو الأصدقاء.

١٦- الانسحاب من الواقع وتفضيل العزلة.

١٧- نقص في إشباع الحاجات الانفعالية لديهم مثل الدفء والحب والتقدير

ومن ثم فهم غير قادرين على منح هذه المشاعر لأطفالهم.

١٨- ضعف البناء النفسي مما يتيح للمحفزات العدوانية أن تعبر عن نفسها

دون قيود.

١٩- وجود اضطرابات في الشخصية لدى هؤلاء الآباء المسيئين.

وجملة القول أن الآباء المسيئين لأطفالهم يعانون من انخفاض في تقدير

الذات، وتكون النتيجة نقص الثقة بالنفس والكفاءة الشخصية والتي تؤدي بدورها

إلى أداء محدود في كل مجالات الحياة، ومن ثم يشعرون بالاكئاب والعزلة حيث

أن تقدير الذات المرتفع لدى الآباء يعني درجة عالية من استحقاق الذات والثقة

في قدراتهم الخاصة، وهذا يساعدهم على مواجهة وحل المشكلات. كما أن

هؤلاء الآباء المسيئين والمهملين لأطفالهم قد يهملونهم دون اعتبار للنتائج التي

تظهر عليهم على المدى الطويل، فهم ينفقون أموالهم في شراء أشياء خاصة بهم

بينما أطفالهم جوع وعرايا وربما يتركون أطفالهم مع صحبة سيئة دون رقابة على

سلوكهم، فسلوك الأنانية لدى هؤلاء الآباء المسيئين والمهملين لأطفالهم يرجع

إلى وجود نقص في الإمباتية أو التعاطف نحو إشباع حاجات الطفل، إذ إن هؤلاء

الآباء المسيئين أيضاً لا يمكنهم إرجاع إشباع حاجاتهم الشخصية في سبيل إشباع

حاجات أطفالهم، فهم لديهم شعور عميق بالحرمان والحاجة، ومن ثم فقد يتنافسون

مع أطفالهم لإشباع حاجاتهم الشخصية على حساب حاجات أطفالهم.

كما أن معظم هؤلاء الآباء المسيئين لأطفالهم يعانون من نقص في الضبط

الانفعالي، ومن ثم يكونون عرضة للهياج والثوران الانفعالي فربما يكون هؤلاء

الفصل الثالث: فئات العنف الأسري

الآباء لديهم مشاعر إحباط وغضب مكبوتة منذ الطفولة ولا يستطيعون التعبير عنها بسبب الخوف من سوء المعاملة التي تعرضوا لها في طفولتهم ولديهم شعور بعدم الأمن، ومن ثم يعبرون عن هذه المشاعر من خلال الإساءة لأطفالهم، فهم في الغالب يتخذون من الطفل وسيلة للتنفيس عن رغباتهم العدوانية المكبوتة وعن إحباطاتهم ومشاعرهم السلبية المختلفة نحو أنفسهم، وهذا يعكس المشاكل الانفعالية العميقة لدى هؤلاء الآباء المسيئين لأطفالهم.^(١)

ومن صور العنف القاسي الضرب المبرح والحرق والخنق ومنع الطفل من تناول الطعام لمدة طويلة وتسميم الطفل بالأدوية والمواد الكيماوية، ويصل الأمر إلى حد القتل في صورة تراجيدية يصعب على العقل تصوره؛ حيث يمارس الأب أشنع صور الإيذاء تجاه أطفاله الذين يحتاجون لمشاعر الحنان والرحمة والدفء العائلي.

ويؤدي هذا إلى كره الأطفال لآبائهم، مما ينعكس بشكل سلوكيات خاطئة ضد الوالدين، بل وعقوقهم، وقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «رحم الله من أعان ولده على بره»، قال: قلت: كيف يعينه على بره؟ قال: «يقبل ميسوره، ويتجاوز عن معسوره، ولا يرهقه، ولا يخرق به، فليس بينه وبين أن يصير في حد من حدود الكفر إلا أن يدخل في عقوق أو قطيعة رحم»^(٢) وهذا يعني أن الآباء قد يسهمون في جعل أولادهم يمارسون العقوق ضدهم أو برهم والعطف عليهم.

وحتى لا يقع العقوق، على الآباء الإحسان لأولادهم، من خلال تأديهم وتربيتهم التربية الصحيحة، والرفقة والرحمة بهم كما ورد في الحديث الشريف:

(١) سيكولوجية العنف: المفهوم، النظرية، العلاج، د. طه عبد العظيم حسين، الدار الصولتية للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، طبع عام ١٤٢٦هـ، ص ١٤٦.

(٢) فروع الكافي، الشيخ الكليني، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، طبع عام ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ج ٤، ص ٥٢، رقم ٦، باب بر الأولاد.

«أحبوا الصبيان وارحموهم»^(١) فالأولاد أمانة بيد الآباء، ويحتاجون إلى العطف والرحمة واللين في التعامل معهم، حتى تنمو شخصياتهم، ويكونون أفراداً صالحين، يخدمون المجتمع، ويساهمون في تطويره وتنميته.

(١) فروع الكافي، الشيخ الكليني، دار المعارف للمطبوعات، بيروت- لبنان، طبع عام ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، ج ٤، ص ٥٢، رقم ٣، باب بر الأولاد.

خصائص الأطفال ضحايا الإساءة

يتسم الأطفال الذين يتعرضون لسوء المعاملة والإهمال من جانب الوالدين أو القائمين على رعايتهم بعدة خصائص شخصية تيسر من إمكانية تعرضهم للإساءة، فالأطفال الذين يتعرضون للإساءة والإهمال يكون لديهم نشاط زائد أو يكونون متخلفين عقلياً ومضطربين انفعالياً، ولديهم صعوبات نمائية أو لديهم مشاكل صحية ومرضية مزمنة. فهؤلاء الأطفال يحتاجون إلى رعاية مستمرة تفرض مطالب شديدة على الوالدين. وهناك أطفال يتميزون ببعض الخصائص التي تتسبب في شعور الوالدين بالإحباط مما يؤدي إلى تنامي مشاعر الرفض والكرهية لهؤلاء الأطفال وتعرضهم للإساءة، ومن بين ذلك الأطفال الذين يولدون من حمل غير مرغوب فيه، وكذلك الطفل المولود قبل مواعده ويكون وزنه أقل من المعتاد، وذلك لحاجته لرعاية مستمرة من الوالدين، وكذلك الأطفال الذين يعانون من الإعاقة سواء كانت جسمية أو عقلية أو حسية. وكذلك الأطفال العاجزون عن التعلم، وأيضاً الذين يولدون بعيوب خلقية كل هؤلاء الأطفال يكونون عرضة للإساءة، كما أن الحالة المزاجية للطفل تسهم في تعرضه للإساءة أيضاً. فالطفل السلبي الكسول غير المطيع يشجع على إساءة معاملته، وعلى هذا فإن الأطفال المتأخرين دراسياً وذوي النشاط الزائد والمعاقين جسمياً وعقلياً يتعرضون للإساءة.

وقد يصدر عن الطفل أنماط سلوكية معينة تجعله عرضة للإساءة أيضاً مثل مص الإصبع، والاعتمادية الشديدة على الغير، والصياح، وكثرة إزعاج الوالدين،

والعدوانية، ونقص المهارات الاجتماعية. وقد ترتبط إساءة معاملة الطفل بخصائص الوالدين على الطرف الآخر كأن يكون أحد الوالدين أو كلاهما قد تعرض للإساءة في الطفولة، كما أن قلة الخبرة والمعرفة فيما يتعلق بتربية الأطفال ونقص مهارات الوالدية، ونقص مهارات التواصل مع الأبناء كلها خصائص والدية ترتبط بإساءة معاملة الأطفال.

كما أن هناك أموراً ومتغيرات بيئية تسهم أيضاً في جعل الأطفال عرضة للإساءة والإهمال من أحد الوالدين كالبطالة والفقر وغيرها، مثل: حجم الأسرة، وعدم الاستقرار الأسري، وكلها عوامل تهيج وتسهل من إساءة معاملة الطفل وإهماله.^(١)

ويمكن أن نلخص - بالإضافة لما تقدم - بأنه يلاحظ على الأطفال الذين يتعرضون للعنف مجموعة من التصرفات غير السوية... أهمها ما يلي:

اضطراب ضعف الانتباه والحركة الزائدة

تعتبر الحركة الزائدة من أهم المشكلات التي تظهر ضمن المشكلات النفسية خلال فترة الطفولة، وهي تعرف تقنياً بضعف الانتباه المقرون بالحركة الزائدة (ADHD) وهناك مظاهر رئيسة لهذا الاضطراب هي:

١. ضعف الانتباه:

وهو أن تظهر سلوكيات تدل على عدم الاستماع والفتش في إنهاء المهمات وبالتحديد قصر مدة الانتباه والانتقال السريع من نشاط إلى نشاط آخر قبل إنهاء النشاط الأول، فالطفل يذهب من لعبة إلى أخرى بدون تركيز بالصف وهو دائماً سهل المقاطعة ويفشل في إعطاء انتباه كاف، هل هذه المشكلة لها علاقة بالقدرة على البقاء في وضع الانتباه أو صعوبة في تحمل

(١) إساءة معاملة الأطفال: النظرية والتطبيق، د. طه عبد العظيم حسين، دار الفكر، عمان - الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٨م، ص ٧٣ - ٧٤.

الانتباه؟ المشكلات بالانتباه مهمة ولكن طبيعة المشكلة بالاضطراب ما زالت مسيئة جدل للباحثين.

٢. الاندفاعية:

وهي التصرف بدون تفكير وبالرغم من أن العديد من الأطفال قد يكونون اندفاعيين (وخاصة الأعمار الصغيرة) فإن أطفال (ADHD) يقاطعون الآخرين و مندفعين في إجاباتهم على الأسئلة ويفشلون في انتظار دورهم وبالتالي تظهر مشاكل العمل بالمدرسة.

٣. الحركة الزائدة:

ويوصف هؤلاء الأطفال بالتململ الدائم وعدم القدرة على البقاء في وضع الثبات. ومن الصعوبات المركزية لاضطراب (ADHD) العلاقات مع الرفاق مع وجود انتهاك للقواعد والعدوان الذي عادة ما يربط من قبل الرفاق بأنه سلبية التعامل معهم، وأكثر من ذلك فإن الرفض الاجتماعي لأطفال الاضطراب تظهر وتتطور بعد القليل من الأوقات خلال التفاعل مع الآخرين (Farhard & Minshav, 1994).

المعايير التشخيصية

يظهر ضعف الانتباه على الأقل في ستة من [الأمر] التالية:

- الفشل الدائم في إعطاء انتباه للتفاصيل أو إظهار الإهمال والأخطاء بالمدرسة أو العمل أو غيرها من الأنشطة.
- صعوبة دائمة في البقاء في وضع انتباه عند التحدث أو نشاطات اللعب.
- إظهار دائم لعدم الاستماع لما يقال له.
- الفشل في تنظيم النشاطات المطلوبة منه.
- عدم تفضيل دائم للنشاطات التي تتطلب جهد عقلي.
- إضاعة دائمة للأشياء المهمة للمهمات.

- سهولة التشتت السريع للمثيرات الخارجية.
- نسيان دائم للنشاطات البيئية.^(١)

(١) دليل إرشادي للتعامل مع العنف الأسري، د. محمد أبو عليا، مركز التوعية والإرشاد الأسري، الزرقاء- الأردن، طبع عام ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ص ٤٨-٥٠.

قواعد إسلامية في تربية الأطفال

تعد تربية الأطفال مسألة في غاية الأهمية والصعوبة، فهي مهمة جداً لأن التربية السليمة تساهم في بناء جيل ملتزم ومؤمن، وهي صعبة لأن التربية بحاجة إلى وعي وثقافة وعلم بأصول التربية وقواعدها، كما أن الآباء بحاجة إلى فهم أفضل لتفكير الأطفال وميولهم وحاجاتهم المتنوعة، ويقع بعض الآباء في خطأ فاحش عندما يلبون الاحتياجات المادية للأطفال ويغفلون عن تلبية الحاجات الروحية والأخلاقية لهم.

وثمة مسألة أخرى وهي: إن الكثير من الآباء والأمهات لا يشعرون بالحاجة إلى ثقافة تربوية تساعدهم على تربية وتعليم أبنائهم مما يجعلهم يقعون في أخطاء فاحشة لعدم فهمهم العميق لوسائل التربية. ولتلافي ذلك ينبغي للآباء والأمهات أن يلموا إماماً جيداً بوسائل التربية الصحيحة للأبناء، وهذا يستدعي بدوره قراءة الكتب التربوية، والاستفادة من تجارب العلماء والمصلحين في التربية، والاهتمام بمتابعة كل جديد عن عالم الطفولة... كي يمكن تربية الأبناء وفقاً للأصول التربوية السليمة.

وتنبع أهمية تربية الأطفال بصورة صحيحة من أن مرحلة الطفولة هي مرحلة تكوين الشخصية، في حين أن مرحلة الشباب هي مرحلة تثبيت الشخصية؛ فالإنسان إنما تتكون شخصيته في السنوات الأولى من حياته، وتظل تأثيرات مرحلة الطفولة تنعكس على سلوكياته وتصرفاته حتى بعد تجاوزه تلك المرحلة المهمة من حياته.

وتأسيساً على ذلك، فإن القيام بمسؤولية تربية الأطفال تعد من أهم المسؤوليات الملقاة على عاتق الآباء، فالتربية حق طبيعي للأبناء على آبائهم، وهم بحاجة ماسة إلى التربية لبناء شخصياتهم وتهذيب نفوسهم ليكونوا أفراداً صالحين لدينهم ومجتمعهم.

وقد اهتم النبي (ﷺ) اهتماماً كبيراً بتربية الأطفال تربية سليمة، باعتبارهم اللبنة الأولى في بناء المجتمع، وبالتالي لا بد من الاهتمام بهذه اللبنة كي يُبنى المجتمع على أسس قوية وصلبة.

ومن خلال قراءة السيرة النبوية المباركة، ووصايا النبي (ﷺ) بالأطفال، يمكننا الإشارة إلى أهم الأساليب والوسائل المثلى في تربية الأطفال تربية صحيحة في النقاط التالية:

١- غرس القيم الدينية والأخلاقية في شخصية الطفل:

من المهم للغاية في تربية الأطفال هو غرس القيم الدينية والأخلاقية في شخصياتهم، وذلك بشرح القضايا الدينية بصورة بسيطة كي يمكن للأطفال استيعابها، كما أن من الضروري تربية الأطفال على الأخلاق الفاضلة والآداب الحسنة حتى يمكن نشئة جيل متدين وخلوق.

ولأن الدين هو منبع الفضائل الأخلاقية، والقيم الإنسانية الراقية، فلذلك يجب أن نغرس الدين في نفوس أطفالنا، ونجعلهم يفتخرون بالانتماء إليه، والشعور بالحب تجاه كل ما له صلة به.

ومن أجل غرس الدين في نفوس الأطفال يجب اصطحابهم إلى أماكن العبادة والذكر، ومراكز الثقافة والفكر، وكذلك توجيههم نحو الالتزام بالقيم والتعاليم الدينية منذ الصغر. فقد روي عن النبي (ﷺ) قوله: «علموا أولادكم الصلاة إذا بلغوا سبعاً، واضربوهم عليها إذا بلغوا عشراً، وفرقوا بينهم في المضاجع»^(١) وذلك

(١) ميزان الحكمة، محمد الري شهري، مؤسسة دار الحديث الثقافية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٩ هـ، ج ٨، ص ٣٦٨١ رقم الحديث ٢٢٧٥٧.

من أجل الالتزام بالواجبات الدينية منذ مرحلة الطفولة حتى يشب عليها عندما يكون قد بلغ مرحلة التكليف الشرعي.

إن تعليم الطفل على الصلاة والصيام، وكذلك تربيته على الآداب والأخلاق الفاضلة منذ الصغر هو أفضل أسلوب لتهديب نفسه، وتركيزه روحه، وبناء شخصيته.

٢- تعويد الطفل على العادات الحسنة:

يجب تعويد الطفل على العادات الحسنة حتى تكون جزءاً من شخصيته العامة، والعادات الحسنة كثيرة كالالتزام بالمواعيد، واحترام الكبار، والصدق في الحديث، والاهتمام بالنظافة، والتعود على القراءة والمطالعة... الخ.

ومن العادات الحسنة أيضاً إفشاء السلام، وقد كان نبينا (ﷺ) يسلم على الجميع بما فيهم الأطفال، فعن أنس بن مالك قال: «إن رسول الله (ﷺ) مرَّ على صبيان فسلم عليهم وهو مغزٍ»^(١).

وذكر بعضهم في تعداد صفات النبي (ﷺ): «إنه كان يسلم على الصغير والكبير»^(٢).

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) عن آبائه عن النبي (ﷺ) قال «خمس لست بتاركهن حتى الممات... وتسليمي على الصبيان لتكون سنة من بعدي»^(٣).

ولبدء الطفل بالسلام أثران نفسيان: فهو يقوي في نفس المسلم صفة التواضع وخصلة الخلق الفاضل، ويحيي في الطفل الشخصية الرصينة والإرادة المستقلة. إذ أن الطفل الذي يجد الكبار يسلمون عليه ويحترمونه بهذا الأسلوب يصدق بكفاءته وأهليته للاحترام، ويطمئن منذ الصغر إلى أن المجتمع يعتبره إنساناً ويعيره الناس اهتماماً لا بأس به.

(١) مكارم الأخلاق، ص ١٦.

(٢) مستدرک الوسائل، ج ٨، ص ٣٦٤، رقم ٩٦٨٦.

(٣) بحار الأنوار، ج ١٦، ص ٢١٩، رقم ١١.

فعلى الراغبين في اتباع سنة الرسول الأعظم (ﷺ) أن يبدأوا الأطفال بالسلام، كي يركزوا في نفوسهم خصلة التواضع، ويحيوا شخصيات الأطفال ويدفعوهم إلى طريق التربية السليمة.^(١)

وإذا سلّم الطفل على الكبار فعليهم أن يردوا سلامه حتى يشعر بالتقدير والاحترام، ويلتزم الطفل منذ صغره به، إذ هو أحد السنن المؤكدة في أخلاقيات الإسلام.

ومن الخطأ الفاحش تجاهل رد السلام على الطفل - كما يحدث أحياناً في مجتمعنا - لأن ذلك يزرع في شخصيته الشعور بالمهانة والدونية والاحتقار.

وتعويد الطفل على العادات الحسنة يجعله يتعود عليها حتى عندما يكبر، فمن الصعب على الإنسان أن يترك أية عادة قد تعود عليها منذ نعومة أظفاره، وهذا يحقق له شخصية محترمة وناجحة عندما يصبح شاباً. أما عندما يتعود الطفل على العادات السيئة فإنه سوف يشب عليها، وتتحول إلى جزء من شخصيته، وهذا ما يؤدي به إلى الفشل وربما التعاسة والشقاء في حياته.

٣- تغذية الطفل بالحب والعطف والحنان:

يحتاج الطفل إلى الحب والعطف والحنان من والديه كما يحتاج إلى الطعام والشراب، فالغذاء العاطفي (الحب والعطف والحنان) ضروري جداً لبناء شخصية سوية غير مضطربة ولا قلقة؛ فالطفل الذي يتلقى الحب والعطف والحنان يشعر براحة نفسية وتكامل في الشخصية، في حين أن من يفقد الحب والعطف يصاب بعقد نفسية خطيرة.

فقد قال رسول الله (ﷺ): «أحبوا الصبيان وارحموهم»^(٢)، وعنه أيضاً (ﷺ) قال: «من قبّل ولده كتب الله عز وجل له حسنة، ومن فرّحه فرّحه الله يوم القيامة»^(٣).

(١) الطفل بين الوراثة والتربية، محمد تقي فلسفي، ج ٢، ص ٩٢.

(٢) ميزان الحكمة، ج ٨، ص ٣٦٦٩، رقم الحديث ٢٢٦٢٠.

(٣) ميزان الحكمة، ج ٨، ص ٣٦٦٩، رقم الحديث ٢٢٦٢٤.

وروي أن رسول الله (ﷺ) - لما قبّل الحسن والحسين (عليهما السلام) فقال الأقرع بن حابس: إن لي عشرة من الأولاد ما قبلت واحداً منهم - ما عليّ إن نزع الله الرحمة منك! (١)

وروي: كان رسول الله (ﷺ) يقبل الحسن والحسين فقال عيينة - وفي رواية غيره: الأقرع بن حابس - إن لي عشرة ما قبلت واحداً منهم قط، فقال (ﷺ): من لا يرحم لا يرحم. وفي رواية حفص الفراء: فغضب رسول الله (ﷺ) حتى التمع لونه وقال للرجل: إن كان الله قد نزع الرحمة من قلبك فما أصنع بك! من لم يرحم صغيرنا ولم يعزز كبيرنا فليس منا. (٢)

ويعلمنا النبي (ﷺ) أيضاً أهمية توفير الدفء العاطفي للأطفال، فقد روى الليث بن سعد: أن النبي كان يصلي يوماً في فئة والحسين صغير بالقرب منه وكان النبي إذا سجد جاء الحسين فركب ظهره ثم حرك رجله وقال: حل حل، وإذا أراد رسول الله أن يرفع رأسه أخذه فوضعه إلى جانبه فإذا سجد عاد على ظهره وقال: حل حل، فلم يزل يفعل ذلك حتى فرغ النبي من صلاته فقال يهودي: يا محمد إنكم لتفعلون بالصبيان شيئاً ما نفعله نحن، فقال النبي: أما لو كنتم تؤمنون بالله وبرسوله لرحمتم الصبيان، قال فإني أؤمن بالله وبرسوله، فأسلم لما رأى كرمه من عظم قدره. (٣)

ومن عطف النبي (ﷺ) على الأطفال أنه كان (ﷺ) يؤتى بالصبي الصغير ليدعوه بالبركة، أو يسميه، فيأخذه فيضعه في حجره تكريماً لأهله، فربما بال الصبي عليه فيصيح بعض من رآه حين يبول فيقول (ﷺ): لا تزرعوا بالصبي فيدعه حتى يقضي بوله، ثم يفرغ له من دعائه أو تسميته ويبلغ سرور أهله فيه ولا يرون أنه يتأذى ببول صبيهم فإذا انصرفوا غسل ثوبه بعده. (٤)

(١) ميزان الحكمة، ج ٨، ص ٣٦٧٠، رقم ٢٢٦٢٦.

(٢) بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٢٨٢.

(٣) بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٢٩٦، رقم ٥٧.

(٤) بحار الأنوار، ج ١٦، ص ٢٤٠.

وهذا يدل على أهمية توفير الحب والعطف والحنان للأطفال، إذ أن لذلك أثراً بالغاً في تكامل شخصية الطفل، وفي زيادة الثقة بالنفس، وفي تفتح القدرات العقلية ونموها، وفي خلق التوازن في نفسية الطفل واستقرار الحالة الأخلاقية لديه.

وإذا كان الحب والعطف ضرورياً لنمو روح الطفل وتكامل شخصيته، إلا أن الإفراط فيه له أضرار كثيرة على الطفل؛ من أهمها الإعجاب الزائد بالنفس، وتزايد حالة الغرور، وعدم القدرة على تحمل المسؤوليات، والتصرف بميوعة غير لائقة... الخ.

والمطلوب هو التوازن في الحب والعطف والحنان، فالنقص في تغذية الطفل بذلك كزيادته مضر بشخصيته، فلا شيء كالاتدال في الحب والعطف والحنان يساهم في تحقيق التربية المتوازنة في حياة الطفل.

٤- الابتعاد عن القسوة الشديدة والليونة المفرطة:

تحتاج التربية السليمة إلى التوازن الدقيق في التعامل مع الأطفال، فالقسوة الشديدة على الأطفال كما الليونة المفرطة لها أضرار جسيمة على مستقبل الأطفال وبناء شخصياتهم.

«وقد دلت الإحصائيات على أن عدداً كبيراً من المجرمين ينتمون إلى بيوت كانت القسوة فيها هي القانون المعمول به، وكان الضرب وإلحاق الأذى هو الوسيلة التربوية»^(١).

وقد نهى النبي (ﷺ) عن التعامل مع الأطفال بالقسوة والشدة، فقد روي عن أم الفضل زوجة العباس بن عبد المطلب وهي مرضعة الحسين (عليه السلام) قالت: أخذ مني رسول الله (ﷺ) حيناً أيام رضاعه، فحمله فأراق ماء على ثوبه، فأخذته

(١) نظام الأسرة في الإسلام، باقر شريف القرشي، دار الأضواء، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ص ١٣٦، نقلاً من كتاب (اعرف نفسك) ص ٢٠٣.

بعنف حتى بكى، فقال: «مهلاً يا أم الفضل إن هذه الإراقة الماء يطهرها، فأى شيء يزيل هذا الغبار عن قلب الحسين عليه السلام». (١)

ومن الضروري أيضاً الابتعاد عن الليونة المفرطة فإنها لاتقل خطراً عن القسوة الشديدة لأنها تؤدي إلى تشنئة الطفل على عدم الإحساس بالمسؤولية، وعدم التقيد بأية ضوابط أو معايير قيمية أو أخلاقية، وعدم الاكتراث بحقوق الآخرين، وضعف الاعتماد على الذات.

أما القسوة الشديدة فإن أخطارها واضحة حيث تؤدي بالطفل إلى التصرف بخشونة وغلظة، والإصابة بالأمراض والعقد النفسية، كما قد تؤدي إلى ارتكاب أعمال إجرامية.

وأفضل وسيلة للتربية السليمة هو التربية على قاعدة (حزم بلين).

٥- احترام شخصية الطفل:

إن احترام شخصية الطفل تكرر لديه الثقة بالنفس، والشعور بالراحة، وتنمي مواهبه القيادية؛ في حين أن التعامل مع الطفل باستخفاف، والتقليل من مكانته، واعتباره مجرد جاهل لا يفهم شيئاً، يؤدي بالطفل إلى العقد النفسية، والإصابة بالاضطراب والقلق، والشعور بالنقص والدونية.

وقد كان النبي ﷺ على عظمته ومكانته الرفيعة يحترم الأطفال كي يزرع في شخصياتهم الثقة بالنفس، وتنمية ذواتهم، فقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: عطس غلام لم يبلغ الحلم عند النبي ﷺ فقال: الحمد لله، فقال له النبي ﷺ: بارك الله فيك. (٢)

ويتجلى احترام النبي ﷺ باحترام وتكريم الأطفال في قراءة الرواية

(١) مستدرک الوسائل، ج ٢، ص ٥٥٧، رقم ٢٧١٤.

(٢) أصول الكافي، ج ٢، ص ٦٢١، رقم ١٢.

التالية: عن انس، و عبد الله بن شيبه عن أبيه: إنه دعي النبي إلى صلاة والحسن متعلق به، فوضعه النبي مقابل جنبه وصلى، فلما سجد أطال السجود فرفعت رأسي من بين القوم فإذا الحسن على كتف رسول الله فلما سلم قال له القوم: يا رسول الله لقد سجدت في صلاتك هذه سجدة ما كنت تسجدها كأنما يوحى إليك فقال: لم يوح إليّ ولكن ابني كان على كتفي فكرهت أن أعجله حتى نزل، وفي رواية عبد الله ابن شداد أنه (عليه السلام) قال: «إن ابني هذا ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته»^(١).

لقد كان أطفال الناس أيضاً يحوزون احتراماً وتكريماً من قائد الإسلام العظيم، وكان يبذل لهم من العناية بمشاعرهم الروحية وعواطفهم ما يبذله لأولاده. فعن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال: صلى رسول الله (عليه السلام) بالناس الظهر، فخفف في الركعتين الأخيرتين، فلما انصرف، قال له الناس: هل حدث في الصلاة حدث؟ قال: وما ذاك؟ قالوا: خففت في الركعتين الأخيرتين، فقال لهم: أما سمعتم صراخ الصبي؟!^(٢)

وهكذا نجد النبي العظيم يطيل في سجدته تكريماً للطفل تارة، ويخفف في صلاته تكريماً للطفل أيضاً تارة أخرى، وهو في كلتا الصورتين يريد التأكيد في احترام شخصية الصبي وتعليم المسلمين طريق ذلك.^(٣)

ومما سبق من السيرة النبوية في تعامل النبي (عليه السلام) مع الأطفال يتضح لنا أن من الأساليب المهمة في التربية هو التعامل مع الطفل كإنسان له مشاعر وعواطف وأحاسيس، ومن ثم يجب احترام شخصية الطفل، لأن ذلك يساهم في رسم شخصيته في المستقبل. أما التعامل معه من دون أي اعتبار لمشاعره وعواطفه فإن ذلك يؤدي إلى إيجاد أطفال معقدين ومضطربين نفسياً وعقلياً، وهذا له مخاطر جسيمة على الأطفال أنفسهم وعلى المجتمع أيضاً.

(١) مناقب آل أبي طالب، ج ٤ ص ٢٨.

(٢) فروع الكافي، ج ٤، ص ٥١، رقم ٤.

(٣) الطفل بين الوراثة والتربية، ج ٢، ص ٨٧.

٦- اتباع مبدأ الثواب والعقاب:

من عناصر التربية السليمة هو اتباع مبدأ الثواب والعقاب، أو لنقل مبدأ التشجيع والتوبيخ؛ فإذا ما أحسن الطفل، أو أحرز مستوى متقدم في نتائج الدراسة، أو تلفظ بألفاظ حسنة فإنه يجب أن يثاب على ذلك ويشجع. أما إذا أساء لنفسه أو للآخرين، أو أخفق في الدراسة، أو تصرف من غير أدب وأخلاق فيجب أن يوبخ ويعاقب بطريقة معقولة حتى يرتدع مرة ثانية عن تكرار ذلك العمل الخاطيء.

إن المدح المناسب المستند إلى الاستحقاق والجدارة شرط ضروري لتربية الطفل. ذلك أن من وسائل وقاية ظهور مرض الخجل المفرط وشدة الحياء عند الأطفال، الثناء عليهم وتوجيه الشكر والمدح على أفعالهم الطيبة، إن الأطفال الذين نشأوا على يد أبوين شديدين أنانيين لا يحسّون طعم الاستحسان والمدح أبداً، ولذلك فإنهم يملكون أرواحاً محطمة وقلقة، ويعيشون في حقارة مستمرة.

وكما أن الوالدين مدعوان إلى توجيه اللوم لأطفالهما على أفعالهم السيئة وتعويدهم على الإستقامة والأدب عن هذا الطريق، كذلك يجب أن يشجعاهم في الأفعال الصالحة التي يقومون بها كي يستمروا على ذلك، ويعرفوا بأنهم يجب أن يشجعاهم في الأفعال الصالحة التي يقومون بها كي يستمروا على ذلك، ويعرفوا بأنهم يجب أن يلتزموا السلوك المفضل في حياتهم. ولكن يجب التنبيه إلى أن التشجيع والتوبيخ دواءان تربويان مؤثران، ومن الضروري الاستفادة منهما في المواقع المناسبة حسب مقدار صحيح. إن التشجيع والتوبيخ التافهين اللذين لا يستندان إلى استحقاق، أو الإفراط فيهما قد يكون عديم الفائدة في تربية الطفل، وقد يؤدي إلى نتائج وخيمة»^(١).

إن مبدأ الثواب والعقاب مبدأ يقره كل العقلاء، كما يقره علماء التربية، فلا يصح أن يتساوى المحسن والمسيء، فالمحسن يجب أن يثاب ويشجع على

(١) الطفل بين الوراثة والتربية، ج ٢، ص ٢٤٩.

إحسانه، والمسيء يجب أن يعاقب ويوبخ على إساءته، وهذا المبدأ مهم جداً في تربية الأطفال كي يزيد المحسن من إحسانه، ويرتدع المسيء عن أفعاله.

٧- العدل بين الأبناء:

من أهم مقومات التربية السليمة هو العدل بين الأولاد، وعدم تفضيل بعضهم على البعض الآخر، لأن ذلك يؤدي إلى الأحقاد والضغائن بينهم.

فقد روي عن النبي (ﷺ) أنه قال: «اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم كما تحبون أن يبروكم»^(١) وقال الإمام علي (عليه السلام): «أبصر رسول الله (ﷺ) رجلاً له ولدان فقَبَّل أحدهما وترك الآخر، فقال (ﷺ): «فهلا واسيت بينهما؟!»^(٢) فالعدل بين الأولاد مهم جداً في بناء كيان الأسرة، وفي خلق جو من التعاون والتفاهم بين الأولاد. أما تفضيل بعضهم على بعض من دون أي سبب معقول، وبصورة علنية ومكشوفة، فهذا يؤدي إلى تحطيم الأسرة، وخلق الضغائن والأحقاد بين الأولاد، وانعدام التفاهم والتعاون بينهم.. وكل ذلك له عواقب وخيمة على مستقبل كيان الأسرة، وتفكك نظام العائلة.

ويبقى العدل بين الأولاد كما أمرنا بذلك نبينا محمد بن عبد الله (ﷺ) أمراً مهماً للغاية إذا ما أردنا بناء أسرة متماسكة، يسودها مناخ من التفاهم والتعاون والتراحم بين جميع أفرادها، وبعيدة عن عوامل الصراع والعنف بينهم، ولنتذكر دائماً قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾^(٣).

(١) ميزان الحكمة، ج ٨، ص ٣٦٧٣، رقم الحديث ٢٢٦٦٢.

(٢) ميزان الحكمة، ج ٨، ص ٣٦٧٣، رقم الحديث ٢٢٦٦٦.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٧٤.

ثالثاً: العنف ضد الأزواج

يعد العنف الموجه ضد الأزواج من قبل زوجاتهم أقل بكثير من العنف الموجه ضد الزوجات من قبل أزواجهن، إلا أن الملاحظ في السنوات المتأخرة ازدياد عدد حالات العنف من قبل المرأة ضد الرجل (الزوج).

وبالرغم من قلة الإحصائيات والأرقام المعتمدة في هذا الجانب، إلا أن ما ينشر في الصحف اليومية يؤشر إلى تزايد حالات العنف ضد الأزواج في كل مكان من العالم، بما فيه العالم العربي والإسلامي.

ففي السعودية أشارت الصحف المحلية إلى بعض حالات العنف الأسري من قبل الزوجة ضد زوجها، نذكر منها:

١ - ما قامت به إحدى الزوجات من ضرب زوجها أمام أنسابه، حيث ذكرت صحيفة الحياة أن الزوج قد شكى زوجته إلى المحكمة: إن الزوج أبلغ المحكمة بأن شريكة حياته اعتادت أن تضربه! واتضح أن الخلاف الأخير بينهما الذي انتهى بهما أمام المحكمة يتمثل في استيائه من قيام زوجته بضربه أمام أنسابه، وإن أقر بأنه لم يغضب حين اعتدت عليه بالضرب مراراً من دون وجود أطراف ثالثة.

وأقرت الزوجة بضربها لزوجها. وذكرت أن ما أغضبه هو أن الواقعة الأخيرة حدثت أمام أقربائها. وتبين لمسؤولي قسم الصلح في المحكمة العامة أن الزوجة هي التي تنفق على الزوج، كما أن جميع ممتلكات الأسرة تعود ملكيتها إلى الزوجة

التي يبدو واضحاً أنها الطرف الأقوى والأشد نفوذاً في الأسرة، عكس ما هو في مختلف الأسر بالمجتمع.^(١)

٢- أحرقت امرأة سعودية سيارة زوجها بعد أن اقترن بأخرى، فرد عليها بتطليقها، بحسب ما ذكر تقرير إخباري الأربعاء ٢-٧-٢٠٠٨م.

وقالت صحيفة «عكاظ» إن الزوجة الغاضبة اعترفت بفعلتها واستدعت ذويها الذين حاولوا إصلاح الأمر غير أن الزوج رفض كافة عروض الصلح، ومن بينها شراء سيارة جديدة، وقرر تطليق زوجته رداً على حرقها لسيارته.

وأوضحت الصحيفة أن الزوجة أصيبت بانهيار عصبي عندما علمت باقتران زوجها بأخرى وطلبت من ذويها الحضور لاصطحابها من منزل الزوجية وقبل وصولهم تسللت خفية إلى حيث تقف سيارة زوجها (٤٥ عاماً) الجديدة، التي زف بها عروسه الثانية لتسكب عليها جالوناً من الوقود وتضرم النار فيها.

واستعان الزوج بالجيران لإخماد الحريق، ثم أبلغ الشرطة بالحادث.^(٢)

٣- في تحقيق جميل ولافت نشرته صحيفة الوطن السعودية اعترفت زوجات عديدات بضرب الأزواج بالخيزران وطعن بالسكين وحبس وحرق، وبالكثير من «الأسرار» التي تحدث وراء الجدران داخل البيوت.

إحدى الزوجات تضرب زوجها بالمقلاة. وأخرى «تؤدّبه» بالخيزران.. وثالثة تنتقم منه بسبب ما أوقعه أبوها على أمها من اعتداءات وهي صغيرة.

أخفهن ضرراً تلك التي اختارت أن تحبسه في غرفته، وتمنعه من الخروج وتحرمه من «المصروف».

(١) صحيفة الحياة، الأربعاء ٦ أغسطس ٢٠٠٨م الموافق ٥ شعبان ١٤٢٩هـ، العدد ١٦٥٦، الصفحة الأخيرة.

(٢) موقع العربية نت <http://www.alarabiya.net/articles/2008/07/02/52450.html> الأربعاء ٢٨ جمادى الثانية ١٤٢٩هـ - ٠٢ يوليو ٢٠٠٨م.

وعلى العكس من ذلك، هناك من تطرد زوجها من منزل الزوجية، تسبقه ملابسه، للتخلص منه، والتخفف من مشاكله وهمومه.

فهل يتجه الرجال لتأسيس جمعية لحمايتهم من عنف زوجاتهم كما حدث ذلك في بلاد أخرى؟ وماذا تخفي جدران المنازل وراءها من أسرار وحكايات؟ وهل يظل ضرب الزوجات لأزواجهن «ملفأ مسكوتاً عنه» لحساسيته عند الرجل؟.

وما الذي يُحوّل «المرأة» من «نبيع للحنان» و «مصدر للأمان» إلى شخص قاس حاد الطبع؟ وهل صحيح أن الرجل هو المسؤول، دون سواه، عن تنامي عنف المرأة ضده؟.

إجابات هذه الأسئلة تحمل حقائق «مُرّة» يجب أن نعترف بوجودها في مجتمعنا.

وفي التحقيق التالي المزيد من التفاصيل والأسرار والحلول والمعالجات.

فيلم «المرأة والساطور» أحد أشهر الأفلام العربية التي تناولت ظاهرة «قتل الزوجات لأزواجهن».

قصة الفيلم مستوحاة من حوادث قتل شهيرة وعديدة تناقلتها وسائل الإعلام العربية خلال الأعوام الماضية.

أكثرها شهرة قصة الزوجة التي قتلت زوجها بإحدى الدول، وقطعت جسده، ثم وضعتها في أكياس، ووزعتها على أماكن متفرقة، لتخفي معالم جريماتها.

أشكال العنف الذي تمارسه بعض الزوجات ضد الأزواج «متعددة». تبدأ بتوجيه العبارات الجارحة، وتنتهي في بعض الأحيان بالقتل، مروراً بأشكال مختلفة من الضرب.

الأرقام تكشف أن «عنف الزوجات» ظاهرة عالمية، ففي سنغافورة يتعرض ١٢٪ من الأزواج إلى الضرب على أيدي زوجاتهم، وفي أوروبا ١٧٪، بينما يصل

عدد ضحايا الظاهرة في الولايات المتحدة إلى ٢٣٪.

ارتفاع النسبة في مصر إلى ٢٥٪ دفع بعض الرجال إلى تأسيس جمعية لحماية حقوق الرجل في مواجهة المرأة، تضم في عضويتها شخصيات شهيرة في مجالات الموسيقى، والتمثيل، والصحافة والإعلام.

ورغم حداثة عُمر هذه الجمعية إلا أنها تشهد إقبالاً كبيراً من الرجال المتضررين من زوجاتهم.

الغريب أن مظاهر عنف الزوجات وصلت إلى المملكة، لكنها لم تحمل معها الصخب والضجيج الذي صاحبها في دول أخرى، ذلك أنه يصعب على الرجل أن يجهر بالشكوى لأي أحد، مهما كان قريباً منه، مما يتعرض له من سب، وشتم، وضرب، وإهانة تصل أحياناً إلى الطرد من منزل الزوجية.

منى «من جدة» تقول: أنا بطبيعتي رقيقة ومطبعة، ولم تكن شخصيتي في بيت أهلي عصبية، بل كنت هادئة ومنطوية، ولكن بعد زواجي تغيرت تماماً. وتضيف أنها بسبب المشاكل المستمرة اضطرت إلى مديها على زوجها، وضربه بأقرب ما وجدته أمامها في ساعة غضبها. تشير إلى أنها ضربته في إحدى المرات «بالمقلاة»، وسكبت البيض على وجهه.

تصف زوجها بأنه «عنيد» وعصبي في معاملته لها ولأبنائها، ولا يسمع الكلام إلا بالضرب. تقول: أشعر أحياناً بتأنيب الضمير، لأنه لا يستحق مني ذلك.

تعترف بأن سبب عنفها مع زوجها قد يرجع إلى ما تعرضت له من إيذاء جسدي ومعنوي معه، أو ما كانت تشاهده من ضرب والدها لوالدتها وهي صغيرة، أي أن عنفها نوع من الانتقام لأمها.

تؤكد أن أهم ما يحرصان عليه ألا يعرف أهله وأهلها أنها تضربه، حتى لا يحدث له أي إحراج، أو تهتز شخصيته عند أقرب الناس إليه.

حرمان من المصروف

لينا مديرة مدرسة «من الرياض» تؤكد أنها تستخدم «الخيزران» في ضرب زوجها إذا اكتشفت خيانتة لها، فهو -حسب وصفها- «مغازلجي»، وله علاقات مع بعض الفتيات، ولذا تضطر إلى ضربه بالخيزران أو بيدها.

تقول: إن للظروف أحكاماً تجبرنا على «المعاقبة»، ولا أرى أن هناك فرقاً بين أن يُربّي الزوج زوجته، أو تربّي الزوجة زوجها بطريقتها.

أما مها «من الرياض» فتكشف أن طريقتها في التعامل مع زوجها أقل حدة. تقول: أعاني من «تواكل» زوجي، واعتماده عليّ في كل الأمور، حيث أقوم بجميع الأعمال حتى التي تتطلب قيامه بها.

تضيف أنها عندما تشعر بزيادة الضغوط عليها، ولا تجد منه أي مشاركة تُضطر للضغط عليه بحبسه داخل غرفته، ومنعه من الخروج، وحرمانه من المصروف، وأحياناً كثيرة «تتلفظ» عليه بالسب والشتم، إضافة إلى حرمانه من جميع حقوقه.

إهمال وغياب وفصل

هيله «من الرياض» تجزم بأنها تؤدي دوري الأم والأب معاً، وأنها مسؤولة بشكل كامل عن البيت والأولاد، فهي موظفة، وزوجها عاطل عن العمل.

تقول: زوجي فُصل من عمله لكثرة غيابه وإهماله، ورغم أن لدينا أربعة من الأبناء لم يحاول البحث عن عمل، ويعتمد عليّ كلياً، ومن حسن حظي أنني موظفة.

وتبرر عنفها مع زوجها بوصفه بأنه «إنسان سيئ يتعاطى الخمر ويسهر ويسافر». توّضح أنها تُضطر في أغلب الأحيان إلى طرده خارج المنزل، وترمي ملبسه وراءه، لترتاح من مشاكله وهمومه، ولكنه مع الأسف لا يمكث إلا عدة أيام ثم يعود، فتُضطر إلى حرمانه من الأكل والشرب، حتى تضغط عليه، ليبحث عن

عمل، ولكن لا حياة لمن تنادي.

وتضيف أنه في كثير من الأوقات يصل الشجار بينهما إلى التشابك بالأيدي، ورمي أي شيء أمامها عليه حتى لو كان «طبق الشوربة» الساخن.

وتشير إلى أن أهم أسباب استخدامها العنف مع زوجها هو سوء معاملته لها. أما أكثر ما يؤلمها فحالة أطفالها الذين تعقدوا، وأصبحت شخصياتهم ضعيفة.^(١)

أما في مصر فقامت الدكتورة ليلي عبد الوهاب بدراسة على حالات العنف عند المرأة ضد الرجل، وتم استخلاص بعض المؤشرات الدالة على ذلك وهي:

١- أن نسبة الجناة في جرائم العنف والتي تشكل سبعة بنود من سبعة عشرة بنداً، تصل إلى ٢, ٧٥٪ لإجمالي عدد المتهمين في مختلف الجرائم عام ١٩٨١م و٦, ٦٨٪ عام ١٩٨٧م.

٢- أن نسبة الجناة من النساء في جرائم العنف لإجمالي عدد النساء المتهمات تصل إلى ٧, ٦٦٪ عام ١٩٨١م، و٧, ٦٢٪ عام ١٩٨٧م.

٣- أن نسبة الجريمة عند النساء لإجمالي عدد المتهمين رجالاً ونساءً لا تزيد عن ٥, ٣٪ عام ١٩٨١م، و٣٪ عام ١٩٨٧م. وتنخفض هذه النسبة عند جرائم العنف لتصبح ٣, ٢٪ تماماً عام ١٩٨١م، و٧, ٢٪ عام ١٩٨٧م.

٤- أن نسبة الجناة من النساء في جرائم القتل سواء القتل المتعمد أو الضرب الذي أفضى إلى موت تصل إلى حوالي ٣, ٤٧٪ لإجمالي عدد المتهمات عام ١٩٨٤م، و٣٩٪ عام ١٩٨٧م.^(٢)

(١) صحيفة الوطن السعودية <http://www.alwatan.com.sa> السبت ٢٢ شعبان ١٤٢٩هـ الموافق

٢٣ أغسطس ٢٠٠٨م العدد (٢٨٨٥) السنة الثامنة، تحقيق سهام الزبيدي.

(٢) العنف الأسري: الجريمة والعنف ضد المرأة، د. ليلي عبد الوهاب، منشورات دار المدى للثقافة والنشر، دمشق - سوريا، طبع عام ٢٠٠٠م، ص ١٠٩.

وإذا تتبعنا تطور جرائم العنف من عام ١٩٧٠م حتى عام ١٩٨٧م ورصدنا التغيير الذي طرأ عليها، حيث يتبين أن نسبة جرائم العنف عام ١٩٧٠م لإجمالي عدد الجرائم المبلغ عنها تصل إلى ٧,٧٠٪، ووصلت عام ١٩٨٠م إلى ٥,٧٤٪، ثم تراجع لتتخفف خلال سبعة أعوام ٢,٦٥٪ ويستطيع أي إنسان يعيش في المجتمع المصري خلال هذه الفترة ويرصد التغيرات التي مرت به، والأزمات والمشكلات التي يعاني منها غالبية أفرادها، أن يكتشف عدم دقة الإحصاءات الخاصة بهذا الموضوع، وهذا ما يجعلنا نتحفظ على بيانات مصلحة الأمن العام بوزارة الداخلية، على الرغم من أنها المصدر الأساسي الذي يلجأ إليه الباحثون عند تصديهم لمشكلات الجريمة.

وبرغم تحفظنا السابق، فإنه يمكن التأكيد من خلال ما هو متاح من بيانات، أن نسبة الجريمة عند المرأة تعد ضئيلة للغاية إذا قورنت بنسبتها بين الرجال. ومع هذا فإن ما يلفت النظر هو ارتفاع نسبة جرائم العنف سواء بين الرجال أو النساء، مما يؤكد ما سبق الإشارة إليه حول زيادة الاتجاه نحو السلوك العنيف كأحد السمات التي تميز طبيعة العلاقات الاجتماعية القائمة بين الأفراد في المجتمع.^(١)

وبحسب البيانات المتاحة فإن المؤشرات المستخلصة عن ضحايا العنف والمجني عليهم تشير إلى التالي:

١- إن نسبة المجني عليهم في جرائم العنف وعام ١٩٨٧م لإجمالي عدد الضحايا رجالاً ونساءً تصل إلى ٧,٨٤٪، وهي بدون شك نسبة مرتفعة للغاية خاصة إذا قورنت بنسبة الجناة في نفس العام حيث وصلت إلى ٦,٦٨٪، بفارق يصل إلى ١,١٦٪.

٢- برغم زيادة نسبة المجني عليهم من الرجال عن نسبتهم عند النساء - ٧,٣٠٪ نسبة الضحايا من النساء إلى الرجال - فإنه بمقارنة نسبة الجناة من النساء في

(١) العنف الأسري: الجريمة والعنف ضد المرأة، د. ليلي عبد الوهاب، منشورات دار المدى للثقافة والنشر، دمشق - سوريا، طبع عام ٢٠٠٠م، ص ١٠٩-١١٠.

جرائم العنف، والتي لم تزد عن ٧, ٢٪ عام ١٩٨٧م بنسبتهم بين الضحايا والمجني عليهم عن نفس السنة، نجد أن الفارق كبير حيث تصل نسبة المجني عليهم من النساء لإجمالي عدد الجرائم ٦, ٢٣٪، تأتي غالبيتها من جرائم العنف ٥, ٢٣٪، أي أن هناك فارقاً يصل إلى ٨, ٢٠٪ بين الجناة والمجني عليهم من النساء.

٣- تزداد نسبة المجني عليهم من النساء عن الرجال في جريمتين هما الخطف حيث تصل النسبة إلى ٣, ٦٣٪، وهتك العرض والاغتصاب ونسبتها ٩, ٦٤٪ مع أنه كان من المتوقع أن تكون نسبة هتك العرض والاغتصاب عند النساء أعلى من ذلك^(١).

العنف ضد الأزواج المسنين

تشير الإحصائيات إلى تعرض الأزواج المتقدمين في العمر إلى أشكال متعددة من العنف إما من قبل الزوجات أو الأولاد، وقد قدر (Tatara, 1995) أعداد المسنين الذين تعرضوا لمختلف صور إساءة المعاملة في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٩١م بنحو (٥٧, ١) مليون مسن، معظمهم كانوا ضحايا لإساءة المعاملة من قبل الذكور، وكان نسبة من تعرض للعنف من النساء المسنات أكثر من الرجال حيث بلغت نسبتهم (٨, ٦٧٪) من المسنين.

أما (عمارة، ١٤٢٣هـ) فيشير إلى أن أغلب ضحايا العنف من المسنين هم من النساء اللاتي يعشن داخل الأسر، وغالباً ما يعانين من أمراض جسمية أو خرف وأن مشكلة هؤلاء المسنات أن أبناءهن لا يستطيعون العناية بهن بسبب ظروفهن وأوضاعهن المادية والنفسية.

أما (الجبرين، ١٤٢٥هـ) فيذكر أن الإحصائيات في الولايات المتحدة الأمريكية تشير إلى أن (٣٣٪) من حالات القتل التي تحدث للمسنين فوق عمر ٦٥

(١) العنف الأسري: الجريمة والعنف ضد المرأة، د. ليلي عبد الوهاب، منشورات دار المدى للثقافة والنشر، دمشق- سوريا، طبع عام ٢٠٠٠م، ص ١١١.

تم ارتكابها بواسطة أحد أفراد الأسرة التي يعيش معها المسن، وأن غالبية أعمال العنف التي ترتكب ضد المسنين تأتي من قبل الأشخاص الذين يعيشون معه خاصة أولادهم، وأن النساء أكثر ارتكاباً للعنف ضد المسنين، وأن غالبية أعمال العنف التي ترتكب ضد المسنين يكون سببها مادياً.^(١)

أسباب إساءة معاملة المسنين

أكدت كثير من الدراسات إلى وجود أسباب متعددة لإساءة معاملة المسنين... أبرزها:

- ١- الضغوط التي تواجه القائمين على رعاية كبار السن من المعوقين على وجه الخصوص.
- ٢- عدم كفاءة القائمين على رعاية كبار السن ونقص المعلومات والخبرات والمهارات التي تساعدهم على التعامل معهم بشكل صحيح.
- ٣- نقص الموارد والإمكانيات وندرة البرامج والخدمات المجتمعية.
- ٤- دورة العنف التي تميز العلاقات داخل أسرة المسن، فالسلوك العنيف هو استجابة طبيعية للتوتر والصراع والخلاف داخل الأسرة.
- ٥- المشكلات الشخصية التي يعاني منها مرتكب العنف فقد أثبتت بعض الدراسات أن نسبة (٣٠٪) ممن ارتكبوا أعمال عنف ضد المسنين يعانون من مشكلات شخصية كإدمان الكحول والمخدرات، والاضطرابات النفسية والمشكلات الاقتصادية.
- ٦- العجز والإعاقة فقد دلت الدراسات إلى أن المسنين العاجزين عن رعاية أنفسهم والمعتمدين على غيرهم في تصريف أمورهم أكثر عرضة للعنف من غيرهم.

(١) العنف الأسري: دراسة ميدانية على مستوى المملكة العربية السعودية، د. عبدالله بن عبد العزيز اليوسف وآخرون، وزارة الشؤون الاجتماعية، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص ٦٤.

وتتمثل مظاهر سوء معاملة المسنين في حرمانهم من الطعام، وتوبيخهم وتعنيفهم، وعدم الاهتمام بنظافتهم، إلا أن هذا النوع من المعاملة يختلف باختلاف الخصائص البدنية والعقلية والنفسية والاجتماعية للمسن، فالمسن فاقد العقل أو غير القادر على الحركة ويعجز عن القيام بشؤونه الشخصية وخدمة نفسه بنفسه كإعداد الطعام وتناوله، وتناول العقاقير الموصوفة له طبيياً، وقضاء حاجته، وتنظيف بدنه، هو أكثر معاناة من المسن الذي يستطيع أن يقوم بهذه الأشياء، وفي هذا الصدد ترى سناء الضبيح أن من أهم مظاهر إهمال المسنين وسوء معاملتهم ما يلي:

- ١- عدم توفير الرعاية الطبية والنفسية والاجتماعية المناسبة لهم.
- ٢- الحرمان من الطعام.
- ٣- الإشراف غير الملائم.
- ٤- التهديد والتوبيخ والتخويف والحبس والعزل.
- ٥- سرقة نقوده وحاجياته الخاصة.
- ٦- اغتصاب حقوقه وحرمانه من ممتلكاته.
- ٧- طرده من المنزل والتخلي عنه.

أما منظمة (الموارد الدولية للمسنين - مركز إساءة معاملة المسنين NARCEA) فقد أشارت إلى سبعة صور لإساءة معاملة المسنين (Tatara, 1995) هي:

- ١- الإساءة البدنية التي ينتج عنها إصابات أو ألم أو إعاقة.
- ٢- الإساءة الجنسية المتمثلة في إجبار المسن على ارتكاب أعمال جنسية.
- ٣- الإساءة العاطفية أو النفسية باستخدام التهديد والتوبيخ والإهانة المستمرة.
- ٤- الإهمال وال فشل في توفير الرعاية اللازمة للمسن.
- ٥- سرقة أموال وممتلكات المسن والتصرف فيها دون موافقته.
- ٦- الإساءة إلى النفس من خلال الأفعال التي يرتكبها المسن لإحداث الضرر بنفسه ويترتب عليها تهديد صحته وحياته.

٧- أنواع مختلفة من إساءة المعاملة وهي الأفعال التي لا تنتمي إلى الفئات السابقة.^(١)

وبالرغم من أن جميع أطباء الصحة النفسية يجمعون على أن الرجل هو الطرف الأقوى، ودائماً ما يكون ضرب المرأة له ناتجاً عن دفاعها عن نفسها، إلا أن هناك أزمة ثقة نفسية لدى بعض الرجال، مما دفع بهم إلى إنشاء أكثر من دار إيواء للرجل المعنف حول العالم، ولعل أحدثها هي الدار التي افتتحتها تايوان، بغرض رعاية الرجال المعنفين أسرياً بعد تزايد أعدادهم.

فقد أفادت هيئة إذاعة الصين التايوانية بأن حكومة مدينة كاوهسيونج قد افتتحت مركز أزمات للرجال حيث أن عدد الزوجات اللاتي يعتدين على أزواجهن ارتفع من ٧٣٠ عام ٢٠٠٦م إلى ٨٢٣ عام ٢٠٠٧م.

وتمثل هذه الأعداد ١٢,٧٪ و ١٣,٨٪ من جميع قضايا العنف الأسري التي جرى الإبلاغ عنها عامي ٢٠٠٦م و ٢٠٠٧م على التوالي، حسب ما ورد بجريدة «القبس».^(٢)

توصيات إسلامية

إن استخدام العنف ضد الزوج - كما ضد الزوجة والأطفال - أمر محرّم شرعاً، فقد ورد في حرمة العنف ضد الزوج أن النبي (ﷺ) قال: «أيا امرأة آذت زوجها بلسانها لم يقبل الله منها صرفاً ولا عدلاً ولا حسنة من عملها حتى ترضيه وإن صامت نهارها وقامت ليلها وأعتقت الرقاب وحملت على جياد الخيل في

(١) العنف الأسري: دراسة ميدانية على مستوى المملكة العربية السعودية، د. عبدالله بن عبد العزيز اليوسف وآخرون، وزارة الشؤون الاجتماعية، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص ٦٥ - ٦٦.

(٢) موقع البلاغ، موضوع هل يحق للمرأة التعدي بالضرب على زوجها؟ <http://www.balagh.com/woman/trbiah/j4lafdeg.htm>

سبيل الله، وكانت أول من يرد النار. وكذلك الرجل إذا كان لها ظالماً»^(١) وعنه (عليه السلام) أيضاً قال: «أيما امرأة لم تفرق بزوجها وحملته على ما لا يقدر عليه وما لا يطيق لم تقبل منها حسنة وتلقى الله وهو عليها غضبان»^(٢) وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «أيما امرأة هجرت زوجها وهي ظالمة حشرت يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون في الدرك الأسفل من النار إلا أن تتوب وترجع»^(٣) وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «ملعونة ملعونة امرأة تؤذي زوجها ونغمه، وسعيدة سعيدة امرأة تكرم زوجها ولا تؤذيه وتطيعه في جميع أحواله»^(٤).

فالمراة مطالبة بالإحسان إلى زوجها، ومعاملته برفق ولين، وعدم تحميله ما لا يطيق، وتلبية حقوقه الشرعية، كما تنهى تعاليم الإسلام وتوصياته عن الإساءة إليه، أو تعنيفه أو ضربه، أو انتهاك حقوقه. وكل ذلك من أشكال العنف الموجه من المرأة ضد زوجها، وهو ما نهى عنه الشرع والعقل والمنطق.

- (١) مكارم الأخلاق، شريح أبي نصر الحسن بن الفضل الطبرسي، دار الوفاق، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ٢٠٠٤ م، ص ٣٢٩.
- (٢) مكارم الأخلاق، شريح أبي نصر الحسن بن الفضل الطبرسي، دار الوفاق، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ٢٠٠٤ م، ص ٣٣٠.
- (٣) مكارم الأخلاق، شريح أبي نصر الحسن بن الفضل الطبرسي، دار الوفاق، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ٢٠٠٤ م، ص ٣٣١.
- (٤) بحار الأنوار، ج ١١، ص ٣٣٠، رقم ٣١١.

رابعاً: العنف ضد الخدم

عرفت المجتمعات البشرية وعلى طول تاريخها استخدام الخدم والحشم، بل والعبيد والإماء في العصر القديم في الخدمة المنزلية، وبعد أن لم يعد يوجد إماء أو عبيد لجأ الناس إلى الخدم والخادמות للقيام بمهام منزلية متعددة.

وقد ازداد حجم هذه الظاهرة في المجتمع الخليجي مع الطفرة الاقتصادية التي شهدتها المنطقة، وتعقد الحياة المعاصرة، وبناء المساكن الكبيرة، وانخراط المرأة المعاصرة في سوق العمل.

و الخادومات اللاتي يعشن في المنازل يتعرضن -أحياناً- إلى العنف من قبل رب أو ربة الأسرة، أو أحد أفرادها. وفي أحيان أخرى تمارس الخادمة دور الجاني ضد الأطفال المسؤولة عنهم في المنزل!

وباعتبار أن الخادومات يعشن مع الأسر وداخل المنازل لذلك أضفنا هذه الفئة للشرائح التي يُمارس بحقهن العنف، وأحياناً يصدر منهن العنف!

لذلك علينا أن نتعرف أولاً على حجم ظاهرة الخدم في المجتمع الخليجي، ثم الإشارة إلى العنف الواقع عليهن أو منهن.

حجم ظاهرة الخادومات في دول مجلس التعاون الخليجي

توضح الإحصاءات الرسمية في دول مجلس التعاون الخليجي أن حجم الظاهرة

كبيرة، ففي المملكة العربية السعودية، على سبيل المثال، بلغ عدد الخدم والمربيات في عام ١٩٨٠م، (٦٠٢، ٨) ألف خادمة في المنازل. وفي عام ١٩٨٥م بلغت أعدادهن (٨٤٨، ٨) ألف خادمة، وفي عام ١٩٩٠م بلغت (٧٢٩، ١) ألف خادمة، وفي عام ٢٠٠٠م حوالي (مليون) خادمة. أما إحصائيات الكويت فإنها توضح أن عدد الأسر التي تستخدم خادماً وافداً في عام ١٩٧٠م (٧٢١١) أسرة بنسبة (١٦٪) من إجمالي عدد الأسر في الكويت، وارتفع هذا العدد عام ١٩٨٠م إلى (٨٣٣، ٢٨) ألف خادمة. وتوضح إحصائيات البحرين أن إجمالي المستخدمين الأجانب في البحرين عام ١٩٨٠م (٣٥٢٠) خادمة وزادت رخص العمل الممنوحة للخادماً عام ١٩٨٢م إلى (٥١٦٤) خادمة. وتكرر الصورة نفسها في عُمان إذ بلغ عدد المستخدمين من العمالة الأجنبية المنزلية عام ١٩٨٣م، (١٣٤٥) عاملة بمعدل عاملة لكل (٢٣٧) أسرة. أما بالنسبة للإمارات العربية المتحدة فإن حجم العمالة المنزلية يقدر بـ (٢٤٧٨٦) عام ١٩٨٤م أي بنسبة (٤، ٤٪) من مجموع القوى العاملة.

و أعداد الخادماً في ازدياد والحاجة لهن مستمرة وربما أصبحت دواعي الحاجة لهن أكبر بسبب انتشار أسلوب حياة يعتمد وجودهن، بالإضافة إلى سهولة الحصول عليهن. ولقد وجدت في دراسة عن مدن المنطقة الغربية في المملكة العربية السعودية، أن حوالي (٢٥٪) من الأسر السعودية لديها خادماً في منازلها، وبإمكاننا القول عموماً إن النسبة في ازدياد.

وأوضحت دراسة كويتية أن معدل وجود الخادماً الأجانب في الكويت هو ٢، ٢ خادمة لكل أسرة كويتية. وكذلك الحال في الإمارات العربية المتحدة. والإحصائيات والبيانات السابقة توضح لنا مدى انتشار الظاهرة وكيف أنها واسعة الانتشار في دول مجلس التعاون الخليجي بشكل عام.^(١)

(١) القضايا والمشكلات الزوجية في مجتمعات دول مجلس التعاون الخليجي. دراسة تحليلية شاملة، إعداد الدكتور أبو بكر أحمد با قادر، إصدار المكتب التنفيذي لمجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ومؤسسة صندوق الزواج بدولة الإمارات، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٣ م، ص ٢٧٢ - ٢٧٣

وتشير هذه الأرقام إلى أن حجم الخدم والمربيات في دول الخليج كبير جداً، ومن ثم لا بد أن تقع بعض الممارسات العنيفة ضدهن، أو منهن ضد الأطفال.

العنف ضد الخادِمات

بالرغم من عدم وجود إحصائيات أو أرقام دقيقة عن حجم العنف الممارس ضد الخدم، أو الذي تمارسه الخدمات ضد الأسرة التي تعيش معها، إلا أن ما ينشر بصورة مستمرة في المجلات والصحف يشير إلى تزايد حالات العنف ضدهن أو منهن ضد الأسرة التي تعيش في كنفها «ففي تحقيق خاص نشرته مجلة المتميزة في عددها الثالث عشر حيث ذكرت أن كثيراً من الآثار السلبية الناجمة عن ظاهرة الخدم تعود في بعض جوانبها لما يتعرض له الخادِمات من ضغوط نتيجة بعدهن عن بلدانهن وتركهن لأهلهن وأطفالهن وأسرهن وما يتعرضن له من مشكلات من ربات العمل، حيث تستنفد بعض الأسر الخادِمة وتحملها فوق طاقتها، ولا تلتزم بسداد راتبها في الوقت المحدد، وتسيء معاملتها، وبالتالي لا يجد بعض الخدم مفر من المسلك السيئ أو الهروب، أو الانتحار، وتؤكد الباحثة على وجهة نظرها بما أشارت إليه من وجود حالات كثيرة في مراكز رعاية شؤون الخادِمات نتيجة ذلك»^(١).

وفي دراسة مبارك والسواس بعنوان أسباب هروب العاملات المنزلية من وجهة نظر الكفلاء والعاملات، واستهدفت الدراسة التعرف على الخلفيات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية للأسر التي هربت منها الخادِمات، والتعرف إلى بعض العوامل التي أدت إلى هروب الخادِمات، وقد تم تطبيق الدراسة على (٤٩٠) كفيلاً، و (٥٢١) خادِمة، في كل من مكة المكرمة والرياض وجدة، وكان من أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة ما يلي:

(١) العنف الأسري: دراسة ميدانية على مستوى المملكة العربية السعودية، د. عبدالله بن عبد العزيز اليوسف وآخرون، وزارة الشؤون الاجتماعية، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ص ٦٧.

١- فيما يتعلق بأسباب هروب الخادمة من وجهة نظر الكفلاء جاءت الأسباب مرتبة تنازلياً وفق النسب التالية: (٧, ٣٥) قيام بعض الأشخاص بإقناع الخادمة على الهرب من المنزل، و (٣, ٢٦) افتقاد الخادمة لحياتها الأسرية الموجودة في بلدها، و (٧, ٢٥٪) افتقاد الخادمة لأطفالها المقيمين في بلدها، و (٤, ٢٢٪) افتقاد الخادمة للمعاشرة الزوجية، و (٢٢٪) شعور الخادمة بالغرابة بصفة دائمة لعدم انسجامها مع أفراد الأسرة، و (١٨٪) وجود اختلاف بين الخادمة والأسرة في العادات والتقاليد، وتناقصت النسبة فيما يخص سوء معاملة الخادمة حيث وصلت إلى (٣, ٤٪) بسبب سوء معاملة بعض أفراد الأسرة للخادمة، و (١, ٣٪) بسبب قيام الأسرة بإعارة الخادمة للعمل في منازل بعض الأقارب، وبنسبة متساوية بلغت (٢, ٢٪) لكل من سوء معاملة الخادمة من قبل الزوجة، وتعرض الخادمة لبعض الاعتداءات الجنسية من قبل بعض أفراد الأسرة، و (٢٪) بسبب عدم قدرة الأسرة على دفع رواتب الخادمة، و (٤, ١٪) بسبب تعرض الخادمة للعقاب البدني من قبل بعض أفراد الأسرة.

٢- فيما يتعلق بأسباب الهروب من وجهة نظر الخادمتين جاءت الأسباب وفق الترتيب التنازلي التالي: (٩, ٥٠٪) بسبب سوء معاملة رب الأسرة، و (٩, ٤٨٪) بسبب عدم صرف رواتب الخادمة بشكل منتظم، و (٨, ٤٧٪) بسبب كثرة الأعمال والأعباء والمسؤوليات في المنزل، و (٦, ٢٩٪) بسبب عدم توفير العناية الصحية، و (٢, ٢٨٪) بسبب سوء معاملة بعض أفراد الأسرة، و (٢٨٪) بسبب سوء معاملة رب الأسرة، و (٣, ١٦٪) بسبب التعرض لحالات العقاب البدني من قبل أحد أفراد الأسرة، و (٣, ١٦٪) بسبب التعرض لحالات الاعتداء الجنسي من قبل أحد أفراد الأسرة.

٣- فيما يتعلق بالمعلومات الواردة من السفارة الأندونيسية بشأن هروب الخادمتين فقد أشارت إلى أن (٤٥٠) حالة هربت بسبب عدم صرف الرواتب بصفة منتظمة، و (٨٣) حالة بسبب تعرض الخادمة للعقاب البدني، و (٦٦) حالة بسبب

الفصل الثالث: فئات العنف الأسري

تعرض الخادمة للاعتداء الجنسي، و(٦٢) حالة بسبب سوء معاملة رب الأسرة، و(٥٤) حالة بسبب سوء معاملة ربة الأسرة، و(٣٩) حالة بسبب سوء معاملة أحد أفراد الأسرة، و(١٥) حالة بسبب عدم توفير الرعاية الصحية، و(١٣) حالة بسبب قيام الأسرة بإعارة الخادمة إلى أسرة أخرى.

٤- أما البيانات الواردة من السفارة الفلبينية بشأن هروب الخادمت فقد أشارت إلى أن (٣٠٨) حالة هربت بسبب عدم صرف الرواتب بصفة منتظمة، و(٨٠) حالة بسبب تعرض الخادمة للعقاب البدني، و(٥٨) حالة بسبب تعرض الخادمة للاعتداء الجنسي، و(٦٨) حالة بسبب سوء معاملة رب الأسرة، و(٣٨) حالة بسبب سوء معاملة ربة الأسرة، و(١٩٠) حالة بسبب سوء معاملة أحد أفراد الأسرة، و(١٨) حالة بسبب عدم توفير الرعاية الصحية، و(٥٢) حالة بسبب كثرة الأعباء والمسؤوليات.^(١)

فمن ضمن ما أشارت إليه هذه الدراسة عن سبب هروب الخادمت ذكرت بعضهن سوء المعاملة واستخدام أساليب عنيفة ضدهن.

وللأسف لم نجد أية أرقام أو إحصائيات عما تقوم به الخادمت من عنف ضد أفراد الأسرة التي تعيش معها، وبالخصوص ضد الأطفال، إلا أن الشيء المؤكد هو حصول ذلك، استناداً لما تنشره المجلات والصحف والقنوات الفضائية من أعمال عنف تمارسها بعض الخادمت ضد أفراد الأسرة وخصوصاً الأطفال.

(١) العنف الأسري: دراسة ميدانية على مستوى المملكة العربية السعودية، د. عبدالله بن عبد العزيز اليوسف وآخرون، وزارة الشؤون الاجتماعية، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ص ٦٧ - ٦٩.

الإسلام ونظرته إلى الخدم

ينظر الإسلام إلى الخادم أو الخادمة على أنه إنسان كامل الإنسانية، ويجب على المخدم احترام خادمه والإحسان إليه، والرفق به، والتعامل معه كإنسان له كل الحقوق وعليه كل الواجبات.

والله سبحانه وتعالى الذي سخر بعضنا لخدمة بعض بما حباه الله تعالى من غنى لبعض عباده وجعل بعضهم الآخر فقراء كي تستقيم الحياة، ويحدث التوازن فيها، وقد أشار سبحانه وتعالى إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾^(١) فالله سبحانه وتعالى الذي يقسم الأرزاق بين الناس بالتفاوت، يدفع الناس إلى التعاون والمشاركة في الحياة، والاستعداد لتقديم خدمات للآخر مقابل مبلغ معين من المال هو السرفي التدافع الاجتماعي، وخلق التوازن المطلوب بين البشر.

وتوصي تعاليم الإسلام تجاه الخدم والخادمت بالأمور التالية:

١- إعطاء الخدم أجرهم:

إن قيام الكفيل، أو صاحب العمل، أو رب الأسرة بدفع ما عليه من رواتب للخادمة أو الخادم في الوقت المحدد يدفعه لحسن المعاملة، والقيام بواجباته

(١) سورة الزخرف، الآية: ٣٢.

بصورة حسنة، فقد ورد عن النبي ﷺ قوله: «أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه»^(١).

أما تأخير الرواتب لعدة شهور فقد يدفع بالخدمة أو الخادم إلى ممارسة العنف ضد أفراد الأسرة، وهو الأمر الذي لا يرغب فيه أحد.

٢- الإنفاق عليها:

إن على رب الأسرة الإنفاق على الخادمت اللاتي يعشن في كنفه بحسب ما تقتضيه أنظمة عقود العمل والأحكام الشرعية كذلك، فقد روي عن الرسول الأكرم ﷺ أنه قال: «إن إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس»^(٢)، وقد حمل بعض الفقهاء هذا الحديث على الاستحباب؛ أما المقدار الواجب فيرجع فيه إلى ما هو متعارف عليه.

٣- عدم تكليفها ما لا يطاق:

من المهم عدم تكليف الخادمة بما لا تطيق من العمل، وعدم إلقاء مهام تفوق طاقتها كإنسان على القيام بها، وإعطاؤها استراحة في يوم إجازتها، وتحديد أوقات معينة لعملها، أما تكليفها ما لا تطيق فقد يدفعها للانتقام، والله سبحانه وتعالى يقول ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^(٣).

٤- الإحسان إليها:

إن الإحسان إلى الخادمة، والتعامل معها برفق، وإكرامها فوق ما تستحق، والتعامل معها كإنسان، كل ذلك محثوث عليه في الدين والعقل. كما أن ذلك

(١) كنز العمال، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، طبع عام ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ج ٣، ص ٩٠٦، رقم ٩١٢٥.

(٢) صحيح البخاري، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، طبع عام ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، كتاب العتق، رقم ٢٥٤٥. ومسالك الأفهام، الشهيد الثاني، ج ٨، ص ٤٩٩.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

الفصل الثالث: فئات العنف الأسري

يمنعها من التفكير فضلاً عن ممارسة العنف ضد أفراد الأسرة.

وكما جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»^(١).

أما الإساءة إليها، والتعامل معها بقسوة، والاعتداء على حقوقها، قد يدفعها للانتقام من أفراد الأسرة، وقد تمارس أعمالاً عنيفة ضد الأسرة، وهذا ما قد حدث بالفعل في بعض الأسر.

وينقل لنا التاريخ قصة جميلة من إحسان الإمام الحسين عليه السلام لأحد عبيده بالرغم من أنه ارتكب جنابة يستحق عليها التأديب، يقول المؤرخون: إن بعض مواليه قد جنى عليه جنابة توجب التأديب فأمر عليه السلام بتأديبه، فانبرى العبد قائلاً: «يا مولاي، إن الله تعالى يقول: ﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ﴾».

فقابله الإمام ببسماته الفياضة وقال له: «خلوا عنه، فقد كظمت غيظي..».

سارع العبد قائلاً: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾.

فقال: «قد عفوت عنك..»

وانبرى العبد يطلب المزيد من الإحسان قائلاً: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

قال: «أنت حر لوجه الله تعالى» وأجازه بجائزة سنوية.^(٢) بحيث تغنيه عن الحاجة وطلب المساعدة من الناس.

والإمام الحسن عليه السلام أيضاً كان مثلاً للتعامل الحسن مع الخدم، فقد روي أنه وجد شاة عنده قد كسرت رجلها، فقال لغلامه: من فعل هذا بها؟

(١) صحيح البخاري، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، طبع عام ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، ص ٢٠، رقم الحديث ١٠.

(٢) الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ابن الصباغ المالكي، دار الحديث للطباعة والنشر، قم - إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ ج ٢، ص ٧٦٩.

قال الغلام: أنا.

قال الإمام: لم ذلك؟

قال الغلام: لأجلب لك الهم.

فتبسم الإمام عليه السلام وقال له: لأسرنك، وأجزل له في العطاء وأعتقه. (١)

وكان للإمام السجاد عليه السلام جارية تسكب في يديه الماء إذا أراد الوضوء للصلاة، فسقط الإبريق من يدها على وجهه الشريف فشجّه، فبادرت الجارية قائلة: إن الله عز وجل يقول: ﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ﴾.

وأسرع الإمام قائلاً: «كظمت غيظي».

وظمعت الجارية في حلم الإمام ونبله، فراحت تطلب منه المزيد قائلة: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾.

فقال لها الإمام برفق ولطف: «عفا الله عنك..»

وأسرعت الجارية قائلة: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

وقابلها الإمام بمزيد من اللطف والإحسان قائلاً: «اذهبي فأنت حرة...» (٢).

فالإحسان إلى الخادמות وإن أخطئن، ومنحنهن أكثر من حقوقهن، والتعامل معهن بإنسانية، يؤدي إلى شيوع روح المحبة والمودة بين الخادמות وأفراد الأسرة، وهو الأمر الذي يحافظ على السلم الأسري.

(١) نفحات من سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام، باقر شريف القرشي، دار الهدى، قم - إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، ص ١١٣ - ١١٤.

(٢) نفحات من سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام، باقر شريف القرشي، دار الهدى، قم - إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، ص ١٧٨.

الفصل الرابع

مواصفات الزوج العنيف
والزوجة الضحية

مواصفات الزوج العنيف

إن كثيراً من الباحثين قد جمعوا ملاحظات ومعلومات حول صفات مضطهدي الزوجات. وعلى أساس هذه المعطيات أوجدوا عدة تصنيفات لشخصيات الفاعلين Typology». « فمثلاً إلبو Elbow» يفرق بين أربعة أنماط للفاعلين: النمط الأول هو الرجل المسيطر، يعامل شريكته كما لو كانت شيئاً مملوكاً له ويسعى بسلوكه العنيف إلى تحقيق السيطرة التامة عليها. النمط الثاني هو النمط المتناقض انفعالياً، وهو يعيش في العادة مشاعر حادة ومتناقضة إزاء شريكته، وتغلب عليه التبعية الانفعالية للشريكة، فيحاول بإخلاص الحصول على رضاها وعفوها عن ثورات الغضب والعنف الانفعالية التي لا يسيطر عليها. يدعى النمط الثالث بالمهذب المزيف، وهو يسعى في سلوكه إلى تحسين صورته في أعين الآخرين على حساب عفويته، مما يزيد مشاعر القلق التي تتراكم إلى أن تحين لها الفرصة للانطلاق في ثورة غضب يتم خلالها تفريغ التوتر من خلال سلوك العنف. وأخيراً النمط المتوحد بالشريك الذي يرى أفراداً في شركائهم جزءاً من ذواتهم، وكل محاولة للشريك تهدف إلى الاستقلال العاطفي أو الاقتصادي أو الاجتماعي تزيد شعورهم بالتهديد وتزيد بالتالي احتمال ظهور العنف أيضاً (هناك عديد من التصنيفات الأخرى كتصنيف الجمعية الأمريكية لرعاية ضحايا العنف الأسري، وتصنيفات كل من «Gondolf» و«Steinmetz» و«Sweeney & Key» وسواهم.

إن معظم محاولات تصنيف مرتكبي العنف الزوجي تظل بعيدة عن الكمال،

إيذاء الضحية وإيلاهما، بينما العنف الواسيلي يكون موجهاً للضحية وذلك لتحقيق هدف أو نتيجة معينة وليس بالضرورة إيذاؤها، فالهدف من الإساءة فيه يكون القهر والتحكم في المرأة، وهذا النوع من العنف يشير إلى القيام بفعل عدواني. لتحقيق هدف غير عدواني ومثال ذلك قيام الطبيب بتر أحد أعضاء المريض إنقاذاً لحياته وهنا يكون عمل الطبيب مدفوعاً بدوافع إنسانية تهدف لإنقاذ المريض، ويؤيده المجتمع في ذلك على الرغم من أنه يؤلم الشخص المريض ويسبب له آثاراً نفسية وجسمية سيئة.

ج- وأخيراً النوع الثالث وهو المسيئون ذوي الشخصية الحديدية أو البينية: وهؤلاء يتسمون بالمصاعب والضيق النفسي وتكون مستويات العنف لديهم شديدة ولديهم شخصية حديدية ويعتبر هذا التصنيف مهم جداً، فهو يشير إلى أنه ليس هناك علاج واحد يصلح هذه الأنماط المختلفة من المسيئين للزوجة.

ويؤكد ذلك التصنيف هولتزورث (1994) Holtzworths et al حيث يشير إلى أن هناك ثلاثة أنواع من المسيئين وهم:

- المسيئون في الأسرة فقط: ويتميز هؤلاء بانخفاض في التواصل الفكري والوجداني ونقص المهارات الاجتماعية، ولهم تاريخ من الإساءة والتعرض للعنف في الأسرة، ومستوى مرتفع من الاعتمادية على الشريك.
- المسيئون ذوي الشخصية الحديدية: وهذا النوع لديهم تاريخ من النبذ الوالدي والإساءة وهم أطفال، ولديهم اعتمادية مرتفعة على الشريك، ونقص في التواصل والمهارات الاجتماعية فضلاً عن العدائية نحو المرأة، ومستوى منخفض من الشعور بالندم.
- المسيء العنيف عامة أو المضاو للمجتمع: وهذا النوع يعاني من العنف المنزلي وله تاريخ من الجنوح ونقص في التواصل والمهارات الاجتماعية، ويعتقد أن العنف هو الاستجابة الملائمة للاستفزاز والإثارة.^(١)

(١) سيكولوجية العنف: المفهوم، النظرية، العلاج، د. طه عبد العظيم حسين، الدار الصولتية للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، طبع عام ١٤٢٦هـ، ص ٥٠ - ٥٢.

دراسات مهمة حول مواصفات الزوج العنيف

توجد مجموعة من الدراسات الغربية التي تناولت الخصائص الشخصية للأزواج المسيئين إلى زوجاتهم وكذلك معرفة الفروق بين الأزواج الذين يسيئون لزوجاتهم والأزواج غير المسيئين لزوجاتهم.

دراسة مايرو، هيتالينو ووينجر، زيجري، وكاهن: (الغضب والعدائية والاكتئاب لدى مجموعتين من الأزواج، الأولى مسيئين لزوجاتهم والثانية ضابطة).

وذلك لكشف الفروق بين الأزواج الذين يسيئون لزوجاتهم والأزواج الذين لا يسيئون لزوجاتهم.

وأشارت نتائج الدراسة إلى ما يلي: توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات الأزواج المسيئين لزوجاتهم والأزواج غير المسيئين لزوجاتهم في الغضب والعدائية والاكتئاب لصالح الأزواج المسيئين لزوجاتهم، بمعنى أن الأزواج المسيئين لزوجاتهم أكثر غضباً وعدائية وأكثر عدوانية وأكثر شعوراً بالاكتئاب عن غير المسيئين لزوجاتهم.

ويشير البروفيل النفسي للأزواج المسيئين لزوجاتهم إلى شعورهم بانخفاض قيمة الذات وتدهور صورة الذات لديهم ويقترن هذا مع مشاعر اكتئابية.

وتشير المقابلة الشخصية والتي استهدفت دراسة دينامية شخصية المسيئين لزوجاتهم والمعتدين على زوجاتهم إلى أنهم يشعرون بانخفاض فاعليتهم الذاتية وإلى اضطراب رابطة التعلق بالموضوعات الأولية في حياتهم وأن البعض منهم كان يعاني من خبرات فقد مبكرة، وأنهم يعانون بصفة عامة من اضطراب علاقاتهم بأسرهم في المراحل الباكرة من الحياة.

كما تشير النتائج إلى أن الأزواج المسيئين لزوجاتهم يعانون من قصور في

مهارات التواصل مع الآخرين واتجاهاتهم سلبية تجاه الإناث بشكل عام.
وتشير أيضاً إلى أن الإساءة إلى المرأة قد ترتبط بإدمان المخدرات حيث أن
إدمان المخدرات يشيع بين المسيئين لزوجاتهم.
وفي دراسة لاتينا ايلس، وندرليش، بيتى، شيرستى، ستون: (خصائص
شخصية الرجال المسيئين للسيدات جسماً).

استهدفت [هذه الدراسة] على معرفة الخصائص الشخصية للرجال المسيئين
إلى السيدات وذلك على عينة من الذكور المتردين على مراكز الإرشاد النفسي
والذين قد قاموا بضرب زوجاتهم.

وأشارت نتائج الدراسة إلى أن الأزواج المسيئين لزوجاتهم يعانون من
المشكلات في علاقتهم بزوجاتهم، كما تتعدد لديهم خبرات الطلاق والانفصال.

كما أن الأزواج المسيئين لزوجاتهم قد عاشوا طفولة مضطربة تتضمن إساءة
إليهم في هذه المرحلة فهم أكثر تعرضاً للإساءة الجسدية وأكثر تعرضاً للإهانة
والإهمال.

وأن العلاقة بين آباء وأمهات الأزواج المسيئين لزوجاتهم كانت تتسم بأنها
علاقة مضطربة قائمة على الإساءة بين الوالدين خاصة الإساءة الجسدية سواء من
قبل الأب أو الأم أو بينهما معاً، مما ينبى عن أن الأزواج المسيئين لزوجاتهم كانوا
يعانون من طفولة مضطربة تتسم بالإساءة الجسدية والانفعالية.

وأشارت النتائج كذلك إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط
درجات مجموعة الأزواج المسيئين لزوجاتهم والمجموعة الضابطة في السلوك
المضاد للمجتمع وذلك إلى جانب مجموعة المسيئين لزوجاتهم، كما أن الأزواج
المسيئين لزوجاتهم يتسمون بأنهم أكثر عدائية من المجموعة الضابطة.

وأشارت الدراسة إلى ارتفاع متوسط درجات الأزواج المسيئين لزوجاتهم

في الاكثاب والهستريا، الاعتمادية، الأفعال القهرية، العدوان والتجنب، وإن كانت الفروق بين متوسط المجموعتين لم تصل إلى حد الدلالة الإحصائية.

كما أن الأزواج المسيئين لزوجاتهم يفتقرون إلى مهارات حل المشكلات، كما أنهم أكثر اكتئاباً وهذا قد يعود إلى تاريخهم النفسي في الطفولة ويجعلنا نتنبأ بأن الأطفال الذين تعرضوا لخبرات إساءة جسمية أو انفعالية أو كانت علاقة والديهم تتسم بالاضطراب فإننا نتوقع أن يكونوا أزواجاً مسيئين لزوجاتهم.

وفي دراسة هارت، ديتون، نيولوف: (مدى انتشار الاضطرابات الشخصية بين الزوجات المعتدى عليهن).

وتوصلت النتائج إلى أن الأزواج المسيئين لزوجاتهم كانوا أكثر في أبعاد (الهستريا- السلوك المضاد للمجتمع - العدوان). كما أن الأشخاص المسيئين لزوجاتهم كانوا أكثر اعتمادية وشخصياتهم سادية، ويعانون من الشعور بعدم الثقة وانخفاض قيمة الذات.

كما أشارت النتائج إلى أن المقابلة الشخصية أظهرت أن الأزواج المسيئين لزوجاتهم كانوا في مرحلة الطفولة يعانون من التعلق غير الآمن وأن علاقاتهم بالديهم كانت تتسم بالتهديد بالانفصال عن موضوعات التعلق.

كما أن أكثر الأبعاد الواضحة في شخصية الأزواج المسيئين لزوجاتهم هو العدوانية والسلوك المضاد للمجتمع وانخفاض قيمة الذات.^(١)

ومما لا شك فيه أن الإنسان كلما كان أكثر تمسكاً بالقيم الدينية والأخلاقية، فإن قدرته على ضبط تصرفاته، وتحليه بالهدوء والابتعاد عن العدوانية تكون متقدمة جداً في شخصيته العامة والخاصة، أما عندما تنخفض القيم الأخلاقية والدينية عنده فإن قدرته على ضبط تصرفاته تكون متدنية إلى حد كبير.

(١) الإساءة إلى المرأة، د. هبة محمد علي حسن، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة - مصر، طبع عام ٢٠٠٣م، ص ١٠٢-١٠٤.

الوضع النفسي للرجال العنيفين

كشفت دراسة [حديثه] أعدها أستاذ الصحة النفسية في كلية التربية بالجيل البروفيسور ربيع شعبان يونس أن المشكلات المتعلقة بالأبناء والمشكلات الزوجية، وتدني المستوى التعليمي لأحد الزوجين، وعدم الكفاءة بينهما، ومشاهدة هؤلاء الأزواج للعنف في طفولتهم بين والديهم يرفع مستوى العدوان لدى هؤلاء عند الزواج، موضحاً أن مشاهد العنف في الطفولة لها قدرة تأثيرية مرتفعة على تعلم العنف الزوجي من قبل الأبناء.

وقال البروفيسور يونس إن الدراسة تمت على عينة شملت ١٠٠ من الأزواج. ٤٩ منهم تزوجوا مبكراً، و ٥١ منهم تزوجوا متأخراً، و ٤٧ في مستوى تعليمي عال، و ٥٣ مستواهم التعليمي منخفض، وجميع من أجريت عليهم الدراسة مضت خمس سنوات على زواجهم وأكثر.

وأضاف أن الدراسة أوضحت ارتباط العنف الأسري ارتباطاً موجباً بالاكئاب وسلباً بالسعادة وتقدير الذات، مشيراً إلى أن هؤلاء الأزواج أكثر معاناة من الاكتئاب، وأقل شعوراً بالسعادة، وأن تقديرهم لذاتهم يبقى منخفضاً، وقد يرجع ذلك إلى اضطراب العلاقة الزوجية بين الزوجين، وعدم الرضا عن الزواج والشعور بالتعاسة والحزن.

وقال إن الدراسة بينت أن الرضا عن الزواج يؤدي إلى تحقيق السعادة والارتياح بين الزوجين، كما أن كثرة الأحداث الضاغطة التي يتعرض لها الأزواج والزوجات تعد أحد العوامل التي تؤدي إلى ارتفاع العنف الأسري الزوجي، ومن ثم تؤدي إلى عدم الشعور بالسعادة، لأن الأحداث ذات الأثر الإيجابي تولد السعادة بينما الأحداث ذات الأثر السلبي تولد التعاسة والكدر.

وذكرت الدراسة أن الأزواج عنيفي السلوك ضد زوجاتهم يغلب عليهم الاكتئاب وضعف تقدير الذات. إذ ينظرون إلى ذاتهم نظرة سلبية، لأنهم يشعرون

باليأس والعجز، ولا يثقون في أنفسهم كما أنهم لا يثقون في مدركاتهم وأحكامهم، ومن ثم تبدو قدرتهم على مواجهة الظروف الاجتماعية ضعيفة، ولا يشعرون بالارتياح في المناسبات الاجتماعية أو أية تجمعات حيث يؤثرون الانسحاب من تلك المواقف، والآنزواء بعيداً عن الآخرين بسبب انخفاض التفاعل الاجتماعي السليم، والعلاقات الاجتماعية غير الناضجة، وذلك نتيجة معاناتهم من الحرمان المشبع بالحب والتفاعل بينهم وبين زوجاتهم، ومن ثم يلجؤون إلى العنف للاختفاء وراءه مما يعانونه من اضطراب في بنائهم النفسي.

وأشارت الدراسة إلى أن هؤلاء الأزواج يتصفون أيضاً بالانسحاب الاجتماعي، وتقلب المزاج وسرعة الاستثارة الانفعالية، وارتفاع مستوى القلق والاكتئاب والمعاناة من شدة الخوف، والميل إلى الغضب، وتدني تقدير الذات، والميل إلى العنف الخطير عندما تتعرض حاجاتهم للإحباط.

ونوهت الدراسة بصفات من يلجؤون للعنف مثل الاعتمادية والاستياء والعدوان، فيما يتسم منخفضو التحكم بالغيرة والشك والوسواس القهري وارتفاع مستوى القلق والاكتئاب، كما أن الفرد الذي يسيء معاملة الزوجة يتسم عادة بضعف قوة الأنا، وعدم الاتزان الانفعالي، والجمود والتصلب والاندفاع والعدوان، وعلى ذلك يعد العنف الأسري الزوجي وسيلة لضبط القلق والتوتر الناتج عن الإحباط والشعور بالفشل.^(١)

وعادة ما يخفت الشعور بعزة النفس لدى الرجال الذين اعتادوا على ضرب زوجاتهم وهم إلى جانب عملهم المذموم هذا يررونه بأنه مجرد رد فعل (ارتكاس) عصبي لما أثارته الزوجة لديهم من غضب، ويتكبرون لمسؤوليتهم إزاء ما يصيبها من أضرار جسمية ونفسية كأن يقول أحدهم «إن تصدع عظام ساعدها حدث إثر وقوعها على الأرض أثناء تخاصمهما».

(١) صحيفة الوطن السعودية، الثلاثاء ٨ صفر ١٤٣٠هـ الموافق ٣ فبراير ٢٠٠٩م العدد (٣٠٤٩) السنة التاسعة.

ويتصف أغلب هؤلاء الرجال بالحسد والشعور الحاد بالملكية إزاء زوجاتهم فهم يرغبون بمعرفة تفاصيل كاملة عما تصنعه المرأة أو يجول في خاطرها وتأخذهم الأفكار الخاطئة حول علاقة الزوجة بالرجال من أقاربها وزملائها، فيفسرون تصرفاتهن على إنها دلال ومرح يتغين به استقطاب انتباه الرجال ضمن علاقات غير سليمة. إن وقار هؤلاء الرجال يحدو بالناس لاستبعاد فكرة مبادرتهم لضرب زوجاتهم.

ولم تبين التحقيقات زيادة نسبة هؤلاء الرجال في فئة خاصة من فئات المجتمع ولكن هذه الظاهرة ملحوظة عند العاطلين عن العمل أكثر من العاملين. وتدلل هذه التحقيقات على أن الرجال القساة قد ذاقوا طعم تجارب مرة أخرى في هذا المضمار قبل حياتهم الزوجية. فقد بينت أبحاث شولير (١٩٨٢م) إن ٨١٪ من هؤلاء الرجال ترعرعوا في عوائل تعرضوا فيها إلى الضرب كراراً أو شهدوا تعرض أمهاتهم للضرب خلافاً للنساء المتعرضات للضرب فإن نسبة لا تتجاوز عن ٣٣٪ منهن ترعرعن في مثل هذه الظروف. وأكثر هؤلاء الرجال يعرضون أطفالهم أيضاً للضرب ولكن لا ينكر أن بعضهم لا يمس أبنائه بأذى ضرر جسمي.^(١)

وفي أحيان أخرى قد يعاني بعض الأشخاص من عقد وأمراض نفسية يحاول تنفيسها من خلال ممارسة العنف والإساءة للزوجة، أو يكون الزوج مصاباً بصفة الغضب الشديد فيثور لأتفه الأسباب، ويعتدي على زوجته بمختلف أنواع الإساءة والعنف، لذلك تحث التعاليم الدينية على الابتعاد عن الغضب، فقد روي أن رسول الله ﷺ أتاه رجل فقال له: يا رسول الله علمني عظة أتعض بها. فقال له: انطلق ولا تغضب. ثم عاد إليه فقال له: انطلق ولا تغضب - ثلاث مرات -^(٢). وقال الإمام

(١) علم نفس المرأة، د. شكوه نوابي نزاد، ترجمة زهراء طيوري يكانه، دار الهادي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ص ١٩١-١٩٢.

(٢) ميزان الحكمة، محمد الريشهري، مؤسسة دار الحديث الثقافية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ، ج ٥، ص ٢٢٦٤، رقم ١٤٩٨٥.

الفصل الرابع: مواصفات الزوج العنيف والزوجة الضحية

علي عليه السلام: «إياك والغضب فأوله جنون وآخره ندم»^(١) فالغضب قد يؤدي إلى عنف شديد ضد الزوجة قد تفقد على أثرها بعض أعضائها، كما حدث بالفعل مرات ومرات كما تنشر الصحف يومياً.

لذلك على الزوج تربية نفسه، ومحاسبة ذاته يومياً، وتعديل سلوكياته وسماته إذا كانت من السمات السلبية حتى يتحول إلى إنسان هادئ، ويمتلك لغة الحوار والتفاهم مع زوجته ومع الناس، فالإنسان كائن يتأثر ويؤثر، وقابل لاكتساب السمات والصفات الإيجابية والمحمودة إذا ما قرر ذلك.

(١) ميزان الحكمة، محمد الر يشهري، مؤسسة دار الحديث الثقافية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ، ج٥، ٢٢٦٥، رقم ١٥٠٠٨.

مواصفات الزوجة الضحية

إن صفات ضحية العنف الزوجي وطريقة مواجهتها للعنف تلعب دوراً لا ينكر في مآل سلوك العنف، وهذا لا يعني على الإطلاق تحميل الضحية مسئولية العنف، بل النظر إليها كجزء مهم من أجزاء النظام الأسري له دور في تحديد شكل واتجاه وشدة العنف. نجد تأكيد ذلك في نتائج أبحاث «Synder & Fruchman» على نزيلات ملجأ لضحايا العنف الزوجي، حيث دلت النتائج على وجود ارتباط وثيق بين سلوك المرأة في مواجهة عنف الزوج وتطور سلوكه نحوها. ويرى بعض الباحثين مثل شتراوس وجيلز وشتينمتر أن العنف الزوجي معركة متبادلة بين طرفين، وغالباً يستعمل كل منهما أحد أشكال السلوك العدواني الجسدي أو اللفظي أو الرمزي، وإن لم يكن استخدامهما لها متزامناً بالضرورة. كذلك تشير ساوندرز «Saunders» إلى أن النساء المضطهدات نادراً ما يكن سلبيات ومستسلمات كما يعتقدن، هذا الاستسلام قد يكون حقيقياً لحظة ثورة عنف الزوج.

تعتبر اليانور والكر «E. Walker» أن ظاهرة العنف بين الزوجين تمر عبر أطوار نمو دوري للتوتر يجري عبر ثلاث مراحل تتكرر دورياً. في المرحلة الأولى يلاحظ تزايد التوتر في العلاقة بين الزوجين بشكل تدريجي لأسباب مختلفة وقد تكون تافهة. يأخذ العدوان في هذه المرحلة شكلاً لفظياً أو رمزياً معتدلاً نسبياً. تبدأ المرحلة الثانية عندما يرتفع التوتر إلى درجة تفوق عتبة التحمل عند أحد الطرفين، وفيها يظهر العنف الجسدي واللفظي بأشد صورته من جهة واحدة أو من

كلتا الجهتين. يؤدي العنف دوره في خفض التوتر لتبدأ المرحلة الثالثة، التي يميزها سلوك الزوجة الانسحابي وشعور الزوج بتأنيب الضمير فيحاول استرضاءها بطرق شتى وعادة ما ينجح في ذلك، فتأخذ العلاقة بينهما شكلاً تسميه والتر شهر العسل الدوري. بعد مضي شيء من الوقت يعود التوتر للارتفاع من جديد تدريجياً.

منذ بضع سنوات بدأ بعض الباحثين الاهتمام بدور العمليات المعرفية لدى كل من طرفي الصراع الزوجي في زيادة التوتر واحتمالية حدوث السلوك العدواني العنيف خلال الصراع، مثل أبحاث «Holzworth - Munroe وأبحاث Burman» ومساعدته حول آلات التفسير والتوقع ومقارنتها الأسر العنيفة وغير العنيفة، التي لقيت اهتماماً شديداً للغاية لدى العاملين في مجال العلاج الأسري لسهولة رصد الكلام الداخلي وتعديله ضمن فترة قصيرة نسبياً.^(١)

المتعرضات للعنف

يطلق على النساء اللواتي يقعن فريسة العنف الشديد والتعذيب الجسمي أو النفسي مرتين على الأقل طوال حياتهن الزوجية اصطلاح المتعرضات للعنف أو المعنوفات (والكبير. ١٩٨٠م) ويحدد البعض العنف بحدود التعذيب الجسمي بينما يعتقد أغلبية علماء النفس والمفكرين إن آثار التعذيب النفسي مثل الإرعاب وتحطيم شموخ وعزة النفس هدامة بنفس الدرجة التي ينتهي بها التعذيب الجسمي بل تسبب أحياناً أذى وآلاماً أشد من التعذيب الجسمي في الإنسان.

وتبين الأبحاث إن أكثر حالات العنف وتعذيب المرأة تتعرض له من قبل الزوج في البيت، وتؤكد الإحصاءات الأمريكية أن ٢٠-٥٠٪ من هؤلاء النساء تعرضهن للضرب من قبل أزواجهن أو عشاقهن (روسلي. ١٩٨٢م).

وبما أن الرأي العام السائد في المجتمعات التقليدية يدعو النساء إلى الصمت

(١) مجلة العربي، موضوع: العنف بين الزوجين، د. مطاوع بركات، العدد ٤٤٩، أبريل ١٩٩٦م، ص ١٦٤-١٦٥.

إزاء العنف العائلي ويذمّ إعلان المرأة عنه فإن نتائج الإحصائيات الجارية حول نمطه غير مضبوطة ولا تبين الحقائق كما هي.

خصائص المتعرضات للعنف

دورة العنف: لا تكون هذه الفئة من النساء معرضة بشكل مستمر إلى العنف بل تتبع دورة خاصة تقسم نفسياً إلى ثلاث مراحل هي:

المرحلة الأولى: مرحلة الاصطدام والانفعال وتعرض المرأة خلالها إلى الضرب الجزئي فتحاول إنهاء الأزمة بانسحابها والتزامها الصمت وإعادة الهدوء إلى الرجل.

المرحلة الثانية: ويعترف فيها الرجل بضرورة ابتعاده عن الثورة والانفعال احترازاً من فقدانه السيطرة على أعصابه. وتكرر هذه الحادثة مراراً في الحياة الزوجية.

المرحلة الثالثة: تنتهي الثورة العنسية الناجمة عن المرحلتين الأوليتين في أعقاب اعتذار الرجل وتقديمه الوعود بالامتناع عن استخدام العنف ثانية وبطلب السماح من الزوجة مما يولد لديه الشعور بالذنب ويدعو المرأة إلى تناسي الحادثة. ومع هذا قد تبقى الآثار النفسية السيئة للمرحلتين السابقتين مترسخة في أعماق نفس المرأة. إن طول كل مرحلة من هذه المراحل أمر لا يمكن التنبؤ به مع الأسف. وقد تتكرر هذه الدورة ثانية جراء حوادث متنوعة.

الوضع النفسي للمتعرضات للعنف

أجريت تحقيقات عديدة خلال العقود المنصرمة حول خصائص النساء المتعرضات للعنف. ومن الصعوبة تعيين الخصائص التي تعرض المرأة للضرب أو الخصوصيات التي تكسبها بعد تعرضها لهذه الحالة. ويعتقد الأخصائيون إن المصابات بالكآبة والبارانويا أكثر عرضة للضرب. وتؤكد مجموعة أخرى من

الأخصائيين (من حماية نهضة تحرر المرأة) أن تعرض النساء إلى الضرب هو الذي يسبب إصابتهن بالكآبة أو البارانونيا (بوغراد، ١٩٨٢ م).

وتبين التحقيقات أن هؤلاء النساء بشكل عام يفقدن الثقة بأنفسهن ويضعف لديهن الإحساس بالشموخ وعزة النفس بل إنهن يشعرن بعدم جداتهن لتحمل مسؤوليتهن تجاه الزوج والأبناء، وبالإحباط إلى درجة ينسبن الحق إلى الرجال في ضربهن، فهن مطيعات مذعنات لأزواجهن، يكبحن جماح غضبهن تارة ثم دوماً بعجزهن عن تغيير مسار حياتهن، ويعتقدن أن أية محاولة في هذا السياق تزيد الوضع سوءاً. إن هؤلاء النساء يذمن أنفسهن بشكل مستمر ويلقين مسؤولية المشاكل والاضطرابات التي تطرأ على الحياة الزوجية إلى عدم جداتهن لإدارة شؤونها.

وبالتالي تحاول المرأة المتعرضة للضرب والسب تغيير سلوكها بالشكل الذي يؤدي إلى الحد من تعرضها لهذه المسألة.^(١)

وأشار نتائج بحث نشرته جريدة الحياة على عينة من النساء المتزوجات تراوحت أعمارهن بين ١٩ و٤٣ عاماً بعنوان: «علاقة بعض المتغيرات المعرفية والاجتماعية والنفسية بمدى تقبل المرأة للعنف»، توصلت فيه إلى أن المرأة التي تقبل العنف تتميز بأنها تسعى للعنف، إذ تثير عدوان الرجل ليحقق لها الرغبة في هزيمة الذات.

وأن من أبرز الخصائص للمرأة التي تقبل العنف أنها تكون أكثر أنوثة وأكثر ميلاً للتسامح، وتقديرها لذاتها منخفض، وربطت الدراسة التي أجريت على عينة من مناطق مختلفة في مصر بين عدد الأطفال وسنوات الزواج والمستوى التعليمي ومدى تقبل المرأة للعنف.^(٢)

(١) علم نفس المرأة، د. شكوه نوابي نزاد، ترجمة زهراء طيوري يكانه، دار الهادي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ص ١٨٨-١٩١.

(٢) صحيفة الحياة، الثلاثاء ٢٥ أكتوبر ٢٠٠٨م الموافق ٢٧ ذوالقعدة ١٤٢٩هـ، العدد ١٦٦٧، ص ٩.

واهتمت العديد من الدراسات بمعرفة العلاقة والترابط بين الإساءة إلى المرأة والصحة النفسية والجسمية والعقلية لها.

ففي دراسة «هوسون وراو»: تقييم إساءة الزوج أو القرين: وقابلية قياس الإساءة.

وقد استهدفت معرفة مدى العلاقة بين الإساءة إلى الزوجة وبين بعض المتغيرات (الاكتئاب، تقدير الذات، المشكلات الجنسية، الخوف، التعاسة).

وقد أشارت النتائج إلى وجود ارتباط دال موجب بين الإساءة إلى المرأة وبين أعراض القلق والاكتئاب والمخاوف لديهم، فقد اتضح أن الإساءة إلى المرأة ترتبط بزيادة الأعراض المرضية وشعورها بالتوجس وتوقع المخاطر والشعور المستمر بالتهديد والخوف من التعرض للإساءة.

كما أشارت نتائج الدراسة إلى أن الإساءة إلى المرأة لا ترتبط فقط بزيادة الأعراض المرضية لديها ولكنها ترتبط أيضاً بانخفاض تقدير الذات والشعور بعدم الرضا عن الحياة وعدم الإشباع الجنسي، ويبدو أن الإساءة إلى المرأة عامل خطورة للتنبؤ بالمشكلات النفسية والجنسية والجسمية للمرأة المساء إليها.

أما دراسة «كلموس وسترواس»: (اعتمادية الزوجة على علاقتها الزوجية والإساءة إليها).

تهدف لمعرفة العلاقة بين الاعتمادية النفسية والمادية للمرأة وبين إساءة الرجل إلى المرأة وعدوانه عليها.

وأشارت نتائج الدراسة إلى ما يلي: إن اعتمادية الزوجة على الزوج قد ترتبط بزيادة العدوان الجسمي والعنف ضد المرأة، فقد أوضحت النتائج أن النساء الأكثر اعتمادية مادية على الأزواج هن أكثر تعرضاً ومروراً بخبرات الإساءة الجسمية من الزوجات الأكثر استقلالية مادية.

كما أن الزوجة العاملة أو التي لديها استقلالية مادية لديها مصادر إشباع نفسية متعددة وهي تشعر بقيمتها أو أنها مساوية لزوجها وبالتالي فقد لا تتقبل عدوان زوجها عليها وقد لا تتقبل الحياة مع الزوج المعتدي على عكس الزوجة الاعتمادية والتي لا تعمل أو ليس لديها دخل تنفقه على احتياجاتها فليس لديها بدائل أخرى سوى الاعتماد على الزوج ومن ثم قد تتحمل إساءة الزوج لها.

كما اتضح من النتائج أن بعض الزوجات قد يتحملن بعض الإهانات البسيطة إلا أن العنف الشديد لا تتحمله إلا قلة قليلة من السيدات، ومن ثم يجب دراسة شخصية هؤلاء السيدات.

وإن استقلالية المرأة الاقتصادية وشعورها بالثقة في النفس هي عوامل وقاية للمرأة ضد عنف الزوج.

وفي دراسة جلاسون: (الاضطرابات النفسية لدى النساء المصابات: دراسة تجريبية) أشارت نتائج الدراسة إلى ما سبق أن أشار إليه والكر من أن النساء المساء إليهن أو المصابات يعانين من زملة من الأعراض المرضية. هذه الأعراض تظهر في شكل اضطرابات وجدانية كالقلق والاكتئاب وكذلك المعاناة من أعراض المخاوف المرضية، واضطراب الضغوط التالية للصدمة والوساوس القهرية.

كما أشارت الدراسة إلى أن الأعراض الاكتئابية لدى النساء المساء إليهن تتمثل في:

الشعور بالإجهاد والتعب - التشاؤم - لوم الذات - الشعور بالذنب - الصورة السلبية للذات - الشعور بالفشل - والشعور بالعجز - السلبية - الاعتمادية - والاعتقاد في عدم القدرة على التحكم في الأحداث أو ما يحدث لهن.

وتعاني النساء اللاتي تعرضن للضرب من زيادة مشاعر القلق والتهديد وتوقع الشر والمخاطر وتوقع الضرب والإهانة.

كما أن النساء المساء إليهن كن أكثر تعاطياً للكحوليات وأكثر إدماناً للعقاقير.^(١)

أما دراسة ديتون وبراغرادوبارين وشيشر شمان وهيل: (الصيغة المعرفية للسيدات المضروبوات أو المساء إليهن).

استهدفت معرفة الصيغة المعرفية التي تدرك وتستقبل بها المرأة الإساءة الموجهة إليها.

وتوصلت النتائج إلى ما يلي: فيما يتعلق بالإساءة الجنسية فكان السؤال الموجه إلى عينة الدراسة هو هل تعرضت إلى إساءة جنسية أو اغتصاب؟ وذلك حتى سن ١٧ سنة فكانت الإجابة أن ٥١٪ من السيدات تعرضن لشكل من أشكال الإساءة الجنسية حتى سن ١٧ سنة.

وأشارت نتائج الدراسة إلى أن الصيغة المعرفية بما فيها (إدراك - تفكير - تذكر... وغيرها) التي تستقبل بها المرأة مواقف الإساءة والتي تكونت من خلال خبرات الطفولة هي التي تحدد مدى تأثر المرأة بخبرات الإساءة إليها.

كما أن النساء المساء إليهن تكون صيغتهن المعرفية أكثر سلبية تجاه ذاتها والعالم والآخرين وتكون أقل شعوراً بالأمان والثقة بالنفس والثقة بالآخرين، من النساء غير المساء إليهن.

ويبدو أن الخبرة الذاتية أو ما تضيفه المرأة على الإساءة من معان هو ما يجعلها تتأثر بالإساءة.

والمرأة المساء إليها أكثر معاناة من الأعراض المرضية وذلك بالمقارنة بالمرأة غير المساء إليها.

(١) الإساءة إلى المرأة. د. هبة محمد علي حسن، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة - مصر، طبع عام ٢٠٠٣م، ص ٩٦-٩٧.

كما أشارت نتيجة الدراسة إلى أنه ليس من الضروري أن تكون الأنثى التي تعرضت للإساءة في الطفولة صيغتها المعرفية سلبية عن ذاتها وعالمها والآخرين ولكن هذه الصيغة قد تتعدل بالخبرات التي تمر بها الأنثى وقد لا تتفاعل مع المواقف الحالية.

دراسة راتنر: (العدوانية والسيطرة كنماذج للإساءة إلى المرأة ومعرفة الآثار الجسمية والنفسية المترتبة عليهما) التي استهدفت معرفة مدى العلاقة بين العدوان ضد المرأة والإساءة إليها وبين الصحة الجسمية والنفسية للمرأة وكذلك إدمان المرأة للمخدرات والكحوليات.

وقد أشارت النتائج إلى ما يلي:

- * أن حوالي ٢٧٪ من السيدات قد مررن بخبرة إساءة بدنية أو عدوان و ٨٪ من السيدات مررن بخبرة إساءة جنسية.
- * ٥٪ منادات الزوجة بأسماء أو ألقاب تكرهاها أو تحط من شأنها.
- * ٣٨٪ من السيدات مررن بخبرة إساءة مرة واحدة طوال العلاقة الزوجية.
- * ٢٢٪ مررن بخبرة إساءة لأكثر من مرة خلال العام الماضي.

وقد تراوحت أشكال الإساءة من الضرب إلى التهديد بسكين أو مسدس أو الحرق أو الإهانة أو الاحتقار.

أشارت نتائج الدراسة إلى أن الإساءة إلى المرأة ترتبط بشعورها بانخفاض تقدير الذات والخجل وأن تكرار الإساءة يزيد من الأعراض المرضية. والإساءة إلى المرأة تزيد من شعورها بالغضب. وأن شعور المرأة بالإساءة يعتبر عامل خطورة للتنبؤ بإدمان الكحوليات والمخدرات.

كما أشارت النتائج إلى تدهور الصحة الجسمية للمرأة المساء إليها، إلا أن تدهور الصحة الجسمية والنفسية للمرأة يتوقف على نوع الإساءة (جسمية - نفسية - جنسية) وعلى شدتها وعلى مدى تكرارها وكيفية رؤية وإدراك الزوجة

لمدى الإساءة التي لحقت بها. وتلعب المتغيرات المعرفية دوراً هاماً في مدى تأثير الزوجة بالإساءة لها. فكيفية إدراك الزوجة للإساءة هي التي تحدد مدى تأثيرها بهذه الإساءة.^(١)

أسباب صبر الزوجات على أذى الأزواج

تتحلى بعض الزوجات بالصبر على أذى أزواجهن وذلك لأحد الأسباب التالية:

١- الحفاظ على كيان الأسرة:

إن بعض الزوجات يصبرن على ما يلاقين من أزواجهن من عنف وإساءة معاملة، وذلك بهدف الحفاظ على كيان الأسرة من التفكك، ولأجل الحفاظ على الأطفال من الضياع، أو تركهم تحت رحمة الأب العنيف الذي قد يزيد عنفه مع غياب أمهم عنهم، وبالتالي فإن الزوجة تتحمل أنواع الإساءة ولا تترك أولادها يتحولون إلى ضحايا لممارسات الزوج العنيف ضدهم، فتتحمل هي كل أنواع العنف بهدف حماية الأطفال من عنف أشد.

٢- عدم وجود ملجأ للزوجة:

عندما تشعر الزوجة أنها وحيدة، وأن لا أحد مستعد لاستقبالها عندما تخسر زوجها، وعندما لا توجد أية مؤسسات اجتماعية لحماية المرأة المطلقة، فإنها تتحمل كل أنواع العنف من أجل الحفاظ على بيتها وزوجها، فالطلاق - أحياناً - لا يحل المشكلة، وإن حلها فإنه يخلق مشاكل جديدة.

٣- إخفاء المشاكل:

بعض الزوجات لا يرغبن في اطلاع الناس على مشاكلهن مع أزواجهن،

(١) الإساءة إلى المرأة، د. هبة محمد علي حسن، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة - مصر، طبع عام ٢٠٠٣م، ص ٩٩ - ١٠١.

ويفضلن الصبر على أذى الأزواج على أن ينتشر بين الناس مشاكلها الزوجية، ولذلك فهي تتحمل الأذى والعنف والإساءة ولا ترغب في انتشار ما لديها من مشاكل مع زوجها، وتلعب العادات والتقاليد الاجتماعية دورها الفاعل في هذا العامل.

وللمرأة الصابرة على أذى زوجها الثواب الجزيل في الآخرة كما أشارت لذلك بعض الروايات، فقد روي عن الرسول الأعظم ﷺ أنه قال: «من صبرت على سوء خلق زوجها أعطها الله مثل ثواب آسية بنت مزاحم».^(١)

(١) مكارم الأخلاق، ص ٣٢٨.

الفروق بين الأزواج والزوجات في إدراك العنف

ركزت مجموعة من الدراسات على معرفة الفروق بين الأزواج والزوجات في إدراك العنف وكذلك دراسة العنف داخل الأسرة وعلاقته ببعض المتغيرات الأخرى مثل (درجة التعليم - الدخل - خبرات الطفولة - الرضا عن العلاقة الزوجية).

دراسة ماري عبد الله حبيب (١٩٨٣ م): بعنوان «الإدراك المتبادل للزوجين في العلاقات الزوجية المتوترة». دراسة فينومولوجية إكلينيكية» وكان الهدف منها:

أولاً: معرفة الإدراك المتبادل بين كل من الزوجين على حدة في العلاقات الزوجية المتوترة بكافة الأبعاد الأساسية التي تشكل هذا الإدراك ويتمثل في رؤية كل طرف لأسباب التوتر وما يريد كل طرف أن يكون عليه الآخر.

ثانياً: معرفة إدراك مجموعة الأزواج ثم مجموعة الزوجات للتوتر في العلاقة الزوجية وذلك لتحديد كيفية إدراك الرجل والمرأة كل منهما للآخر، وطبيعة العلاقة بين الإدراكات المتبادلة المتوترة، ومعرفة المتغيرات النفسية وراء هذا الإدراك.

وكانت نتائج الدراسة كما يلي:

أولاً: نتائج خاصة بالمجموعة الأولى والتي تدرس كل زوجين كوحدة:

أشارت النتائج إلى أن التوتر والمعاناة موجودان في كل العلاقات الزوجية

بنوعيات مختلفة ودرجات متفاوتة، ويرجع الاختلاف في نوع التوتر ومداه إلى اختلاف نوع الضغوط واختلاف البناء النفسي للزوجين وإدراكهم للتوتر.

كما أوضحت النتائج أن هناك نوعين رئيسيين من العلاقات الزوجية المتوترة:

علاقات زوجية متوترة تتميز بعدم رضا الزوجين عن العلاقة وعلاقات زوجية متوترة تتميز برضا الزوجين عن العلاقة.

وتفسر الباحثة بأن الرضا عن العلاقات الزوجية المتوترة يعود لتلاؤم الدفعات النفسية اللاسوية للزوجين، فالعلاقة بينهم علاقة خضوع وسيطرة وكذلك التكوين السادومازوشي للزوجين، وكذلك هذه العلاقات يتميز فيها التوتر بالإيجابية والرغبة في الاستمرار في العلاقة، وأهم ما يميز هذه العلاقة هو الاتساق بين الدفعات النفسية اللاشعورية والشعورية.

ثانياً: نتائج خاصة بالعينة التي تُدرس فيها مجموعة الزوجات والأزواج كل على حده:

أوضحت النتائج أن أشكال التوتر كما تدركها مجموعة الزوجات هي:

- ١- الإهانة وعدم الاحترام، عدم المشاركة واللامبالاة.
- ٢- العناد وعدم ظهور الخصائص الشخصية غير المرغوب فيها من الأزواج (مثل التحكم وإثارة المشاكل).
- ٣- عدم القدرة على التفاهم وعدم الالتقاء الفكري.
- ٤- افتقار المرأة للشعور بالنظرة الإنسانية الراقية من خلال الحياة الزوجية.

أما أشكال التقصير كما يدركها الزوج هي:

- ١- وجود خصائص شخصية غير محببة في الزوجة مثل التسلط وعدم الطاعة والشكوى المستمرة وكثرة المتطلبات المادية.
- ٢- اختلاف الآراء والأفكار وعدم القدرة على التفاهم.

- ٣- الخوف من خيانة الزوجة أو الخوف من اكتشاف الخيانة.
- ٤- إهمال الزوجة للمظهر العام، إهمال الجانب الأثوي.
- ٥- إهمال التعرف على ميول الزوج واهتماماته ومشاركته عالمه.

وفي دراسة براوننج وديتون: (تقييم مقياس أساليب حل الصراع لدى الزوجة المعتدية: باستخدام بيانات الزوجين لمعرفة الآثار المختلفة لما يخبره كل منهما) هدفها معرفة مدى الفروق بين عنف الأزواج وعنف الزوجات.

وقد أشارت نتائج الدراسة إلى أن عنف الأزواج ضد الزوجات هو أكثر تكراراً أو أكثر شدة وأكثر إيلاًماً وأنه رغم عنف الرجل فإنه أحياناً يلوم ضحيته الأثني على أنها السبب في عدوانه عليها، كما أن بعض الأزواج قد ينكرون أنهم السبب في الإيذاء الجسمي للزوجات أو سبب دخولهم المستشفى للعلاج في أعقاب شجار مع الزوج وأن عنف الزوج أو الزوجة قد ينشأ عنه عنف متبادل بين الزوجين ويختلف في درجته وشدته من علاقة إلى علاقة ومن موقف إلى موقف.

أما دراسة «سعاد مصطفى الكاشف» (١٩٩٢): «ديناميات اضطراب العلاقة الزوجية».

فكانت تهدف إلى معرفة العوامل النفسية وراء اضطراب العلاقة بين الزوجين من كافة جوانبها سواء التعامل أو الفهم أو السلوك الجنسي.

ومعرفة كيف يرى كل من الزوجين صورة العلاقة الزوجية من وجهة نظره ومدى اختلاف كل من الزوجين في إدراكه لأهمية العلاقة الجنسية ومدى تحقق الإشباع من خلال العلاقة الزوجية.

وقد أوضحت النتائج أن النساء أكثر فهماً واتفاقاً وأكثر تدعيماً في العلاقة الزوجية بينما الرجال أكثر إسهاماً في اضطراب العلاقة.

كما أن النساء أكثر فناً في التعامل من خلال العلاقة الزوجية من الرجل وأن الرجل أكثر روتينية في التعامل. كما أوضحت النتائج عدم اهتمام الرجل بالحب

كقيمة إيجابية في العلاقة بين الزوجين بينما أن الحب لدى النساء له قيمة وأهمية كبيرة في العلاقة بالزوج.

كما أشارت النتائج إلى عدم وجود فروق ذات دلالة توضح أيهما أكثر إيجابية أو سلبية أو روتينية من الآخر. مما يفسر أن كلاً من المرأة والرجل يشارك بقدر أو أكثر دون تفرقة بينهما في اضطراب العلاقة الجنسية. (سعاد مصطفى الكاشف، ١٩٩٢م).^(١)

أما دراسة روزنفليدت وكينرلينج وأريس: (الرضا عن قوة العلاقة وعلاقته بالعنف) وكانت تهدف إلى معرفة الرضا عن العلاقة الزوجية وعلاقته بالعنف ضد المرأة وكذلك العلاقة بين العنف ضد المرأة وخبرات الطفولة.

وقد أشارت نتائج الدراسة إلى أن هناك ارتباطاً دالاً وسالباً بين الرضا الزوجي والعنف ضد المرأة، بمعنى رضا الفرد عن علاقته الزوجية يخفف من عنفه ضد زوجته.

وأن هناك ارتباطاً بين الإساءة النفسية والإساءة الجسمية للمرأة، بمعنى أننا نستطيع أن نتنبأ بالإساءة الجسمية للمرأة من تكرار تعرضها للإساءة النفسية من زوجها وإن كان هذا لا يعني أنه بالضرورة كلما كانت هناك إساءة نفسية من الزوج للزوجة نتوقع أن تكون هناك إساءة جسمية.

كما أن العنف الأسري داخل الأسرة يؤثر على الطفل وتصبح رؤية الطفل للصراع والعنف ووجود نماذج عدوانية داخل الأسرة خاصة الأب تهيئ الطفل لأن يصبح عدوانياً، لذلك فإن الطفل عندما يكبر ويتزوج قد يسيء لزوجته.

ويبدو أن خبرات العنف داخل الأسرة والإساءة للطفل تصبح عامل خطورة للنتبؤ بإساءة الفرد لزوجته فيما بعد، وقد اتضح هذا من دراسة خبرات الطفولة للأزواج المسيئين لزوجاتهم.

(١) الإساءة إلى المرأة، د. هبة محمد علي حسن، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر - القاهرة، طبع عام ٢٠٠٣م، ص ١٠٥-١٠٧.

أما دراسة سيمونزولين وجوردن: (التنشئة الاجتماعية في إطار الأسرة وعلاقتها بعنف الذكور ضد زوجاتهم) وقد استهدفت الدراسة معرفة دور عمليات التنشئة الاجتماعية داخل إطار الأسرة في العنف ضد الزوجات.

وقد أشارت النتائج إلى أن عمليات التنشئة الأسرية تلعب دوراً هاماً في جناح الفرد أو في سلوكه الإجرامي أو في عنفه في التعامل مع الآخرين حيث أن الجناح والإدمان يرتبطان بإدراك الأبناء للرفض من الوالدين، وكذلك الإهمال والعقاب الشديد.

كما أن رؤية الطفل للعنف داخل الأسرة وضرب والده لوالدته قد يزيد من عدوانيته. ويتضح هذا في عنف الأبناء في علاقاتهم قبل الزواج وبعد الزواج، بل يمثل الوالد للطفل نموذجاً عدوانياً يتوحد به الطفل في عدوانيته ويعتبر أن العنف هو وسيلة فعالة للتعامل مع الآخرين.

كما اتضح من النتائج أن رؤية الطفل للعدوان داخل الأسرة إذا اقترن بشعوره بالرفض والعدوان ضده وعدم اتساق الضوابط المستخدمة معه فإن هذا يمثل عامل خطورة للتنبؤ بعنف الطفل فيما بعد في علاقاته مع الآخرين ومنهم زوجته.

دراسة إمبرسون وأندرسون وجليك وشايبورو: (العنف المنزلي أو الأسري والتحكم الشخصي والجنسي) عن العلاقة بين القدرة على التحكم الذاتي والعنف داخل الأسرة.

وقد أشارت النتائج إلى أن حوالي ٤٪ من الأزواج (١١٧)، و ٤٪ من السيدات (١٣٩) أشاروا إلى أن حياتهم الزوجية تضمنت عنفاً في التعامل مع القرين. وأن المرأة أكثر تعرضاً للعنف من قبل الزوج. كما أن العنف البدني الموجه من الزوج يرتبط بانخفاض قدرة الفرد على التحكم الشخصي ويرتبط العنف كذلك بالاندفاعية وعدم التحكم في الانفعال.

أما الزوجة المعتدى عليها (أو الزوج) فهي تشعر بانخفاض القدرة على التحكم كما تشعر بالعجز.

كما أشارت النتائج إلى أن العنف لا يحدث بصورة يومية ولكنه حالة مؤقتة تتحكم فيها الظروف المحيطة وطبيعة الشخصية، فانخفاض قدرة الفرد على التحكم وزيادة اندفاعيته وشعوره بأن هناك ما يهدد ذكوره، قد يشعره بالإحباط ويستعيد قيمته وذكوره من خلال الإساءة إلى زوجته.

وأشارت الدراسة أيضاً إلى أن الزوجة قد تتعدى أيضاً على الزوج وأن ما يدفع الزوجة إلى الإساءة لزوجها هي نفس الأسباب التي تدفع الزوج إلى الإساءة لزوجته.^(١)

ومن المؤكد أن ممارسة الزوج للعنف ضد زوجته يكشف عن وجود مشكلة تعود أسبابها إلى عوامل متعددة، ومنها: المشاكل النفسية التي يعاني منها الزوج كاضطراب شخصيته، وفشله في التعامل مع الآخرين مما يدفعه للتنفيس عن ذلك بالإساءة والاعتداء على زوجته.

وإما يعود الأمر لمشاكل في العلاقات الزوجية كانهدام التجانس الزوجي بينهما، أو تباين المستوى التعليمي والثقافي بصورة كبيرة، أو يعود الأمر إلى مشاكل اقتصادية كالوقوع في أزمة مالية خانقة، أو انهيار ما لديه من شركات وعقارات ومؤسسات وأسهم، أو لوقوعه في أي مشاكل مالية لا تحتمل عادة.

وكل تلك الأسباب سنتحدث عنها بالتفصيل في فصل مسببات العنف الأسري، إلا أن ما نريد التركيز عليه هنا هو: إن ممارسة الأزواج للعنف ضد زوجاتهم أو الزوجات ضد أزواجهن، أو الأولاد ضدهم أو العكس قد تكون ضعيفة أو متوسطة أو قوية، ولتفادي وقوع العنف الأسري يجب الإسراع في معالجته، وتحليل مسبباته، ووضع الحلول المناسبة لتجاوزه، وخلق الأرضية الملائمة لزوج ناجح.

(١) الإساءة إلى المرأة، د. هبة محمد علي حسن، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر - القاهرة، طبع عام ٢٠٠٣م، ص ١١٠ - ١١١.

الفصل الخامس

مسببات العنف الأسري

مسببات العنف الأسري

للعنف الأسري مسببات عديدة ومتنوعة، ويمكن تلخيصها في الأمور

التالية:

١- ضعف الوازع الديني

للوازع الديني أثره الفاعل في حسن التعامل والمعاشرة بالمعروف داخل العائلة، فالشخص الذي يخاف الله تعالى، تكون تصرفاته وسلوكياته منضبطة وبعيدة عن حالة الانفلات السلوكي، أما الشخص الذي ليس لديه أي وازع ديني فإنه قد يرتكب أعظم الجرائم والموبقات حتى ضد أفراد أسرته فضلاً عن الأبعدين .

وتشير بعض الدراسات الميدانية إلى ارتفاع حالات العنف الأسري الناتجة من غياب الوازع الديني، فقد نشرت جريدة الرياض السعودية استطلاعاً للرأي قامت به الجمعية الوطنية لحقوق الإنسان أن ٣٦٪ من حالات العنف الأسري نابعة أساساً من ضعف الوازع الديني.

ورأى ناشطون حقوقيون يهتمون بظاهرة العنف الأسري أن الاستطلاع كشف عن حقائق لا يريد البعض الاعتراف بها، إذ دوّن المصوتون في الاستفتاء السبب الأول في ضعف الوازع الديني لدى مرتكبي العنف، فيما رأى ٣١٪ من

انتشار ظاهرة العنف الأسري يعود لأسباب اقتصادية، أما الأسباب الاجتماعية فلم تتجاوز نسبتها ٢٥٪، فيما سجلت الأسباب الأخرى حوالي ٧٪..

إن معظم حالات العنف يصاحبها عنف جسدي مؤذ، كحلق الشعر بالنسبة للفتيات، وضرب بعضهن بأدوات تترك آثاراً على أجسادهن، ما يدخلهن في حالة مرضية من الناحيتين الجسدية والنفسية.

وكما أن الحال بالنسبة لمن مورس بحقهن العنف داخل أسرهن تنتهي بهن للانطواء القسري، إذ يعمد بعض الآباء إلى حبس الضحية لثلاث تمكّن من مخالطة الناس، ما قد يؤدي لاكتشاف ما مارسه من عنف تجاه ابنه أو ابنته، وتتحاشى ضحايا العنف الأسري من جانب آخر البوح بمشاكلتهن لأطراف قادرة على حل مشكلتهن كجمعية حقوق الإنسان، أو جمعيات تعمل على حل مشاكل العنف الأسري، ما يسبب تأزماً نفسياً للضحية.^(١)

إن غياب الوازع الديني يدفع ببعض الأزواج أو بعض أفراد الأسرة إلى ممارسة العنف بقسوة وغلظة مما يترتب عليه إلحاق الأذى والضرر بالمجني عليه. وحتى نمنع ذلك ونحافظ على تمتين السلم الأسري علينا أن ننمي روح القيم الدينية، وأن نهذب النفوس عبر التربية على الخوف والرجاء من الله عز وجل، فهذا أقوى عامل لمنع الإنسان من الاعتداء أو الإساءة إلى أفراد أسرته أو غيرهم.

الرقابة الداخلية

هناك العديد من عوامل الرقابة الداخلية كالإيمان والأخلاق، إضافة إلى العوامل الخارجية الموجودة بالقوة أو بالفعل، التي يمكنها لعب دور الرقابة ومنع الاختلافات الأسرية، ويبرز في المرحلة الأولى رقابة أعضاء العائلة بعضهم بعضاً. لكن لا يمكن أن نتوقع وجود دور رقابي قوي بين الزوج والزوجة؛ باعتباره أنهما شخصان مستقلان ارتبطا بعقد الزوجية، إلا إذا كان هذا الدور يتمتع بخلفية قانونية

(١) جريدة الرياض، الاحد ١٢ شوال ١٤٢٩هـ - ١٢ أكتوبر ٢٠٠٨م - العدد ١٤٧٢٠.

أو ثقافية؛ مثال ذلك: أن الرجال في الكثير من المجتمعات التقليدية والمعاصرة، يمارسون دور الرقابة الجنسية على زوجاتهم لما في ذلك من استقرار للعائلة، بسبب تمتعهم بدعم وخلفية ثقافية، وهذه الخلفية بحد ذاتها هي التي أعطت النساء في الكثير من الدول حق الرقابة على الزوج في مجال تعدد الزوجات.

وفي المرحلة اللاحقة تأتي رقابة الأقارب والمعارف على الأسرة، ويظهر هذا النوع من الرقابة سواء كان مباشراً أم غير مباشر على صورة الدعم المالي للزوجين، بالأخص في المجتمعات التقليدية، ولهذا النوع من الرقابة أهمية كبيرة على صعيد حل الخلافات الزوجية والحيلولة دون تفكك الأسرة. إلا أن الاستقلال النسبي للعائلة النووية في المجتمعات الحديثة أدى إلى تهقر دور رقابة الأقارب. وفي هذا المجال أيضاً يمكن طرح رقابة المجتمع على الأسرة؛ إذ أن الرقابة الاجتماعية في المجتمعات التقليدية تعد داعماً قوياً للأنظمة الاجتماعية المنضبطة، ما نشاهد نماذج لهذا الأمر في المجتمعات القروية المعاصرة؛ وبالتالي تجعل مخالفة القيم المسلمة أمراً في غاية الصعوبة.

وفي هذا السياق فإن للقانون دوراً هاماً في حفظ وثبات واستقرار الأسرة، فبعض الأمور تترك آثارها على هذا الصعيد كالقيود القانونية للطلاق، وتعدد الزوجات، ومنع العنف الزوجي، والتدخل القضائي في الخلافات الزوجية.

بعد ذكر الأبعاد المتعددة للرقابة على العائلة يتضح أن النظرية الرقابية للإسلام تتمتع بمقدار عال من الغنى والمرونة والعملائية. وقد تطرقنا إلى أهم هذه العناصر والتي تعنى بضرورة الاهتمام بالإشباع الجنسي والعاطفي المتبادل وترويج روحية الغيرة عند الرجال؛ باعتباره مظلة الأمان والحماية، ووجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند جميع أفراد المجتمع بالأخص أصحاب النفوذ، وتوجيه القوانين الشرعية لجهة تمتين أسس الأسرة، وحرمة عفو المسؤولين عن تنفيذ القانون أو إسقاطهم الحدود الإلهية بالأخص حد الزنا (والمثلية الجنسية)، وأيضاً ضرورة تدخل الأقارب وتعيين حكم من أقارب الرجل وحكم من أقارب

المرأة للنظر في الخلافات الزوجية الشديدة، وضرورة تدخل الدولة في قضية العنف الأسري.^(١)

وبشكل عام، يترك الإيمان الديني آثاره في استقرار العائلة عبر طريقتين:

٤- الأول: عبر المبادئ الأخلاقية عند الشخص، ومن أهم نتائجها إيجاد عامل الرقابة الداخلية التي تمنع الشخص من الظلم؛ ففي رواية عن الإمام الحسن (عليه السلام) يقول لرجل جاء يستشيريه في تزويج ابنته: «زوجها برجل تقي، فإنه إن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها».

٥- الثاني: عبر تأثير الإيمان الديني في إضفاء معنى خاص على الحياة؛ وإيجاد نوع من الإحساس بالرضا عند الأفراد. ومن الواضح أن التوقعات المثالية لزواج الشبان عندما لا تتحقق تصبح سبباً للإحساس بعدم الرضا، وبالتالي يبدأ السعي اللامعقول من أجل تغيير الوضع الموجود والوصول إلى المطلوب.... بالإضافة إلى ما ذكر، فإن ظهور اختلافات ثقافية واقتصادية وغيرها تجعل من الحياة الزوجية حياة غير ثابتة، ولا مستقرة. وعلى هذا الأساس، فإن الأشخاص غير المتدينين الذين يحصرهم سعادتهم في الدنيا يشعرون بالسقوط والضياع بمجرد عدم تحقق هذه الآمال؛ بينما يشكل الإيمان الديني والاعتقاد بالوعد الإلهية أهم العوامل المؤثرة في الإحساس بالرضا والاطمئنان على المستقبل، وبالتالي إمكانية التلاؤم مع مشكلات الحياة. وبما أن الأديان الإلهية تؤكد على رعاية المسائل الأخلاقية، لذا يتوقع من المتدينين أن يكونوا أكثر قدرة على إظهار سعة الصدر عند المشكلات، أما المتدين فهو الذي لا يصاب باليأس والإحباط إذا برزت بعض المشكلات كالفقر، هذا عدا عن عدم توانيه في تأمين الحاجات المادية المعقولة لاستمرار صعوبات الحياة المشتركة؛ بل إن الأمل يبقى عنده في الوعد الإلهي، وتتبدل صعوبات الحياة وآلامها بعد الإيمان إلى راحة واطمئنان. وعلى هذا الأساس كان الصبر أهم الفضائل الأخلاقية التي

(١) الإسلام والأسرة، حسين بستان النجفي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٨ م، ص ٢٩٢-٢٩٣.

أكدت عليها التعاليم الدينية، إلا أنه فقد أهميته في العالم المعاصر عندما أصبح الشخص يفضل السعادة الدنيوية على أي أمر آخر؛ وذلك بسبب «الفكر العلماني» الرائج في العصر الراهن. لذلك فإن الروايات ركزت على مجموعة من المعايير الهامة في اختيار الزوجة لعل أبرزها قضية التدين والإيمان.^(١)

فالتدين الحقيقي يُولد عند الإنسان وازعاً دينياً قوياً يمنع من ارتكاب أية أعمال عنيفة، بل ويحول الحياة الزوجية إلى حياة سعيدة وهادئة وناجحة.

(١) الإسلام والأسرة، حسين بستان النجفي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م، ص ٢٩٦ - ٢٩٧.

٢- تعاطي الكحول والمخدرات

إن الشخص الذي يتعاطى الكحول والمخدرات يفقد عقله، ويختل توازنه، وبالتالي فهو يتصرف بصورة غير سوية، فيثور لأنفه الأسباب، ويصب حام غضبه على عائلته وأسرته، ويرتكب الحماقات تلو الحماقات ضدهم، ويمارس بحقهم العنف القاسي، وقد حرم الله تعالى الخمر لما فيه من أضرار جسيمة على العقل والنفس، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١) ويقول الرسول الأكرم ﷺ: «الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر»^(٢) وقال الإمام علي عليه السلام: «فرض الله... ترك شرب الخمر تحصيناً للعقل»^(٣).

وقد أشارت الدراسات الحديثة إلى وجود علاقة بين شرب الخمر وبين الإساءة إلى المرأة، ولقد أشار الباحثون إلى حدوث اعتداء على الزوجات بتأثير شرب الخمر حتى أثناء حمل الزوجة.

حيث إن السلطنة النوعية التي تولدها الكحوليات تتميز بكون الكفوف واعتبارات الواقع المقيدة؛ تختفي من الشعور قبل أن تنطفئ الحفيزات الغريزية؛ بحيث أن الشخص الذي لا يجترئ على إتيان أفعال غريزية يمكن أن يكتسب من

(١) سورة المائدة الآية ٩٠

(٢) كنز العمال، ج ٥، ص ٣٤٩، رقم ١٣١٨٢.

(٣) بحار الأنوار، ج ٦، ص ١١١، رقم ٥. ونهج البلاغة، ج ٤، ص ٥٥، رقم ٢٥٢.

الكحوليات الإشباع والتحرر معاً. والأنا العليا قد عرفها البعض بأنها: الجانب من النفس الذي يذيه الكحول.

ولقد أشار (oleary & Murphy, 1992) إلى وجود علاقة بين العدوان بصفة عامة وبين تعاطي الخمر وكلما زاد تعاطي الخمر زاد معها العنف والعدوان؛ كما أن الرجال من الطبقة المتوسطة والدنيا أكثر إساءة لزوجاتهم في حال تناولهم الخمر. وأن ٥٠٪ من الأزواج المدمنين للخمر كانوا يسيئون إلى زوجاتهم ويعتدون عليهن؛ ويبدو أن الخمر عامل هام للتنبؤ بالإساءة الزوجية إلا أنه ليس العامل الوحيد^(١).

والأخطر من الخمر هو المخدرات لتنوعها وسرعة انتشارها وتأثيرها على كل أجهزة الجسم، والمشكلة أن وباء المخدرات أخذ في الانتشار سريعاً بين طبقة الشباب، وهو ما ينعكس على العلاقات الزوجية، فقد أشار تقرير لمنظمة الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة لعام ٢٠٠٤م إلى أن إجمالي عدد الأفراد المتعاطين قدر بحوالي ١٨٥ مليون فرد حول العالم وبنسبة تمثل ٣٪ من إجمالي سكان العالم أو ٧,٤٪ من إجمالي الأفراد في المرحلة العمرية ما بين (١٥-٤٦) سنة. وأوضح التقرير إن النصف الثاني من القرن العشرين شهد انتشاراً كبيراً لتعاطي المخدرات والعقاقير غير القانونية، وإن الأرقام العالمية أوضحت أن حوالي ٢٠٠ ألف فرد توفوا في عام ٢٠٠٠م بسبب تعاطي المخدرات وهو ما يمثل حوالي ٤,٠٪ من إجمالي الوفيات في العالم. أما في الدول العربية فقد أوضحت التقارير الصادرة من أن عدد المدمنين الذين تقدموا للعلاج في المستشفيات الحكومية المصرية للمدة ما بين عام ٢٠٠٠ - ٢٠٠٤م بلغ (١٨٧٤٧).

أما في العراق فقد بلغ عدد المسجلين كمدمنين لدى وزارة الصحة / برنامج مكافحة المخدرات للمدة من ١ / ٥ / ٢٠٠٣م ولغاية ٣١ / ٨ / ٢٠٠٤م بلغ

(١) الإساءة إلى المرأة، د. هبة محمد علي حسن، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة- مصر، طبع عام ٢٠٠٣م، ص ٢١.

(٢٠٢٩) حالة وإن النسبة الإجمالية للمدمنين من السكان بلغت ٥٪. وفي المغرب أشارت التقارير إلى أن ٢٠٪ من الطلبة في الوسط الجامعي سبق لهم وأن تعاطوا المخدرات، وإن ٣-٥٪ تعاطوها بشكل دائم. فهذه المشكلة إذن تعد من أخطر المشكلات التي تهدد سلامة المجتمعات.^(١)

وقد أوضحت الدراسات أن المدمنين يتسمون بعدة خصائص نفسية واجتماعية مقارنة بغير المدمنين، وتمثل هذه الخصائص في أن المدمنين يتسمون بالعنف والعدوان وانخفاض تقدير الذات والتشاؤم وعدم الثقة. ويعانون من الأعراض الاكتئابية ويشعرون بالدونية، ويعانون من عدم الشعور بالأمن النفسي والميل إلى عقاب الذات وتدميرها.

كما يتسمون بعدم النضج الانفعالي وعدم القدرة والكفاءة والميل إلى العزلة، ويشعرون دائماً بالتعب والإرهاق والإجهاد النفسي؛ فتقل قدرتهم على مواجهة مطالب الحياة وتنعدم لديهم القدرة على تحمل المسؤولية هذا إلى جانب الخمول والبلادة والإهمال وعدم الاكتراث والانطواء الاجتماعي والسلبية وانخفاض مستوى الطموح وسوء التفكير وضعف البصيرة وعدم وجود هدف واضح وتدهور الكفاية الإنتاجية^(٢).

تحديد مصطلح المخدرات

أ- المفهوم اللغوي للمخدرات: إن أصل كلمة مخدرات في اللغة العربية من الفعل خدر وتعني الستر ويقال جارية مخدرة إذا لزمته الخدر أي استترت، ومن هنا استعملت كلمة مخدرات على أساس إنها مواد تستر العقل وتغيبه.

وعرفها الدويبي: هي كل مادة تحدث خدرًا في الجسم الذي يتناولها،

(١) العنف والطفولة: دراسات نفسية، الدكتورة سوسن شاكر مجيد، دار صفاء، عمان - الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ص ١٧٤.

(٢) سيكولوجية العنف: المفهوم، النظرية، العلاج، د. طه عبد العظيم حسين، الدار الصولتية للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، طبع عام ١٤٢٦هـ، ص ٢٧٧.

والمخدر يشمل القلق والحيرة والفتور والكسل والثقل والاضطراب والتسيب.

ب- المفهوم العلمي: هي مادة كيميائية تسبب النوم والنعاس وغياب الوعي المصحوب بتسكين الألم، لذلك لا تعتبر من المنشطات ولا العقاقير المهلوسة وفق التعريف العلمي من المخدرات بينما يعتبر الخمر من المخدرات.

ج- التعريف الطبي: هي كل مادة سواء كانت نباتية أو كيميائية أو مركبة ذات خواص معينة تؤثر على متعاطيها وتجعله مدمناً لا إرادياً عليها باستثناء تعاطيها لأغراض العلاج من بعض الأمراض وحسب الإشراف الطبي، وتشكل ضرراً على المتعاطي سواء كان نفسياً أو صحياً أو اجتماعياً.

د- المفهوم الاجتماعي: تلك المواد التي تؤدي بمتعاطيها وامتدادها إليها إلى السلوك الجانح وهي أيضاً حسب المتخصصين الاجتماعيين تلك المواد المذهبة للعقل فيأتي مستعملها سلوكاً منحرفاً.

هـ- المفهوم القانوني: هي مجموعة من المواد التي تسبب الإدمان وترهق الجهاز العصبي ويحضر تداولها أو زراعتها أو صنعها إلا لأغراض يحددها القانون ولا تستعمل إلا بواسطة من يرخص له بذلك.

و- تعريف لجنة الخبراء التابعة لمنظمة الصحة العالمية عام ١٩٦٩م: على إنها كل مادة تدخل جسم الكائن الحي وتعمل على تعطيل واحدة أو أكثر من وظائفه.^(١)

ولذلك فمن غير المستغرب أن متعاطي الكحول والمخدرات يمارس العنف ضد زوجته وأولاده، فقد أشارت الدراسات أن معدل تعاطي المخدرات والكحوليات بين الرجال الذين يسيئون معاملة الزوجة تكون مرتفعة؛ وهذا يوضح أن هناك علاقة بين تعاطي المخدرات والعنف ضد المرأة ولكن لا يوجد دليل

(١) العنف والطفولة: دراسات نفسية، الدكتورة سوسن شاكر مجيد، دار صفاء، عمان - الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ص ١٧٦.

يؤيد هل هذه العلاقة هي علاقة سبب ونتيجة؟ ومن الضروري أن نؤكد هنا على أن العنف هو سلوك متعلم اجتماعياً ولا يكون نتيجة لتعاطي المخدرات، فالرجل المسييء غالباً يلجأ إلى تعاطي المخدرات للهروب من المشاكل في حياته، وأن العديد من الرجال المسيئين لا يتعاطون المخدرات.

ولكن يرى آخرون أن الرجال المسيئين الذين يتعاطون المخدرات يكونون أقل قدرة على التحكم في الحفيزات والانفعالات لديهم، ومن السهل تعرضهم للإحباط وبالتالي يسهل عليهم اللجوء إلى العنف لحل مشكلاتهم. وتشير الدراسة التي قام بها Rhee (١٩٩٧) إلى وجود علاقة بين تعاطي المخدرات والكحوليات وضرب الزوجات، إذ أن أحداث الحياة الضاغطة وتعاطي المخدرات تؤديان إلى ضرب النساء والاعتداء عليهن من قبل الرجال، كما أن تعاطي المخدرات قد يكون مقترناً بعوامل أخرى مثل الضغوط والصراعات الزوجية، وكلها عوامل تسهم في حدوث العنف ضد المرأة.^(١)

بل إن الأب الذي يتعاطى المخدرات يمارس الإيذاء ضد أولاده حتى قبل ولادتهم، إذ أن هناك علاقة قوية بين إساءة استخدام المخدرات وبين إيذاء الأطفال، فوجد أن هناك ارتباطاً قوياً بين الآباء الذين يسرفون في تعاطي المخدرات وبين تعرض أطفالهم للإيذاء أو وفاتهم. فهناك عشرة ملايين طفل تحت عمر ١٨ سنة قد تأثروا بتعاطي والديهم للمخدرات حتى قبل ولادتهم من خلال التعرض للمخدرات أو عدم قدرة الأسرة على تربية الطفل أو حمايته من الفساد نظراً للمحيط الذي يعيش فيه.^(٢)

(١) سيكولوجية العنف: المفهوم، النظرية، العلاج، د. طه عبد العظيم حسين، الدار الصولتية للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، طبع عام ١٤٢٦هـ، ص ٦١.

(٢) القضايا والمشكلات الزوجية في مجتمعات دول مجلس التعاون الخليجي. دراسة تحليلية شاملة، إعداد الدكتور أبو بكر أحمد باقادر، إصدار المكتب التنفيذي لمجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ومؤسسة صندوق الزواج بدولة الإمارات، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٣م، ص ٣٩٠.

وللتدليل على ذلك عملياً قام أب بضرب ابنته حتى الموت بسبب تعاطيه للحشيش، فقد ذكرت صحيفة الوطن السعودية ما نصه: أثبتت نتائج التقرير الطبي الصادر عن الطب الشرعي بمستشفى الملك خالد بمنطقة تبوك أن جثمان الطفلة (بيان) البالغة من العمر خمس سنوات ونصف - التي لقيت حتفها على يد والدها - أصيب بالعديد من الكدمات المتفرقة في الوجه وأجزاء أخرى من الجسم. وقالت مصادر اطلعت على مضمون التقرير لـ «الوطن»، إن التقرير أفاد بأن الأداة التي استخدمت في ضرب الفتاة هي «كيبيل كهربائي» وقعت ضرباته على أماكن حساسة من جسم الطفلة وعلى آثارها حدثت الوفاة.

وأفادت معلومات حصلت عليها «الوطن» أن أفراد البحث الجنائي تمكنوا من العثور على بعض المخلفات لسجائر تحتوي على مادة الحشيش المخدر في منزل الجاني الذي اعترف في التحقيقات أنه مدمن على تعاطي مادة الحشيش.^(١)

وقام آخر بقتل ابنته بعدما تعاطى المخدرات، فقد ذكرت صحيفة الحياة ما نصه:

أقدم مواطن سعودي في جدة على قتل ابنته البالغة من العمر ١٩ عاماً، بعد أن سددها لها طعنات عدة متفرقة في جسدها أصابتها اثنتان منها في رقبتها، ما أدى إلى وفاتها في الحال، كما تسبب ذلك في وفاة جدة الابنة لأمها (٦٧ عاماً) بعد أن أصابها منظر حفيدتها الغارقة في دماؤها بصدمة شديدة.

وأضافت (الحياة) أن الأب مدمن للمخدرات ومنفصل عن والدته الفتاة منذ ١٨ عاماً، وتعيش القتيلة مع أمها وجدتها لأمها في المنزل نفسه، وتوجد خلافات أسرية قائمة بين الطرفين.

وكشفت مصادر أمنية أن الأب توجه إلى منزل جدة ابنته بعد تعاطيه جرعة

(١) صحيفة الوطن، الثلاثاء ٢١ شوال ١٤٢٩ هـ الموافق ٢١ أكتوبر ٢٠٠٨ م العدد (٢٩٤٤) السنة التاسعة.

الفصل الخامس: مسببات العنف الأسري

كبيرة من المخدرات، وأقدم تحت تأثير المخدر على تسديد طعنات عدة إلى جسد ابنته، أصابتها اثنتان منها في رقبتها من الجهتين اليمنى واليسرى، ما أدى إلى وفاتها على الفور، وفي تلك الأثناء دخلت الجدة إلى موقع الجريمة، فلم تتمالك نفسها وهي تشاهد حفيدتها غارقة في دماؤها وسقطت على الأرض مفارقة الحياة. وسارعت والدة الفتاة القتيلة التي كانت موجودة في المنزل لحظة وقوع الجريمة إلى إبلاغ شرطة جدة عن الحادثة، وتم إلقاء القبض على الأب الجاني داخل المنزل وفي حوزته أداة الجريمة، ولا تزال التحقيقات جارية معه لمعرفة دوافع إقدامه على قتل ابنته، فيما كشفت التحقيقات الأولية أن الأب ارتكب جريمته وهو تحت تأثير المخدرات.^(١)

فتعاطي المخدرات والمسكرات عامل مهم من العوامل المسببة للعنف الأسري، ولخطورته فقد حرمت الشريعة المقدسة تناول أي نوع من أنواع المخدرات أو المسكرات لما فيها من سلب العقل واختلال توازن الإنسان.

(١) صحيفة الحياة، الجمعة ١٩ ديسمبر ٢٠٠٨م الموافق ٢١ ذو الحجة ١٤٢٩هـ، العدد ١٦٦٩٥، الصفحة الأولى..

٣- انعدام الانسجام الزوجي

عندما لا يكون بين الزوجين أي انسجام حقيقي في الحياة الزوجية فإن البيت العائلي يتحول إلى جحيم لا يطاق، فتتحول المشاكل الصغيرة إلى قضايا كبيرة، واختلاف وجهات النظر إلى عداوة وبغضاء، ويحل محلّ التفاهم والحوار الضرب واستخدام وسائل الإيذاء.

ويعد انعدام الانسجام الزوجي أحد أهم الأسباب لنشوء العنف في الأسرة، وبالتالي فلا مكان للحب والمودة بين الزوجين، بل الكراهية والبغضاء وحب الانتقام يكون هو السائد بين الزوج وزوجته.

وقد ينشأ الصراع الزوجي من عدم اتفاق الزوج والزوجة بشأن أدوارهم في الحياة وبيئة العمل وقد ترجع الصراعات الزوجية إلى عدم إشباع الرغبات الجنسية، وقد يترتب على هذه الصراعات الزوجية ظهور كثير من المشكلات، وقد تنشأ هذه الصراعات نتيجة لوجود تباين في خصائص الشخصية لدى كل من الزوجين، أو بسبب الظروف الاقتصادية السيئة أو الضغوط مما يترتب عليها عدم إشباع الحاجات النفسية واضطراب العلاقة بين الرجل والمرأة.

وقد تنشأ الصراعات الزوجية نتيجة لعجز الزوجين عن مواجهة ما يعترضهما من مشكلات أو اختلافهما في أساليب حل هذه المشكلات، وتظهر آثار هذه الصراعات الزوجية نقص التواصل بين الزوجين وعدم الرضا عن العلاقة الزوجية، وعلى هذا فإن الصراعات الزوجية تسهم في حدوث العنف داخل الأسرة، فالأسرة التي تكون خالية

من الصراعات الزوجية يشعر فيها كل من الزوجين بالرضا الزوجي، ويكون كل منهما في حالة تفاعل وتواصل مستمر وفعال ويظهر كل منهما الحب للآخر.

ومن هنا فإن العنف ضد الزوجة يعد مؤشراً هاماً على وجود خلل في طبيعة العلاقات بين الزوجين واضطراب نسق الأسرة، فالأسر التي تتسم بمعدلات مرتفعة من عدم الاستقرار الزوجي والأسرني قد يلجأ الزوج فيها إلى العنف ضد الزوجة لما يعنيه من نقص في أساليب ومهارات التواصل معها حيث يصعب عليه التعبير عن أفكاره ومشاعره وانفعالاته، ومن ثم يميل إلى توجيه اللوم إلى الضحية مع أنه يعتمد عليها ويرفض في الوقت ذاته الاعتراف بحاجته إليها ويفسر المواقف بشكل خاطئ، فمثلاً عندما تتأخر عنه فهذا يعني أنها تريد هجره، وحين تبسم لترضيه فهي بذلك تسخر منه، وإذا ما انتقدته يغضب ويعتدي عليها، وعلى هذا يعد التواصل الفكري والوجداني الإيجابي مؤشر هام في الكشف عن الرضا الزوجي.

ولقد كشفت الدراسات أن الصراعات الزوجية والتواصل السلبي تؤدي إلى الضيق الزوجي والعنف، وتتضمن أنماط التواصل السلبي صور عدة منها نمط الانسحاب عن المطالب والدفاعية والتجنب، وقد يحدث العنف الزوجي بسبب الفشل في حل الصراعات الزوجية، وهذا يؤيد فكرة أن الفرد العنيف غالباً يكون لديه نقص في مهارات حل الصراع وحل المشكلات. ولقد كشف نتائج دراسة (Dabcock et al 1993) أن الرجال الذين يكون لديهم نقص في مهارات التواصل ونقص القوة في اتخاذ القرار يزداد العنف لديهم ضد المرأة، فالأزواج العدوانيون يكونون أكثر معاناة من المتاعب الزوجية عن الأزواج غير العدوانيين. وعلى كل حال يؤدي انسداد قنوات التواصل الفكري والوجداني بين الزوجين إلى تولد العنف، ويزيد من التوتر والكرهية بين الزوجين حيث لا يكون هناك مشاعر وأفكار متبادلة، وتتعهد الثقة ويتناول كل من الزوجين على الآخر بالسب والشتم أو بالنظرات المستهجنة، ومن ثم يكون العنف هو لغة الحوار وأداة التواصل بين الزوجين.

ولقد كشفت نتائج الدراسة التي قام بها (Hotaling et al 1986) أن انخفاض الدخل والمستوى التعليمي ونقص التوكيدية، وأن التواصل السلبي والفشل في حل

الصراعات الزوجية ونقص مهارات حل المشكلات ومهارات حل الصراع في الأسرة يعد مؤشراً هاماً في العنف الزوجي والعدوان النفسي، وقد يؤدي ذلك إلى زيادة القدرة على التنبؤ بالطلاق، وهذا يوضح أن الأفراد الذين يكون لديهم نقص في حل المشكلات ومهارات حل الصراع يميلون إلى ممارسة العنف ضد الزوجة.

فالحياة الزوجية السعيدة تساعد على إشباع الحاجات النفسية لكل من الزوجين من خلال الأخذ والعطاء والتعاون المتبادل القائم على المودة والرحمة والتقدير والاحترام المتبادل، والمواجهة للمشكلات معاً والعمل على إيجاد الحلول المناسبة لها، ولا يمكن أن تعتبر الحياة الزوجية ناجحة إلا إذا توفرت لها عوامل الاستقرار والإشباع والتوافق، فالفاعل بين كل من الزوجين هو الذي يحدد نجاحها أو فشلها. ولهذا إذا أغلقت قنوات التواصل بين الزوجين فقد يؤدي ذلك إلى صراعهما، وإلى الإحساس بالخطر والشعور بالإحباط والقلق، وهذا يدفع بهم إلى الشجار والمشاحنات وإلى استخدام السلوك العنيف من أحدهم تجاه الآخر، وتتحول حياة الأسرة إلى جحيم لا يطاق.^(١)

وبالتالي إذا أراد الزوجان إنجاح حياتهما الزوجية عليهما إتقان مهارات وقواعد الاتصال بين الزوجين، وتعلم لغة الحوار والتفاهم، حتى يتم الانسجام بينهما، وهو الأمر الذي يساعد على نجاح الحياة الزوجية، وتجنب لغة العنف والخصام.

ويعتبر (التجانس الزوجي) أحد الأصول الرئيسة في انسجام الأسرة. وقد اهتم الكثير من المتخصصين في شؤون الأسرة بهذا المفهوم، سواء في مجالات علم النفس أم علم الاجتماع، فأظهروا أهميته بطرق مختلفة. وتبين النظريات التي طرحت في هذا الشأن أن التجانس الزوجي في الجوانب المختلفة، بالأخص في الجوانب الثقافية، يساهم إلى حد كبير في استقرار الأسرة.

وقد لا يدرك الأشخاص أهمية التجانس في الظروف العادية، إلا أنهم يظهرون أعلى مستوى من التفاعل عند وقوع المشكلات. ولعل السبب في ذلك أن الشرائح

(١) سيكولوجية العنف: المفهوم، النظرية، العلاج، د. طه عبد العظيم حسين، الدار الصولتية للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، طبع عام ١٤٢٦ هـ، ص ٦٢ - ٦٣

الاجتماعية تعتبر التجانس حالة واقعية مفروغاً منها، بمعنى أنها ليست ذات أهمية أساسية، والواقع أن الاختلافات الصغيرة هي التي تكتسب أهمية حقيقية. وتبرز أهمية التجانس بشكل خاص في العلاقات الأسرية؛ إذ أنها قد تحمل أدق النتائج، وتحول العلاقات إلى نوع من النزاع والمشادة، بناء على هذا يشكل التجانس بين الزوجين أهم العوامل التي تحول دون الاختلافات الزوجية.^(١)

والتجانس في الخصائص الشخصية من أهم مصاديق التجانس، وهو يلعب دوراً فاعلاً في ثبات واستقرار العائلة، ويشتمل على مساحة واسعة من الخصائص النفسية. وتؤكد نظريات علم النفس الاجتماعي أن الأزواج الذين يمتلكون خصائص شخصية متقاربة، أقدر من غيرهم على جذب بعضهم بعضاً، وإقامة علاقة متينة، بينما أصحاب الخصائص النفسية المتعارضة، لديهم استعداد أكبر للاختلاف. إن الصفات المتعارضة تؤدي إلى انخفاض الجاذبية المتقابلة، وأحياناً تصل إلى التنافر والخصام. مع هذا كله، لا بد من الالتفات إلى تأثير بعض الفوارق الشخصية في تثبيت وتمتين العلاقة، فقد أكد بعض المختصين ضرورة وجود بعض الفوارق والتمييزات. وكما أن بعض الفوارق، كالمزاج البارد والحار، والانطواء والانفتاح، الانتظام وعدمه، النظافة وعدمها، تؤدي إلى ارتفاع احتمال عدم التلاؤم بين الزوجين. فإن لبعضها الآخر دوراً معاكساً، لابل وتكاملياً بينهما، كالميل إلى الإعالة والتبعية، السلطة والخضوع لها، الرجولة والأنوثة.^(٢)

ومما تقدم، نستنتج أن انعدام التجانس والانسجام بين الزوجين يؤدي إلى حدوث العنف بينهما، بينما التجانس والانسجام العاطفي يؤدي إلى استقرار العائلة، وثبات كيان الأسرة.

(١) الإسلام والأسرة، حسين بستان النجفي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٨ م، ص ٢٥٨ - ٢٥٩.

(٢) الإسلام والأسرة، حسين بستان النجفي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٨ م، ص ٢٦١ - ٢٦٢.

٤ - غياب التكافؤ بين الزوجين

يرتبط التكافؤ بالأهلية، بحيث يكون كل من الزوجين أهلاً للآخر، وي طرح هنا على صعيدين: موضوعي (وهو الذي يشيع الحديث عنه)، ونفسي - ذاتي (وهو الذي يظل خفياً).

يتمثل التكافؤ الموضوعي عموماً في السن، والوضع المهني أو الاقتصادي، ومستوى التعليم. وتشكل هذه الثلاثة مقومات موضوعية لإمكانية إقامة علاقة زوجية متوازنة وقابلة للحياة، حيث يجد كل من الزوجين مكانة معقولة، لا تكلفه أثمناً معنوية ونفسية، أو حتى مادية باهظة؛ وإلا فإن احتمالات بروز الصراع والتناقضات تكون هي الغالبة، فالتكافؤ الموضوعي هو الذي يوفر مقومات التوافق والتفاهم.

إذا أخذنا السن مثلاً من الهام جداً وجود حالة من التوازن العمري بين الزوجين، حتى ينمو معاً؛ وإلا فقد تنشأ حالات من التفاوت في الحاجات والمتطلبات والرؤى والتوجهات، من مثل ما يحدث بين زوج مسن وزوجة صغيرة السن. فبينما يكون الزوج قد وصل مرحلة تبدأ حاجته فيها إلى الاستقرار وتكمن نزواته، تكون الزوجة ما زالت في مستقبل حيوية والانفتاح على الدنيا، والحاجة إلى إرضاء حاجاتها العاطفية والجسدية. وبعد مرحلة البدايات وتنازلاتها وتحملها، أو فرحتها وجدتها، تأتي مرحلة إعادة حسابات الريح والخسارة من الطرفين معاً، وقد يبدو كل منهما في نظر الآخر معوقاً لحياته أو عبئاً عليه نظراً لتفاوت المتطلبات والاحتياجات.

كذلك هو الحال في التكافؤ التعليمي، فالمستوى التعليمي يحدد من حيث المبدأ أفق الرؤية ونوعية النظرة إلى الذات والوجود، كما يحدد نوع الاهتمامات والعلاقات. ومن أبرز مكامن الصراع الزوجي تلك الحالات التي يرتبط فيها أحدهما بآخر مدفوعاً بنزوة، أو رد فعل من نوع ما؛ سواء أكانت جنسية، أو رداً على حالة إحباط وجودي؛ إلا أن النزوات كردود الفعل تظل عابرة ولو طال أمدها، ويتعذر أن تكتب لها الحياة بعد مرحلة الحماس، سرعان ما تظهر التباينات على صعيد قضايا الحياة اليومية الصغيرة، إلا أن هذه قد تتجمع كي تتحول إلى تناقضات كبرى، وعندها يطل الشعور بالغبن أو الورطة برأسه. وتتضاعف الخطورة إذا تلاقى التباين التعليمي مع التباين الاجتماعي، هنا تطرح مسألة المكانة بكل حدتها، بعد وقت ليس بطويل.

أما التكافؤ الاجتماعي - الاقتصادي فهو غني عن البحث، حيث يشكل موضوعاً مطروحاً بشكل دائم حين النظر في تكوين الروابط الزوجية. على أن المسألة هنا تظل قابلة للكثير من الاستثناءات، إذا توفرت مقومات التكافؤ على الصعيد الأخرى. وإذا تمتع الزوجان بالقدر الكافي من النضج والتوافق العاطفي، والقدرة على إيجاد الحلول الملائمة للمشكلات، وخصوصاً إرادة إنجاح الارتباط الذي يوفر الإرضاء النفسي والوجودي للطرفين.

يشكل التكافؤ النفسي - الذهني أحد أهم مقومات نجاح الرباط الزوجي، ولو أنه يظل خفياً بالمقارنة مع بروز وعلنية التكافؤ الموضوعي. نحن هنا بصدد العديد من الحالات التي قد يعوض فيها التكافؤ النفسي التباينات الموضوعية، أو هو يفاقم من حدتها.

الكثير من الروابط الزوجية تنخرط في صراع على المكانة: لمن السيطرة على الآخر، وللمن التحكم والمرجعية؟ وتبرز هذه الصراعات حين يكون أحد الطرفين ميالاً إلى التسلسل العلني الصريح (كما هو الحال عند بعض الرجال)، أو التحكم التملكي الخفي (كما هو الحال عند بعض النساء)، بينما يحتاج الطرف الآخر إلى علاقة قائمة على الاستقلالية، أو التكافؤ.

يحاول أحد الزوجين إقامة علاقة فوقية - تبعية، بينما يقاوم الآخر هذا الميل

رافضاً موقع التبعية، أو الانقياد، ومصرراً على الشراكة.^(١) وعندما تستمر هذه النمطية في العلاقات الزوجية فإنها تتسبب في تولد العنف بينهما، وبتزايد العنف بتزايد غياب أي تفاهم بين الزوجين.

فالتكافؤ بين الزوجين من حيث العمر والمستوى التعليمي والاقتصادي والاجتماعي يساعد على خلق زيجات ناجحة، ويمنع من تولد الخلافات والصراعات الزوجية التي تؤدي إلى ممارسة العنف بين الزوجين. أما انعدام التكافؤ الزوجي فيجر - غالباً - إلى ممارسة العنف الأسري كما تشير إلى ذلك الكثير من حالات العنف الأسري.

الكفاءة بالمنظور الإسلامي

يؤكد الإسلام على أصل التجانس الزوجي، ويعتبره معياراً أساسياً لاختيار الزوج، وعاملاً هاماً في انسجام العائلة، وقد ذكر هذا الأمر تحت عنوان (الكفاءة). إلا أن النظريات القيمة الإسلامية طرحت تعريفاً خاصاً للكفاءة بين الزوج والزوجة. وقد كان موقف الإسلام إيجابياً تجاه بعض جوانب التجانس الزوجي (التجانس الديني والأخلاقي) وسلبياً تجاه بعضها الآخر (التجانس العنصري والقومي والطبقي) وإن المشروع الإسلامي قد سعى في تغييره، وهذا يظهر البعد الثقافي لهذا الموضوع. يعتبر الإسلام أن الإيمان هو المبنى الأساسي للتجانس بين الزوجين (المؤمن كفؤ المؤمنة، والمسلم كفؤ المسلمة)؛ بمعنى أن الإيمان والإسلام شرط كاف لتحقيق الكفاءة، هذا في الجانب الإيجابي؛ أما في الجانب السلبي؛ فقد اعتبر أن الزوجة غير المؤمنة ليست كفؤاً، وعلى هذا الأساس منع زواج المسلم بالوثنية، يضاف إلى هذا أن الإسلام لم يكتفِ بالإيمان الظاهري أو الرسمي، لا بل أكد على الالتزام العملي للشخص بلوازم الإيمان؛ ولهذا فإن الروايات أفادت أن طهارة وأمانة الرجل جزء كفاءته، وقد اعتبر القرآن الكريم أن الزناة أشخاص غير مناسبين

(١) الصحة النفسية.. منظور دينامي تكاملي للنمو في البيت والمدرسة، د. مصطفى حجازي، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ٢٠٠٤م، ص ١٢٧-١٢٨.

للزواج، بينما أوضحت بعض الروايات أن شارب الخمر غير مؤهل للتزويج، ومما ذكر يتضح الفرق بين رؤية الإسلام ورؤى العلوم الاجتماعية لمسألة التجانس. ويؤكد بعض مختصو علم الاجتماع وعلم النفس على الدور السلبي لأشكال عدم التجانس، لا بل يعتبرون هذا الأمر حالة مفروضة الوجود، ويوصون بإحراز أعلى مستوى من التجانس. أضف إلى هذه الرؤية التي يغلب عليها طابع المحافظة، قدم الإسلام رؤية إصلاحية من أجل تغير المكونات الثقافية غير الصحيحة؛ كضرورة التجانس العائلي، والقومي والطبقي.

وقد جاء في رواية أن شخصاً جاء الإمام الجواد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يحدثه في أمر بناته، وأنه لا يجد أحداً مثله، فكتب إليه الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) «فهمت ما ذكرت من أمر بناتك، وأنت لا تجد أحداً مثلك، فلا تنظر في ذلك رحمك الله، فإن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قال: إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير». لقد اهتم الإسلام بموضوع التجانس الزوجي، وقدم نماذج وبدائل جديدة، وهذا ما نشاهده في قصة جوير الشاب الأسود القبيح المنظر الذي زوجه الرسول الأكرم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بزلفاء بنت زياد بن لبيد، أحد أعيان المدينة. وكذلك المقداد، الغلام المحرر الذي تزوج بضباعة ابنة عم الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وزواج الإمام السجاد (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بإحدى الإماء المحررات. وقدم الإسلام في العصور الماضية والعصر الراهن نماذج كبيرة لواقع التجانس الزوجي؛ لما يحمله من ثبات واستقرار العائلة؛ إذ أن النماذج كانت موفقة، وتفيد أن الإيمان عند الأزواج، والتزامهم القيم الدينية لا يتعارض مع التجانسات الجانبية ولا يؤدي إلى أي شكل من أشكال الاضطراب في العائلة.^(١)

والكفاءة بين الزوجين تؤدي إلى وجود التجانس والانسجام بينهما، وهو الأمر الذي يساعد على إيجاد حياة زوجية مستقرة وناجحة وسعيدة.

(١) الإسلام والأسرة، حسين بستان النجفي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م، ص ٢٥٨ - ٢٥٩.

٥- الأمراض النفسية

أخذت الأمراض النفسية في الانتشار في مجتمعنا نتيجة للضغوط الحياتية، والمشاكل المتنوعة، وإذا ما أصيب الزوج أو الزوجة بأحد الأمراض النفسية أو العقد الداخلية فإن الحياة الزوجية تبدأ بالانتكاس، وتزداد المشاكل، ويحل العنف محل التفاهم لمواجهة تلك المشاكل!

«إن العنف يحدث بسبب الشذوذ والانحرافات النفسية مثل الأمراض النفسية والعجز في الشخصية، وطبقاً لهذا النموذج يكون الفرد عنيقاً بسبب الانحرافات أو القصور في خصائص الشخصية، وهذه الخصائص تتضمن عدم الكفاءة في ضبط الذات والسادية والسيكوباتية والاضطرابات النفسية، فالرجال الذين يسيئون معاملة المرأة يعانون اضطرابات نفسية في بروفييل الشخصية»^(١).

ولقد كشفت نتائج الدراسة التي قام بها Bernard et al (١٩٨٤) وذلك من خلال تطبيق بروفييلات اختبار الشخصية المتعددة الأوجه (MMPI) والتي أجريت على ٤٦ رجلاً من المسيئين لزوجاتهم أن هؤلاء المعتدين على زوجاتهم يتسمون بعدة خصائص وهي: الغضب والاعتراب وعدم الثقة، ولديهم اضطرابات في الشخصية مقارنة بغير المعتدين أو المسيئين، وأن هؤلاء المسيئين لزوجاتهم لديهم خبرات مؤلمة في الطفولة من قبيل مشاهدة العنف الوالدي أو التعرض له،

(١) سيكولوجية العنف: المفهوم، النظرية، العلاج، د. طه عبد العظيم حسين، الدار الصولتية للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، طبع عام ١٤٢٦هـ، ص ٧٣.

كما أن لديهم صعوبة في استمرار العلاقات بينشخصية.

وهكذا فإن هذا المنحى يركز على الفرد، ويشير إلى أن الخبرات الصدمية في الطفولة المبكرة واضطراب الشخصية تجعل الفرد على استعداد لممارسة العنف، وعلى هذا فإن المعتدين الذين يعتدون على زوجاتهم يكون ذلك بسبب وجود مشكلة انفعالية كامنة لديهم، وهذه المشكلة ربما ترجع إلى الإساءة إليهم والنبذ من قبل الآباء وهم أطفال، إلى جانب فشل الآباء في إشباع حاجاتهم الانفعالية وهم أطفال أيضاً، هذا يفسر السبب في أن العنف يحدث في كل المستويات الاقتصادية والاجتماعية، وأن المرأة والأطفال يكونان أهم ضحايا العنف والإساءة في الأسرة.^(١)

وعلى ذلك، فإن معالجة الأمراض النفسية مبكراً، والعمل على تنشئة نفسيات سوية، وتأهيل الأطفال الذين يتعرضون للعنف في صغرهم عبر دورات علاجية، وخلق الأجواء الإيجابية الملائمة لنجاح الحياة الزوجية أمر هام للغاية لمنع أية بذور لنمو العنف الأسري داخل الكيان العائلي.

(١) سيكولوجية العنف: المفهوم، النظرية، العلاج، د. طه عبد العظيم حسين، الدار الصولتية للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، طبع عام ١٤٢٦هـ، ص ٧٤

٦- الأزمات المالية

تساهم الأزمات المالية الخائفة التي تصيب الزوج، وعدم تفهم الزوجة لوضع زوجها المالي إلى الاتجاه نحو العنف الأسري وذلك من أجل تفرغ شحنات الفقر والضيق والإحباط التي يشعر بها.

وقد رأينا كيف أن فقدان كثير من الناس لأموالهم في أزمة سوق الأسهم السعودية لعام ٢٠٠٦م قد أدى إلى تزايد حالات الإفلاس، مما تسبب في تضاعف استخدام العنف ضد الأسرة، وقد ترتب على ذلك الكثير من القصص والمآسي التي يندى لها جبين الإنسانية!

فالأزمة المالية الخائفة التي قد يمر بها الإنسان تجعله ضيق الصدر، عصبي المزاج، قلق النفس، وهو ما قد يتحول إلى عنف باتجاه الأسرة.

ويؤدي انخفاض الدخل إلى تزايد العنف الأسري، فالأفراد ذوي الدخل المنخفض يكونون أكثر ممارسة للعنف ضد المرأة لأن ذلك ينتج عنه عدم استقرار اقتصادي، ولقد أشارت نتائج الدراسة التي قام بها Rhee (١٩٩٧) song (١٩٩٦) أن العوامل الاقتصادية والاجتماعية تؤثر في مستوى إساءة معاملة الزوجة، فالعنف يحدث في الأسر ذات المستوى الاقتصادي والاجتماعي المنخفض مقارنة بالأسر ذات المستوى الاقتصادي والاجتماعي المرتفع، وأن بطالة الزوج تساهم في حدوث العنف، فكلما طالت فترة البطالة كلما ازدادت مشاعر الضيق والسخط، وتضاءلت المكانة الاجتماعية للرجل مما يساعد ذلك على تكون

اتجاهات سلبية ومشاعر عدوانية تجاه الزوجة والأطفال في داخل الأسرة، كما أن انخفاض الدخل يترتب عليه الشعور بالحرمان وعدم إشباع الحاجات النفسية والبيولوجية.

وكلما ازداد الشعور بالحرمان ازداد القيام بالعنف، فالحرمان سواء كان مادياً أو نفسياً يخلق حالة مؤلمة من الاغتراب والقلق والتوتر، وبالتالي يسعى المعتدي للتخفيف من هذا التوتر والقلق واستعادة الاتزان بالعنف على الزوجة والأطفال باعتبارهم الحلقات الضعيفة في الأسرة، وعلى هذا فإن الظروف الاقتصادية المتدنية قد تسهم في نشأة العنف حيث تلجأ المرأة غالباً إلى الشجار مع زوجها نظراً لعدم كفاية الدخل، ومن ثم قد يتحول أو يتطور هذا الشجار إلى عنف، فالعنف منتشر في كل الطبقات والمستويات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ولكن بدرجات متفاوتة، فمعدل العنف يكون مرتفعاً في المستويات الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية المنخفضة.^(١)

وينتج عن انخفاض الدخل مشكلات عديدة تؤدي كلها إلى ممارسة العنف.. ومن هذه الصور:

- ١- إن ما تحتاجه الأسرة من مصاريف أكثر بكثير من موارد الرجل الذي يجب عليه الإنفاق على أسرته.
- ٢- عدم تفهم الزوجة للوضع الاقتصادي الصعب لزوجها مما يترتب عليه مشاكل في الحياة الزوجية، ويؤدي في أحيان كثيرة إلى ممارسة العنف.
- ٣- اختلاف الزوج والزوجة في كيفية إدارة الجانب الاقتصادي للأسرة.
- ٤- تراكم الديون على الزوج، وعجزه عن سدادها، وشعوره بالقلق والاكتئاب والاضطراب نتيجة ذلك.
- ٥- شعور الأسرة بأنها أقل معيشة وحياة من الأسر الأخرى في فضائها الاجتماعي، مما قد يخلق مشاكل نفسية عند أفرادها.

هذه الصور وغيرها تشير إلى تأثير الأزمات المالية على الأسرة، وارتباط ذلك

(١) سيكولوجية العنف: المفهوم، النظرية، العلاج، د. طه عبد العظيم حسين، الدار الصولتية للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، طبع عام ١٤٢٦هـ، ص ٦٨ - ٦٩.

في أحيان عديدة بممارسة العنف ضد الزوجة وربما الأولاد أيضاً.

وقد أكد على ذلك «دراسة أجريت على المجتمع اليمني في عام ٢٠٠٢م، إذ تبين أن ١٤٪ من أسباب العنف كانت مرتبطة بالجوانب المادية والحصول على المال، وقد قضت منهن ٢٥٪ موتاً بسبب العنف، و ٦٣٪ من الحالات ينطبق عليها صفة الشروع في القتل، و ١٢٪ منها تحقق فيها الإيذاء الجسماني»^(١).

وكي لا يقع العنف بسبب قلة الدخل على الزوج أن يرتب وضعه الاقتصادي، وأن لا يجعل أموره المعيشية تسير بحسب الصدفة، وإنما يخطط لمستقبله الاقتصادي بوعي وإدراك، فقد قيل: «من لا معاش له لا معاد له».

ثم إن امتلاك الحد الأدنى من المقومات المالية هو من الأمور التي تساهم في تشكل واستمرار الحياة المشتركة العائلية. ولو حاولنا توضيح الاحتياجات الإنسانية المتنوعة بشكل هرمي، لوجدنا أن الهم المعيشي يأتي في قاعدة الهرم؛ بمعنى أن الاحتياجات الإنسانية كافة الجنسية منها والعاطفية، تأتي في خضم تأمين الحاجات المعيشية وهي متأخرة عنها في الرتبة. ولذلك نجد العديد من العائلات التي لا تتمتع بموقع اجتماعي وثقافي، حافظت على انسجامها بسبب الوضع المعيشي المقبول الذي تتمتع به. في المقابل تواجه العائلات التي لا تتمتع بوضع مالي جيد، الكثير من الأخطار والمشكلات، إلا إذا كانت تمتلك جوانب أخرى تساهم في انسجامها، كالعوامل المعنوية، وإلا فإن انفراطها أمر يقيني. وتعتبر بعض العوامل الأخرى؛ كالقمار واستعمال المخدرات أهم أسباب انحلال العائلات والميل نحو الطلاق. والسبب يعود إلى الاختلال في الوضع المعيشي الذي يحمل في طياته هذه الآثار غير المطلوبة.

وقد اهتم الإسلام بهذه القضية أيضاً، وجاء في الأحاديث أن الحصول على مستوى معيشي مقبول بمنزلة معيار أساسي لاختيار الزوجة. يضاف إلى ذلك ما عبرت عنه الكتب

(١) مواجهة ظاهرة العنف الأسري بالدول العربية. الواقع والمأمول، ورقة عمل حول ظاهرة العنف الأسري (تجربة الجمهورية اليمنية، إعداد قاسم أحمد خليل، الاسكندرية - يونيو ٢٠٠٥ م.

الفقهية بأن نفقة الزوجة من الوظائف الأساسية الملقاة على عاتق الزوج تجاه زوجته، فإذا لم يتمكن من القيام بهذه الوظيفة، وأصبح عاجزاً عن أداء هذا الحق امتلكت الزوجة حق الطلاق.

والسؤال الهام المطروح هنا هو: هل يمكن الحديث عن حد خاص للمقومات المالية التي تساهم في استقرار العائلة؟، وبعبارة أخرى: هل تجاوز هذا الحد الخاص، والحصول على إمكانات اقتصادية كبيرة يترك آثاراً سلبية في استقرار العائلة؟ وإن السبب في طرح هذا السؤال هو اعتقاد بعض الباحثين بأن الرفاه الاقتصادي حاله كالفقر الاقتصادي، يؤثر سلباً في استقرار العائلة. وتشير الدراسات في الكثير من المجتمعات الفقيرة جداً والغنية جداً، بينما تحافظ المجتمعات التي تتمتع بنمو اقتصادي متوسط على أدنى مستوى للطلاق.

من منطلق التحليل الانتزاعي يمكن القول في الجواب عن هذا السؤال: إنه يمكن التشكيك في العلاقة بين الرفاه الاقتصادي وتزلزل العائلة، إلا أن الواقع المسيطر على المجتمعات الصناعية المتقدمة الواقعة تحت سلطة الدولة المعروفة بدولة الرفاه، يؤيد هذه الفرضية؛ إذ ليس بعيداً أن تفقد العائلة ماهيتها وتتحول إلى نوع من الصداقة غير المستقرة مع ما نشاهده من آثار الرفاه الاقتصادي والاجتماعي في تغيير وظائف العائلة؛ وبالتالي انتقال هذه الوظائف إلى المؤسسات الحكومية، أو الخاصة، وتأثير ذلك في انخفاض مستوى تعلق الأفراد ببعضهم بعضاً، ومع ذلك، فإن الدقة في هذا الموضوع، والنظر إلى التعاليم الإسلامية تبين أن آثار الرفاه المرتفع في عدم استقرار العائلة يعود إلى عوامل أخرى، كغياب المبادئ الأخلاقية، ولا يمكن ادعاء أن الرفاه الاقتصادي بذاته يترك آثاراً سلبية في استقرار العائلة.^(١)

لكن من الممكن أن يكون للرفاه الاقتصادي تداعيات سلبية أخرى؛ كالإصابة بالغرور، والعُجب بالنفس، والتكبر، والرجسية الزائدة... وغيرها من الصفات التي قد تدفع بالفرد لممارسة العنف الأسري لأتفه الأسباب. فكما أن للفقر أمراضه كذلك للغنى أمراضه الخاصة به.

(١) الإسلام والأسرة، حسين بستان النجفي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م، ص ٢٦٧.

٧- العادات والتقاليد الاجتماعية

تسود لدينا بعض العادات والتقاليد الاجتماعية الخاطئة، من قبل: أن المرأة لا كلمة لها أمام زوجها، وأن الرجل يجب أن يستخدم العنف لإثبات رجولته، وأن الحوار مع الزوجة ينبع من ضعف في الشخصية... وما أشبه ذلك من أفكار تنبع من ثقافة مجتمعية خاطئة.

ولذلك يتجه بعض الأزواج لاستخدام العنف ضد زوجته، وربما كامل أفراد أسرته لإثبات أنه الرجل المسيطر والمتسلط على أفراد أسرته!!

وفي بعض الأحيان فإن مجرد شعور الرجل بأن المرأة (الزوجة) تريد أن تتحكم فيه، أو تفرض شخصيتها عليه، يؤدي به إلى استخدام كل أدوات التهديد والوعيد وربما العنف أيضاً لإثبات أنه المتحكم في الأسرة!

وبالرغم من أن بعض الناس في مجتمعنا قد لا يؤمن ببعض العادات والتقاليد الخاطئة، إلا أن الضغط الاجتماعي يجعلهم ينساقون مع البيئة الاجتماعية في الممارسة العملية مع زوجاتهم وأولادهم.

لذلك تشير بعض الدراسات إلى أن العنف الذي يستخدمه الرجل ضد المرأة ما هو إلا تعبير عن هيمنة الرجل وتبعية المرأة في النظام الاجتماعي الأبوي، ومن ثم يعد التحكم في المرأة داخل السياق الأسري أحد العوامل الحاسمة في تشجيع العنف ضد المرأة وتعرف الأبوة على أنها نسق من البناء الاجتماعي من خلاله يهيمن

الرجل على المرأة ويقهرها، وعلى هذا فإن الرجل يسيء معاملة المرأة جسماً أو نفسياً أو جنسياً اعتقاداً منه أن لديه القدرة على التحكم والسيطرة عليها وأنها تكون تابعة له.

وقد يتصور الرجل خطأ أن سعادة أسرته واستمرار بقائها مرهون بقهر المرأة أو الزوجة نفسياً وجنسياً وانفعالياً واقتصادياً، ليصبح الرجل هو المسيطر والحكم والمرأة هي الخاضعة والمحكومة، وكلما أصبح منزل الزوجية أكثر استبدادية كلما قلت تبعاً لذلك علاقات الزوجة مع الآخرين في المجتمع، وكان اعتمادها على الزوج أكثر حيث يصبح الزوج هو السند الوحيد الذي تلجأ إليه، ولذلك فإن الذي يجعل الرجل مسيئاً للمرأة هو الاعتقاد بأن له الحق في التحكم والسيطرة عليها، فالعنف ضد المرأة في ضوء ذلك يرجع إلى الحاجة إلى الهيمنة والتحكم من الرجل في المرأة.

فلا شك أن نقص التحكم والهيمنة لدى الرجل على سلوك زوجته قد يدفعه إلى ممارسة العنف ضدها، وعليه تكون العلاقة بين الرجل والمرأة في ظل النظام الأبوي القائم في المجتمع أشبه ما تكون بعلاقة العبد بسيده، وبالتالي فإن الإساءة التي تمارس ضد الزوجة تكون بدوافع القوة والهيمنة اللذين يحكمان العلاقة بين الزوج والزوجة في إطار الأسرة.

فالعنف ضد المرأة ينتشر بشكل واسع في المجتمعات الأبوية التقليدية حيث إن هذه المجتمعات تعتبر المرأة مواطناً من الدرجة الثانية، وتشجع على هيمنة وسيطرة الرجل على المرأة وعلى أن يكون الرجل أكثر قوة وعدوانية، وأن تكون المرأة تابعة وخائفة له حيث أن ثقافة المجتمع الأبوي تحدد توقعات الدور الجنسي لكل من الرجل والمرأة.

ومما لا شك فيه أن تقبل المرأة وتسامحها مع الإساءة هو نتيجة لعملية التنشئة الاجتماعية التي تفرض على المرأة أن تحترم زوجها وتقدره، وأن الرجل يمثل رمزاً للسلطة في المنزل وعليه أن يعاقب الزوجة والأطفال، وعلى هذا يرجع العنف في

الفصل الخامس: مسببات العنف الأسري

المجتمعات الشرقية ضد المرأة بشكل عميق إلى النظام الأبوي القائم في المجتمع الذي يقمع ويظلم المرأة، والذي من خلاله يلعب الرجل دور الهيمنة والسيطرة على المرأة في معظم المواقف الاجتماعية المختلفة.^(١)

ولكن للمرأة أيضاً دورها في الخنوع للرجل، أو فرض احترامها على زوجها؛ فإذا كانت شخصية المرأة قوية، ومتسلحة بالعلم والمعرفة، ولديها قدرات في التواصل الزوجي، فإنها تستطيع التغلب على الكثير من العادات والتقاليد الخاطئة، فالزواج الناجح تحكمه علاقة حميمة، لا يكون فيه موقع للعنف أو التحكم أو القهر أو السيطرة؛ وإنما التفاهم والحوار، ولغة التواصل المفتوح بين الزوجين.

(١) سيكولوجية العنف: المفهوم، النظرية، العلاج، د. طه عبد العظيم حسين، الدار الصولتية للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، طبع عام ١٤٢٦ هـ، ص ٦٧ - ٦٨

٨- كثرة الضغوط والانفعالات

لاشك أن مستوى الضغوط يؤثر على العنف، ومصدر الضغوط هو العمل والأسرة والبطالة، وعدم القدرة على العمل وزيادة عبء ومطالب العمل إلى جانب الظروف الاقتصادية، فلا شك أن تعرض الرجل لقدر كبير من الضغوط والإحباطات، قد يؤدي إلى الشعور بالفشل في إشباع حاجاته وتحقيق أهدافه، مما يزيد ذلك من احتمالية ممارسته للعنف بوصفه وسيلة للتخلص من التوترات الناتجة عن هذه الضغوط، فالرجل الذي تحاصره الضغوط الشديدة يسهل استثارتها انفعالياً، ومن ثم يصعب عليه التحكم في انفعالاته مما يدفعه ذلك إلى ممارسة العنف، فالتحكم في العنف يرتبط بزيادة قدرة الفرد على التحكم في انفعالاته.

ولقد أوضحت الدراسة التي قام بها (Hotaling & Sugrman ١٩٨٦) أن الضغوط وحدها لا تسهم في إساءة معاملة المرأة بل عوضاً عن ذلك فإن الضغوط تتفاعل مع متغيرات أخرى من قبيل تعاطي المخدرات والكحوليات، والتعرض للعنف في الطفولة، وانخفاض الدخل والفقر والبطالة، وكلها عوامل تسهم في حدوث العنف ضد المرأة.

ويؤكد (Farrington ١٩٨٦) على أن الضغوط تمثل عامل مهم في العنف ضد المرأة داخل السياق الأسري، إذ أن زيادة مستوى الضغوط يؤدي إلى استخدام العنف بوصفه استجابة مقبولة، وعلى هذا فإن الأسر التي تعاني كثيراً من الصراعات والضغوط ينتشر فيها العنف، وأن هناك مصادر عدة للضغوط وهي العمل والأسرة

والبطالة وعدم الاستقرار في العمل ومطالب العمل المتزايدة كلها تضع الرجل في مواقف ضاغطة، وكذلك الظروف الاقتصادية، فالرجل المسيء أو المعتدي يعيش مستوى مرتفع من الضغوط في العمل، وأيضاً صراعات في الأسرة ونقص في الدخل، كما أن عدم الاستقرار الانفعالي يجعله يفقد التحكم في أعصابه، فالغضب والإحباط يؤديان إلى السلوك العنيف.

ولقد وجد (Straus ١٩٩٥) أن الرجال الذين يعانون مقداراً قليلاً من الضغوط يكون لديهم مستوى منخفض من ارتكاب العنف، أما الرجال الذين يعانون مستويات مرتفعة من الضغوط يكونون أكثر عنفاً وعدوانية، ومع هذا لا يعتبر العنف نتيجة ضرورية للضغوط ضد المرأة، أي أن الضغوط قد تسهم في حدوث العنف ضد المرأة ولكنها غير كافية وحدها في حدوث العنف، إذ أنها واحدة من سلسلة من العوامل التي تسهم في حدوث العنف.^(١)

لكن ارتفاع معدل الضغوط وزيادة مستوى الانفعالات عند الإنسان ينعكس بصورة سلبية على سلوكياته وتصرفاته، فيتحول مع مرور الوقت إلى إنسان عنيف نتيجة لتراكم الضغوط والانفعالات، في حين أن الشخص المرتاح نفسياً، والذي يعيش ضغوطاً أقل، وانفعالات بسيطة يكون قادراً على التحكم بتصرفاته، وحكماً في سلوكياته، وقوياً في كلامه ومنطقه.

(١) سيكولوجية العنف: المفهوم، النظرية، العلاج، د. طه عبد العظيم حسين، الدار الصولتية للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، طبع عام ١٤٢٦هـ، ص ٥٩ - ٦٠.

٩- استفزات الزوجة

قد يكون سلوك الزوجة ذات طبيعة استفزازية يستثير عنف الرجل، فمثلاً تهينه وتقلل من شأنه وتجادله في حضور الآخرين مما يجعله يفقد احترامه ومكانته وتقديره لذاته هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى قد يكون نمط شخصية الزوجة من النوع العنيد إذ ترفض الإذعان لأوامر الزوج وتمتنع عن الجماع معه وتعصي أوامره، أو قد تقيم علاقات غير مشروعة مع رجل آخر أو تتعامل مع رجال آخرين بشكل يثير الشك في نفس الزوج، كل هذا قد يدعوه إلى ضربها، أو أنها تميل إلى الثرثرة وكثرة الكلام حينما يريد الصمت أو العكس فقد تميل إلى الصمت عندما يريد التحدث معها، فالمرأة المستفزة والتي تشجع على العنف وتستمتع بالعنف الصادر ضدها قد يكون ذلك راجعاً إلى اضطراب في شخصيتها، فقد تكون ذات شخصية ماسوشية، فالرغبة اللاسوية في العقاب لديها تؤدي بها إلى أن تصبح اعتمادية ومدمرة للذات.

كما أن شخصية الزوجة أيضاً قد تسهم في حدوث العنف ضدها، فالمرأة التي تكون منطوية وانسحابية وتشعر بالسلبية والعجز إذا لم يصدر عنها أي استجابات إزاء الاعتداءات السابقة والحالية عليها من الزوج، قد يجعل الزوج يستمر في الاعتداء عليها لما يجنيه من مكاسب من وراء اعتدائه عليها. كما أن نقص المكانة الاجتماعية ونقص السلوك التوكيدي لديها وانخفاض توكيد الذات لديها، كل هذا يجعل المرأة أكثر تعرضاً للعنف ويشجع الرجل على ضربها، فلقد أوضحت

الدراسات أن النساء المساء معاملتهن يتصفن بالاكتئاب وانخفاض تقدير الذات ويعانين من الشعور بالعجز.

ويؤكد ذلك نتائج الدراسات التي قام بها (Dobash، ١٩٧٩)، (١٩٨٦) Rosweter (١٩٨٤) Walker، والتي توصلت إلى أن النساء اللاتي يتم الاعتداء عليهن ويمارس العنف ضدهن يتصفن بالغيرة والاكتئاب وانخفاض تقدير الذات، وأنهن أكثر تعاطياً للمخدرات مقارنة بالنساء التي لا يتم الاعتداء عليهن أو ضربهن.

ولقد قام Hostings & Hamberger (١٩٨٦، ١٩٨٨، ١٩٩١) بدراسة العلاقة بين السيكوباتولوجية^(١) وتعاطي المخدرات والعنف الأسري، ولقد أوضحت نتائج الدراسة أن بروفيل الشخصية لدى النساء المضروبات يوضح أنهن يعانين من اضطرابات نفسية ويشعرن بعدم الارتياح، وأقل مواجهة للعنف، ويعانين من مشكلات وجدانية ومعرفية، وأن النساء اللاتي يتعاطين الكحوليات لديهن مستويات مرتفعة من السيكوباتولوجية (المرض النفسي) مقارنة بالنساء الأخريات اللاتي لم تتعاط الكحوليات.

وأوضحت الدراسة التي قام بها Walker (١٩٨٤) أن النساء المضروبات يكون مركز الضبط لديهن خارجي، وتوصلت أيضاً نتائج الدراسة التي قام بها Neiding et al (١٩٨٦) إلى عدم وجود فروق بين النساء المضروبات وغير المضروبات على مقاييس الإمباتية والدوجماتية والتسلطية، وعلى هذا يمكن القول أن خصائص الضحية وسلوكها قد يزيد من تعرضها للعنف والإساءة، وأن الزوجة عندما تكون استفزازية أو اندفاعية فإن هذا يجعل الزوج يسلك نحوها بعنف، فالاستثارة الانفعالية غالباً ما تكون عنصراً هاماً في حدوث العنف.^(٢)

(١) المرض النفسي.

(٢) سيكولوجية العنف: المفهوم، النظرية، العلاج، د. طه عبد العظيم حسين، الدار الصولتية للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، طبع عام ١٤٢٦هـ، ص ٦٩ - ٧٠.

ومن هنا على المرأة الواعية أن تتجنب استدراج زوجها لممارسة العنف ضدها عبر إتقان فن التعامل مع زوجها، ومعرفة المفاتيح التي تجعله يرضى أو يغضب، وتعلم مهارات التواصل الزوجي حتى تستطيع كسب قلب زوجها.

أما الزوجة التي تجادل زوجها في كل شيء، وتمارس العناد معه، وتستفز مشاعره بمناسبة وبغير مناسبة، وترفع من وتيرة الهيجان والغضب عند زوجها، فعليها أن تنتظر الصفعات واللكمات والضرب من زوجها المُستفز!!

وإن كان خطأ الزوجة يجب أن لا يبرر وقوع الزوج في أخطاء أخرى، إلا أن هذا ما يحدث في غالب الأحيان، إذ يستعرض الزوج كل عضلاته الرجولية للقضاء على استفزازات الزوجة المستمرة، وهو الأمر الذي يحول الحياة الزوجية إلى اضطراب ومشاكل بدل أن تكون عامل سكون واستقرار ومودة ومحبة.

١٠- تعدد الزوجات

إن تعدد الأزواج من العوامل المؤثرة في استقرار العائلة، أما مقدار هذا التأثير، فيعود إلى درجة رفض الثقافات المتنوعة لذلك. وقد ذهب بعضهم إلى أن تعدد الزوجات من الأمور التي تؤدي إلى ظهور مشاحنات عائلية كثيرة. وقد أقرت المجتمعات بعدم التجانس بين الزوجات في البيت الواحد؛ وذلك باعتبار أن للمرأة رغبة في حصر محبة الزوج بها، وأن تقوم بدور السيدة الوحيدة في العائلة بحيث لا ينافسها أحد، هذا من جهة، ومن جهة أخرى؛ ضيق الإمكانيات وعدم قدرة الزوج على العدالة المتوقعة، كل هذه الأمور تشكل الدافع الأساس لكون الزوجة الواحدة من العوامل التي تؤثر في مسيرة ثبات واستقرار العائلة. نعم، موضوع تعدد الزوجات لا يخالف الميل الطبيعي للرجل، وكثيراً ما يظهر رغبة وميلاً نحوه، لكن بعض الموانع الفردية والاجتماعية تجعل تحقيقه أمراً شديداً الصعوبة إلا في بعض الحالات الخاصة. وعلى هذا لا يمكن اعتبار تعدد الزوجات خياراً عادياً، بقدر ما هو خيار استثنائي، وفي الماضي فإن أموراً كالوضع الاقتصادي والاجتماعي المتدهور لعبت دوراً في عدم شيوع هذه الظاهرة. وأحياناً قد تقدم صورة مبالغاً فيها في تشويه نماذج التعدد الزوجي، بحيث يتم التغافل عن النماذج الناجحة التي كشفت عنها الأبحاث الإناسية، أو التجارب الفردية في هذا الخصوص. مما لا شك فيه أن تعدد الزوجات يؤدي في بعض الأحيان إلى حل المشكلات الجدية في العائلة؛ وهناك العديد من النماذج، كانت الزوجة الأولى هي التي تهيم الأرضية المناسبة للزوج الثاني، ومع ذلك، لا يمكن إنكار دور الزوجة الواحدة في تهيئة

جميع ظروف الحياة الخالية من أي تعارضات أو مشكلات، وبالتالي امتلاك الزوجين أكبر قدر من الحياة المشتركة السليمة.

ولقد أجاز النظام الحقوقي الإسلامي تعدد الزوجات إذا ما روعيت بعض الشروط، إلا أن هذا العمل المجاز لم يلق رواجاً واسعاً في الخارج، بالأخص في العصر الراهن؛ بسبب ما طرأ على هذه المجتمعات من تغيرات على المستويات الاقتصادية والاجتماعية، فسارت الأمور باتجاه تكريس حالة الزوجة الواحدة.

وعلى كل حال، فإن تعدد الزوجات في الإسلام المشروط بالتمكين المالي ومراعاة العدالة، بين الزوجات لا يترك آثاراً سلبية على استقرار العائلة إذا ما روعيت فيه الضوابط الأخلاقية؛ وفي هذا الخصوص يقول الأستاذ مطهري:

«تتحرك الحياة بين الرجل والمرأة بشكل عادي، إلى أن يقع الرجل في هوى امرأة أخرى، ويبدأ التفكير في تعدد الزوجات. وبعد مواعيد وأحاديث تدخل الزوجة الثانية بيت الأولى كالأجل المعلق، لتخطف الرجل وحياته. ومن الواضح أن ردة فعل الزوجة الأولى لن يكون سوى الكراهية والانتقام وليس شيئاً آخر. لا يوجد أي شيء أسوأ عند المرأة من احتقار زوجها إياها، وإن أعظم خسارة عند المرأة هي عندما تشعر بأنها لم تتمكن من أسر قلب الرجل، لا بل تلاحظ بأم عينها وجود زوجة أخرى قد أخذته منها، ولا يمكن أن نتوقع التواضع من الزوجة الأولى مقابل أعمال الرجل وزوجته الثانية المثيرة للانفعال، أما لو علمت الزوجة الأولى أن زوجها يمتلك مبرراً لزوجته، وأن زواجه الثاني لا يعني بأي حال من الأحوال الانصراف عنها، فإن مقدار احترامها ومحبتها للزوجة الثانية سيزداد، على أساس أن هذا الزواج لم يقم على الأهواء والميول الاستبدادية. وإذا ما علمت الزوجة الثانية أن للأولى حقوقاً محترمة، لا يجوز الاعتداء عليها، فإن الكثير من الاختلافات الداخلية ستزول؛ لأن الزواج الثاني كان يندرج في إطار حل مشكلة اجتماعية»^(١).

(١) الإسلام والأسرة، حسين بستان النجفي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م، ص ٢٦٥ - ٢٦٧.

لكن ذلك مشروط بثقافة الزوجة الأولى ووعيها بذلك، وأما عندما لا تملك الزوجة الأولى هذه الثقافة فإن ما يحدث غالباً هو الاضطراب العائلي، وحصول حوادث عنف بمختلف أشكاله وأنواعه، بل قد يصل الأمر إلى قتل الزوج أو إخصائه أو قطع عضوه الذكري كما حصل بالفعل في العديد من القصص نتيجة لزوجها بامرأة أخرى.

وتعدد الزوجات الذي أباحه الله عز وجل للرجل مع اشتراط العدالة، والقدرة على النفقة كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾^(١)، قد أصبح وكأنه خطيئة يرتكبها الرجل نتيجة للثقافة المستوردة من خارج إطار (الثقافة الإسلامية) فأصبح تعدد الزوجات - الذي له حكم كثيرة - سبباً رئيساً من أسباب العنف الأسري في المجتمعات الحديثة.

ونظراً لما يرافق تعدد الزوجات في بعض الأحيان من أخطاء يرتكبها الزوج كإهمال الزوجة الأولى، وعدم الإنفاق عليها، وغياب العدالة؛ يؤدي كل ذلك وبدافع الانتقام والغيرة إلى حدوث أعمال عنف أسري قد تكون بسيطة أو خطيرة.

خلاصة القول

إن وجود العنف الأسري يشير إلى وجود مشكلة حقيقية بين الزوجين، أو بين أحدهما والأولاد أو بينهم وبين أحد الوالدين. ولا بد من معرفة وتشخيص المشكلة كي يمكن حلها، والقضاء عليها قبل أن تتفاقم المشكلة وتتحول إلى مرض مزمن.

إن على كل أسرة أن تشجع أجواء المحبة والمودة بين أفرادها، وأن تزرع بذور التفاهم والتحاور في الحياة الزوجية والعائلية، وأن يراعي كل فرد من أفراد الأسرة مشاعر الآخرين واحتياجاتهم العاطفية والنفسية، وعندئذ فقط يكون (الحب) شعار العائلة، والتفاهم راية الأسرة، ومن ثم لا مكان للعنف بينهم، ولا موقع للتسلط

(١) سورة النساء، الآية: ٣.

والكبت لديهم.

أما عندما تنقلب المحبة إلى كراهية والتفاهم إلى صراخ، والحوار إلى عويل، والديمقراطية إلى دكتاتورية، ورعاية المشاعر إلى حب الانتقام، والاحترام إلى التحقير، عندئذ لا عجب أن نرى العنف هو اللغة السائدة بين أفراد الأسرة!

ولكي نحول دون ذلك، لنجعل بيوتنا مكاناً للرحمة والمودة والمحبة، ولنرفع شعار الاحترام والحب والتقدير فيما بين أفراد العائلة، وليكن التحوار والتفاهم هي اللغة السائدة في بيوتنا، عندها ستتحول بيوتنا إلى منتجعات للراحة والمحبة والمودة والسكينة كما في قوله تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١).

الفصل السادس

تأثير وآثار الضرب

مدخل

يكثُر في مجتمعاتنا العربية وكذلك في المجتمعات الغربية الأخرى استخدام أسلوب الضرب في الخلافات الزوجية، وكذلك في عدم الرضا عن سلوك الأَوْلاد، ويتصور كثير من الناس أن أفضل أسلوب للتربية وحل المشاكل هو استخدام العصا الغليظة، وهذا من أكبر الأخطاء الشائعة في مجال التربية وتعديل السلوك.

وقد أثبتت الدراسات العلمية العديدة على خطأ استخدام الضرب في التربية، أو حل المشاكل، بل العكس هو الصحيح، فالضرب يعقد المشاكل في الحياة الزوجية، ولا يساهم في تربية الأَوْلاد، بل يترتب عليه آثار مدمرة في حياة ومستقبل الأَوْلاد.

فالضرب يؤدي إلى تحطيم الشخصية، وجرح المشاعر والأحاسيس، وموت العواطف بين الضارب والمضروب، والعيش داخل المنزل بنكد وقلق واضطراب، بينما يجب أن يتحول المنزل إلى مكان للرحمة والراحة، ومأوى للدفع العاطفي والروحي، وموقع للحياة الهادئة.

لذلك كله، نهى الإسلام عن استخدام الضرب، فقد ورد عن الرسول الأعظم ﷺ أنه قال: «إني أتعجب ممن يضرب امرأته وهو بالضرب أولى منها»^(١) وقوله ﷺ أيضاً: «أيضاً: «أيضرب أحدكم المرأة ثم يظل يعانقها»^(٢)، وقوله ﷺ أيضاً «لا يجلد

(١) بحار الأنوار، ج ١٠٠، ص ٢٤٩، رقم ٣٨.

(٢) الوسائل، الحر العاملي، ج ٢٠، ص ١٦٧، رقم ٢٥٣٢٣.

العنف الأسري

أحدكم امرأته جلد العبد، ثم يجامعها في آخر اليوم»^(١) وقال الإمام علي عليه السلام فيما أوصى ابنه الحسن عليه السلام: «لا يكن أهلك أشقى الخلق بك»^(٢) وأمر الزوج باحترام زوجته، وحث على إكرام المرأة والرفق بها، كما ورد عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله أنه قال: «اتقوا الله في الضعيفين: اليتيم والمرأة، فإن خياركم خياركم لأهله»^(٣) وقال الإمام علي عليه السلام: «المرأة ريحانة وليست قهرمانة»^(٤).

فالاعتداء على الزوجة وإهانتها وضربها يتناقض مع تعاليم الإسلام بالإحسان إليها وإكرامها.

كما أن تعاليم الإسلام تنهى أيضاً عن ضرب الأطفال، فعلاوة على الروايات في المنع من ضرب الأطفال، أفتى الفقهاء المسلمون في القرون الماضية بحرمته ذلك في رسائلهم العملية التي تعد المناهج اليومية لعمل المسلمين. «قال بعضهم: شكوت إلى أبي الحسن موسى عليه السلام ابنألي، فقال: «لا تضربه واهجره ولا تطل»^(٥) ففي هذا الحديث نجد أن الإمام يمنع من ضرب الطفل بصراحة، مستفيداً من العقوبة العاطفية بدلاً من العقوبة البدنية. فالأب هو الملجأ الوحيد للطفل ومعقد آماله، وإن هجره للولد أكبر عقوبة روحية ومعنوية. إنه عليه السلام يطلب من الوالد أن يهجر الولد ولكنه سرعان ما يوصيه بعدم طول مدة الهجر، ذلك أنه إذا كان لهجر الوالد أثر عميق في روح الطفل فإن طول مدته يبعث على تحطيم روحيته، وإذا كان أثر هذا الهجر ضعيفاً فإن شخصية الوالد ستصغر في نظر الطفل لطول مدة الهجر وسوف لا يكون لتألم الوالد أثر أصلاً.

إن للعقوبات التي ترجع فيها الوسائل العاطفية والأخلاقية على الوسائل المادية

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب ما يكره من ضرب النساء، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، طبع عام ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، ص ٩٥٧، رقم ٥٢٠٤.

(٢) بحار الأنوار، ج ٧١، ص ١٦٨، رقم ٣٥.

(٣) بحار الأنوار، ج ٧٦، ص ٢٦٨، رقم ٥.

(٤) فروع الكافي، الشيخ الكليني، ج ٥، ص ٥١٠، رقم ٣.

(٥) بحار الأنوار، ج ١٠١، ص ٩٩، رقم ٧٤.

الفصل السادس: نتائج وآثار الضرب

تأثيراً كبيراً، ففي مثل هذه العقوبات بدلاً من أن يحرم الطفل من الماديات يجب السعي للتأثير في قلبه ونفسه ووجدانه وعزته وغروره، فإن لم ترتبط المحرومات المادية مع مشاعره وعواطفه فإنها تفقد طابع العقوبة^(١) وفي هذا الصدد يقول الإمام علي عليه السلام: «إن العاقل يتعظ بالأدب والبهايم لا تتعظ إلا بالضرب»^(٢).

وكما لا يجوز للآب أن يضرب أولاده كذلك لا يجوز للمعلمين ضرب تلاميذهم في المدارس، كما أفتى بذلك مجموعة من الفقهاء، ومنهم: السيد الخوئي ثقف: فقد أجاب على السؤال التالي: ما هي الحدود التي يجوز ضرب التلاميذ في المدرسة؟ وهل يجب أخذ إذن ولي أمر التلميذ؟

أجاب ثقف بما نصه: «لا يجوز ضربهم إلا لدى إيذائهم الآخرين وإخلالهم بنظام المدرسة أو ارتكابهم محرماً فحينئذ يجوز ضربهم بإذن الولي بمقدار خمسة أسواط أو ستة برفق بحد لا يستوجب الدية» وأضاف لجوابه الشيخ جواد التبريزي ثقف: «هذا إذا كانوا صغاراً وأما الكبار فيحتاج إلى إذن الحاكم الشرعي في منعهم عن المنكر أو الإخلال بالنظام»^(٣).

فالضرب في حد نفسه محرم إلا في حالات استثنائية وبهدف التأديب والتربية والتوجيه، كما لو ارتكب الطفل محرماً من المحرمات أو ما أشبه ذلك.

مفهوم التعدي بالضرب

التعدي بالضرب مصطلح قانوني يشمل التهديد والتعذيب البدني. فالضرب يجعل الضحية تعيش في خوف من العنف المباشر. وقد يُطلق هذا المصطلح على التهديد الشفهي، كما يُطلق على رفع العصا أو التهديد بقبضة اليد حتى وإن لم يعقب

(١) الطفل بين الوراثة والتربية، الشيخ محمد تقي فلسفي، دار المعارف للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م، ج ١، ص ٣٩٣ - ٣٩٤.

(٢) بحار الأوار، ج ٦٨، ص ٣٢٨، رقم ٢٥.

(٣) صراط النجاة في أجوبة الاستفتاءات، السيد الخوئي والشيخ التبريزي، مكتبة فذك، قم - إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ج ٢، ص ٣٨٤، سؤال رقم ١٢٥٤.

المَصَاحِبُ ﴿١﴾، وبهذا الموقف والهجر وعدم المبالاة بالزوجة أظهروا عدم الرضا من الزوجة، لعل هذا الموقف الخفيف يؤثر في أنفسهن.

٣- الضرب:

وأما إذا تجاوزن في عصيانهن، والتمرد على واجباتهن ومسؤولياتهن الحد، ومضين في طريق العناد واللجاج دون أن يرتدعن بالأساليب السابقة، فلا النصيحة تفيد، ولا العظة تنفع، ولا الهجر ينجح، ولم يبق من سبيل إلا استخدام العنف، فحينئذ يأتي دور الضرب، ﴿وَأَضْرِبُوهُنَّ﴾ لدفعهن إلى القيام بواجباتهن الزوجية لانحصار الوسيلة في هذه الحالة في استخدام شيء من العنف، ولهذا سمح الإسلام في مثل هذه الصورة بالضغط عليهن ودفعهن إلى القيام بواجباتهن من خلال التنبيه الجسدي. (١)

ويمكن أن يعترض معترض في هذا المقام قائلاً: كيف سمح الإسلام للرجال بأن يتوسلوا بأسلوب التنبيه الجسدي المتمثل بالضرب؟

إن الجواب على هذا الاعتراض يبدو غير صعب بملاحظة معنى الآية والروايات الواردة لبيان مفادها وما جاء في توضيحها في الكتب الفقهية، وأيضاً بملاحظة ما يعطيه علماء النفس اليوم من توضيحات علمية في هذا المجال، ونلخص بعض هذه الأمور في نقاط:

أولاً: إن الآية تسمح بممارسة التنبيه الجسدي في حق من لا يحترم وظائفه وواجباته، الذي لا تنفع معه أية وسيلة أخرى، ومن حسن الصدق أن هذا الأسلوب ليس بأمر جديد خاص بالإسلام في حياة البشر، فجميع القوانين العالمية تتوسل بالأساليب العنيفة في حق من لا تنجح معه الوسائل والطرق السلمية لدفعه إلى تحمل مسؤولياته والقيام بواجباته، فإن هذه القوانين ربما لا تقتصر على وسيلة

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة البعثة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ١٩٩٢م، ج ٣، ص ١٩٤ - ١٩٥.

الضرب، بل تتجاوز ذلك - في بعض الموارد الخاصة - إلى ممارسة عقوبات أشد تبلغ حد الإعدام والقتل.

ثانياً: إن التنبيه الجسدي المسموح به هنا يجب أن يكون خفيفاً، وأن يكون الضرب ضرباً غير مبرح، أي لا يبلغ الكسر والجرح، بل ولا الضرب البالغ حد السواد كما هو مقرر في الكتب الفقهية.

ثالثاً: إن علماء التحليل النفسي - اليوم - يرون أن بعض النساء يعانين من حالة نفسية هي «المازوشية» التي تقتضي أن ترتاح المرأة لضربها وأن هذه الحالة قد تشتد في المرأة إلى درجة تحس باللذة والسكون والرضا إذا ضربت ضرباً طفيفاً.

وعلى هذا يمكن أن تكون هذه الوسيلة ناظرة إلى مثل هؤلاء الأفراد الذين يكون التنبيه الجسدي الخفيف بمثابة علاج نفسي لهم.

ومن المسلم أن أحد هذه الأساليب لو أثر في المرأة الناشزة ودفعها إلى الطاعة، وعادت المرأة إلى القيام بوظائفها الزوجية لم يحق للرجل أن يتعلل على المرأة، ويعمد إلى إيذائها، ومضايقتها حتى تعود إلى جادة الصواب والاستقامة في سلوكها ولهذا عقب سبحانه على ذكر المراحل السابقة بقوله: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً﴾.

ولو قيل: إن مثل هذا الطغيان والعصيان والتمرد على الواجبات الزوجية والعائلية قد يقع من قبل الرجال أيضاً، فهل تشمل هذه المراحل الرجال أيضاً؟ أي يمكن ممارسة هذه الأمور ضد الرجل كذلك، أم لا؟

نقول في الإجابة على ذلك: نعم إن الرجال العصاة يعاقبون حتى بالعقوبة الجسدية أيضاً - كما تعاقب النساء العاصيات الناشزات - غاية ما هنالك أن هذه العقوبات حيث لا تيسر للنساء، فإن الحاكم الشرعي مكلف بأن يذكر الرجال المتخلفين بواجباتهم ووظائفهم بالطرق المختلفة وحتى بالتعزير (الذي هو نوع من العقوبة الجسدية).

وقصة الرجل الذي أجحف في حق زوجته ورفض الخضوع للحق، فعمد الإمام علي عليه السلام إلى تهديده بالسيف وحمله على الخضوع معروفة، ثم أن الله سبحانه ذكر الرجال مرة أخرى في ختام الآية بأن لا يسيئوا استخدام مكانتهم كقيميين على العائلة فيجحفوا في حق أزواجهم، وأن يفكروا في قدرة الله التي هي فوق كل قدرة^(١) ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾.

نستنتج مما سبق بيانه: أنه لا يجوز للزوج ضرب زوجته إلا في مورد واحد وهو النشوز فقط، ففي حالة نشوز الزوجة يجب التدرج في العقوبة كما في الآية الكريمة ففي البداية ينبغي النصح والموعظة وإن لم ينفع فهجران المضجع وإن لم ينفع فالضرب غير المبرح أي من دون قطع لحم أو كسر عظم أو اسوداد في الجلد.

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة البعثة، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ-١٩٩٢م، ج٣، ص ١٩٥-١٩٧.

الضرب في الفقه الإسلامي

أولاً - رأي المذاهب الأربعة في الضرب

اتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ عَلَى أَنَّ مِمَّا يُدَبُّ بِهِ الرَّجُلُ رَوْجَتُهُ عِنْدَ نُسُوزِهَا الضَّرْبُ^(١) لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُسُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ﴾^(٢).

وَالْفُقَهَاءُ تَفْصِيلٌ فِي كَيْفِيَةِ الضَّرْبِ وَمَا يَلْزَمُ تَوَافُرُهُ لِمُبَاشَرَتِهِ.

فَاسْتَرَطَ الْفُقَهَاءُ فِي ضَرْبِ التَّأْدِيبِ الْمَشْرُوعِ إِنْ نَشَزَتِ الزَّوْجَةُ: أَنْ يَكُونَ الضَّرْبُ غَيْرَ مُدْمٍ وَلَا مُبْرِحٍ وَلَا شَائِنٍ وَلَا مُخَوِّفٍ، وَهُوَ الَّذِي لَا يَكْسِرُ عَظْمًا وَلَا يَشِينُ جَارِحَةً كَاللِّكْرَةِ وَنَحْوِهَا، لِأَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْهُ الصَّلَاحُ لَا غَيْرَ.

وَقَالُوا: الضَّرْبُ الْمُبْرِحُ هُوَ مَا يَعْظُمُ أَلْمَهُ عُرْفًا، أَوْ مَا يُخْشَى مِنْهُ تَلَفُ نَفْسٍ أَوْ عَضْوٍ، أَوْ مَا يُورِثُ شَيْئًا فَاحِشًا، أَوْ الشَّدِيدُ، أَوْ الْمُؤَثِّرُ الشَّقِيقُ، قَالَ بَعْضُهُمْ: لَعَلَّهُ مِنْ بَرَحِ الْخَفَاءِ إِذَا ظَهَرَ، وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: اتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَحَدْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئَنَّ فُرُوسَكُمْ أَحَدًا تَكَرَّهْتُمْ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ^(٣).

(١) بَدَائِعُ الصَّنَائِعِ ٢ / ٣٣٤، وَالشَّرْحُ الْكَبِيرُ ٢ / ٣٤٣، وَرَبَايَةِ الْمُحْتَاجِ ٦ / ٣٨٣، وَكَشَافُ الْقِنَاعِ

٢٠٩ / ٥

(٢) سُورَةُ النِّسَاءِ / ٣٤

(٣) حَدِيثٌ: « اتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ . . . » أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢ / ٨٨٩ - ٨٩٠ ط عَيْسَى الْحَلَبِيِّ) مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ.

وَنَصَّ الْمَالِكِيَّةُ وَالشَّافِعِيَّةُ عَلَى أَنَّ النَّاشِزَةَ إِنْ لَمْ تَنْزِرْ وَتَدَعَ النُّشُوزَ إِلَّا بِالضَّرْبِ الْمُبْرَحِ أَوْ الْخَوْفِ لَمْ يَجْزُ لِرُؤُوسِهَا تَغْيِيرُهَا لَا بِالضَّرْبِ الْمُبْرَحِ وَلَا بغيرِهِ، قَالَ الدَّرْدِيرُ: لَا يَجُوزُ الضَّرْبُ الْمُبْرَحُ وَلَوْ عَلِمَ أَنَّهَا لَا تَتْرُكُ النُّشُوزَ إِلَّا بِهِ، فَإِنْ وَقَعَ فَلَهَا التَّطْلِيقُ عَلَيْهِ وَالْقِصَاصُ^(١)

ونص الشافعية والحنابلة على تفصيل في هيئة الضرب:

فَقَالَ الشَّافِعِيُّ: لَا يَضْرِبُ الزَّوْجُ امْرَأَتَهُ الَّتِي تَحَقَّقَ نُشُوزُهَا عَلَى الْوَجْهِ وَالْمَهَالِكِ، قَالَ ابْنُ حَجْرٍ الهيثمي: فِي الْحَدِيثِ النَّهْيُ عَنِ ضَرْبِ الْوَجْهِ، فَعِن مَعَاوِيَةَ الْقَشْرِيِّ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا حَقُّ زَوْجَةِ أَحَدِنَا عَلَيْهِ؟ قَالَ: أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ أَوْ اكْتَسَبْتَ وَلَا تَضْرِبَ الْوَجْهَ وَلَا تُقَبِّحَ، وَلَا تَهْجُرَ إِلَّا فِي الْبَيْتِ^(٢)، وَقَالَ الْهَيْتَمِيُّ: لَا تَضْرِبُ إِلَّا فِي الْبَيْتِ، وَيُفَرِّقُهَا عَلَى بَدَنِهَا، وَلَا يُؤَالِيهِ فِي مَوْضِعٍ لَيْثًا يَعْظَمُ صَرْزَهُ، وَقَالُوا: لَا يَلْبُغُ ضَرْبُ حُرَّةٍ أَرْبَعِينَ وَعِغْرَهَا عِشْرِينَ.^(٣)

وَقَالَ الْحَنَابِلَةُ: يَجْتَنِبُ الْوَجْهَ تَكْرِمَةً لَهُ، وَالْبَطْنَ وَالْمَوَاضِعَ الْمَخُوفَةَ خَشْيَةَ الْقَتْلِ، وَالْمَوَاضِعَ الْمُسْتَحْسَنَةَ لَيْثًا يُشَوِّهَهَا، وَيَكُونُ الضَّرْبُ عَشْرَةَ أَسْوَاطٍ فَأَقْلُ^(٤).

لِقَوْلِهِ ﷺ: لَا يُجْلَدُ أَحَدٌ فَوْقَ عَشْرَةِ أَسْوَاطٍ إِلَّا فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ^(٥).

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ فِي الْأَوْجِهِ الْمُعْتَمَدَةِ عِنْدَهُمْ وَالْحَنَابِلَةُ فِي الْمَذْهَبِ: إِنْ لِلزَّوْجِ أَنْ يُؤَدِّبَ زَوْجَتَهُ إِنْ نَشَرَتْ بِضَرْبِهَا بِسَوْطٍ أَوْ عَصَا ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرَحٍ وَلَا مُدْمٍ وَلَا سَائِنٍ.

(١) نهاية المحتاج ٦ / ٣٨٣، ومغني المحتاج ٣ / ٢٦٠، وحاشية الشرفاوي على شرح التحرير ٢ / ٢٨٦، والزواجر عن افتراء الكبائر ٢ / ٤٣، وكشاف القناع ٥ / ٢٠٩.

(٢) حديث معاوية القشيري: «ما حق زوجه أحدنا...» أخرجه أبو داود (٢ / ٦٠٦ ط حنص) وأحمد (٥ / ٣ ط الميمية)، والحاكم (٢ / ١٨٨) واللفظ لأبي داود، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٣) روضة الطالبين ٧ / ٣٦٨، ونهاية المحتاج ٦ / ٣٨٣، ومغني المحتاج ٣ / ٣٦٠، والزواجر عن افتراء الكبائر ٢ / ٤٣. (٢).

(٤) كشاف القناع ٥ / ٢٠٩ - ٢١٠.

(٥) حديث: «لا يجلد أحد فوق عشرة أسواط...» أخرجه مسلم (٢ / ١٣٣٣ ط عيسى الحلبي) من حديث أبي بردة.

وَقَالَ الْمَالِكِيُّ وَبَعْضُ الشَّافِعِيِّ وَالْحَنَابِلَةُ: يُؤَدَّبُهَا بِضَرْبِهَا بِالسَّوَالِكِ وَنَحْوِهِ أَوْ بِمَنْدِيلٍ مَلْفُوفٍ أَوْ بِيَدِهِ، لَا بِسَوْطٍ وَلَا بِعَصَا وَلَا بِخَشَبٍ، لِأَنَّ الْمَقْصُودَ التَّأْدِيبَ^(١).

وَنَصَّ الشَّافِعِيُّ وَالْحَنَابِلَةُ عَلَى أَنَّ الزَّوْجَ - إِنْ جَازَ لَهُ الضَّرْبُ لِتَأْدِيبِ امْرَأَتِهِ لِنُشُوزِهَا - فَالْأَوْلَى لَهُ الْعَقُوبُ لِأَنَّ الْحَقَّ لِنَفْسِهِ وَلِمَصْلَحَتِهِ، قَالَ الشَّافِعِيُّ: تَرَكَ الضَّرْبَ بِالْكُلِّيَّةِ أَفْضَلَ، وَقَالَ الْحَنَابِلَةُ: الْأَوْلَى تَرَكَ ضَرْبَهَا إِبْقَاءَ لِلْمَوَدَّةِ^(٢).

وَفِي ضَرْبِ الْمَرْأَةِ لِلنُّشُوزِ قَالَ الْمَالِكِيُّ: لَمْ يَأْمُرِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي شَيْءٍ مِنْ كِتَابِهِ بِالضَّرْبِ صَرَاحَةً إِلَّا هُنَا - أَي الضَّرْبِ لِلتَّعْزِيرِ عَلَى النُّشُوزِ - وَفِي الْحُدُودِ الْعِظَامَ، فَسَاوَى مَعْصِيَتَهُنَّ بِأَزْوَاجِهِنَّ بِمَعْصِيَةِ الْكِبَائِرِ.

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: لَيْسَ لَنَا مَوْضِعٌ يَضْرِبُ الْمُسْتَحِقُّ فِيهِ مَنْ مَنَعَهُ حَقَّهُ غَيْرَ هَذَا، وَالرَّقِيقُ يَمْتَنِعُ مِنْ حَقِّ سَيِّدِهِ^(٣).

هَلْ يُشْتَرَطُ تَكَرُّرُ النُّشُوزِ حَتَّى يُشْرَعَ الضَّرْبُ:

اختلف الفقهاء في اشتراط تكرار نشوز المرأة لضربها:

ذَهَبَ جُمْهُورُ الْفُقَهَاءِ إِلَى أَنَّ الضَّرْبَ لِتَأْدِيبِ الزَّوْجَةِ النَّاشِزَةِ مَشْرُوعٌ بِتَحَقُّقِ نُشُوزِهَا وَلَوْ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ دُونَ أَنْ يَتَكَرَّرَ النُّشُوزُ، لِظَاهِرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ﴾^(٤) فَتَقْدِيرُهُ: وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ، فَإِنْ نَشَزْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ، وَالْخَوْفُ هُنَا بِمَعْنَى الْعِلْمِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا﴾^(٥)

(١) تفسیر القرطبي ٥ / ١٧٣، ونهاية المحتاج ٦ / ٣٨٣، وكشاف القناع ٥ / ٢٠٩ - ٢١
(٢) روضة الطالبين ٧ / ٣٦٨، ونهاية المحتاج ٦ / ٣٨٣، وحاشية الشرفاوي على شرح التحرير ٢ / ٢٨٦، والزواجر عن افتراء الكبائر ٢ / ٤٣، وكشاف القناع ٥ / ٢١٠.

(٣) انظر الموسوعة الفقهية وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، الطبعة الثالثة ١٤٢٦ هـ -

٢٠٠٥م، ج ٤٠، ص ٢٩٨ - ٣٠٠.

(٤) سورة النساء، الآية: ٣٤.

(٥) سورة البقرة، الآية ١٨٢.

وَالأُولَى بَقَاؤُهُ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَلِأَنَّ الْمَرْأَةَ صرَّحَتْ بِنُشُوزِهَا فَكَانَ لِزَوْجِهَا ضَرْبُهَا كَمَا لَوَاصَرَتْ، وَلِأَنَّ عُقُوبَاتِ الْمَعَاصِي لَا تَخْتَلِفُ بِالتَّكْرَارِ وَعَدَمِهِ كَالْحُدُودِ.

وَرَجَّحَ الرَّافِعِيُّ وَأَبُو حَامِدٍ وَالْمَحَامِلِيُّ وَغَيْرُهُمْ مِنْ فُقَهَاءِ الشَّافِعِيَّةِ، وَهُوَ ظَاهِرٌ كَلَامِ الْخِرَقِيِّ مِنَ الْحَنَابِلَةِ أَنَّهُ إِنْ تَحَقَّقَ نُشُوزُ الزَّوْجَةِ وَلَمْ يَتَكَرَّرْ وَلَمْ يَظْهَرْ إِصْرَارُهَا عَلَيْهِ لَا يَجُوزُ ضَرْبُهَا، لِأَنَّ الْجِنَايَةَ لَمْ تَتَأَكَّدْ بِالتَّكْرَارِ، وَلِأَنَّ الْمَقْصُودَ زَجْرُهَا عَنِ الْمَعْصِيَةِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَمَا هَذَا سَبِيلُهُ يُبَدَأُ فِيهِ بِالأَسْهَلِ^(١).

وَاشْتَرَطَ الْمَالِكِيُّ وَالشَّافِعِيُّ لِمَشْرُوعِيَّةِ ضَرْبِ النَّاشِزَةِ أَنْ يَعْلَمَ الزَّوْجُ أَوْ يَغْلِبَ عَلَى ظَنِّهِ أَوْ يَظُنَّ أَنَّ الضَّرْبَ يُفِيدُ فِي تَأْذِيبِهَا وَرَدْعِهَا عَنِ النُّشُوزِ، فَإِنْ غَلَبَ عَلَى ظَنِّهِ أَنَّهُ لَا يُفِيدُ لَمْ يَجُزْ لَهُ ضَرْبُهَا وَيَحْرُمُ لِأَنَّهُ عُقُوبَةٌ مُسْتَعْنَى عَنْهَا^(٢).

وَقَيَّدَ الرَّزْكَسِيُّ ضَرْبَ الزَّوْجِ امْرَأَتَهُ النَّاشِزَةَ بِنَفْسِهِ لِكَمِّهَا عَنِ النُّشُوزِ وَتَأْذِيبِهَا بِمَا إِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا عِدَاوَةٌ، وَإِلَّا فَيَتَعَيَّنُ الرَّفْعُ إِلَى الْقَاضِي لِتَأْذِيبِهَا^(٣).

الضَّمَانُ بِضَرْبِ التَّأْذِيبِ

ذَهَبَ جُمْهُورُ الْفُقَهَاءِ: الْحَنَفِيُّ وَالْمَالِكِيُّ وَالشَّافِعِيُّ إِلَى أَنَّ ضَرْبَ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ لِشُوزِهَا - بِالْقِيُودِ الْمَنْصُوصِ عَلَيْهَا عِنْدَهُمْ - هُوَ ضَرْبٌ تَأْذِيبٌ يُقْصَدُ مِنْهُ الصَّلَاحُ لَا غَيْرَ، فَإِنْ أَفْضَى إِلَى تَلْفٍ أَوْ هَلَاقٍ وَجَبَ الْعُرْمُ وَالضَّمَانُ، لِأَنَّهُ تَبَيَّنَ أَنَّهُ ضَرْبٌ إِتْلَافٍ لَا إِصْلَاحٍ، وَيَضْمَنُ الزَّوْجُ مَا تَلَفَ بِالضَّرْبِ مِنْ نَفْسٍ أَوْ عُضْوٍ أَوْ مَنَفَعَةٍ، لِأَنَّ ضَرْبَ التَّأْذِيبِ مَشْرُوطٌ بِسَلَامَةِ الْعَاقِبَةِ.

وَذَهَبَ الْحَنَابِلَةُ إِلَى أَنَّ الْمَرْأَةَ النَّاشِزَةَ إِنْ تَلَفَتْ مِنْ ضَرْبِ زَوْجِهَا الْمَشْرُوعِ

(١) بَدَائِعُ الصَّنَاعِ ٢ / ٣٣٤، وَالشَّرْحُ الْكَبِيرُ مَعَ حَاشِيَةِ الدُّسُوقِيِّ ٢ / ٣٤٣، وَرُوضَةُ الطَّالِبِينَ ٧ / ٣٦٩، وَمَغْنِي الْمَحْتَاكِ ٢ / ٢٥٩ - ٢٦٠، وَشَرْحُ الْمُنْهَاجِ مَعَ الْقَلْبِيِّ ٣ / ٣٠٥، وَشَرْحُ الْمُنْهَاجِ مَعَ الْجَمَلِ ٤ / ٢٨٩، وَشَرْحُ التَّحْرِيرِ مَعَ الشَّرْقَاوِيِّ ٢ / ٢٨٥، وَالْمَغْنِي ٧ / ٤٦.

(٢) مَوَاهِبُ الْجَلِيلِ ٤ / ١٥، وَنَهَايَةُ الْمُحْتَاكِ ٦ / ٣٨٣، وَمَغْنِي الْمَحْتَاكِ ٣ / ٢٦٠.

(٣) نَهَايَةُ الْمُحْتَاكِ ٦ / ٣٨٤، وَمَغْنِي الْمَحْتَاكِ ٣ / ٢٦٠.

لِلتَّأْدِيبِ عَلَى نُسُوزِهَا فَلَا صَمَانَ عَلَى الزَّوْجِ لِأَنَّهُ مَأْدُونٌ فِيهِ شَرْعاً. (١)

التَّرْتِيبُ فِي التَّأْدِيبِ

اختلف الفقهاء في التزام الزوج الترتيب في تأديب الزوجة حسب وروده في الآية الكريمة.

فذهب جمهور الفقهاء: الحنفية والمالكية، والحنابلة وهو المذهب عندهم، وهو أيضاً رأي عند الشافعية إلى أن تأديب الزوج امرأته لنسوزها يكون على الترتيب الوارد في الآية، فيبدأ بالوعظ ثم الهجر ثم الضرب، ولهم في ذلك تفصيل:

قال الحنفية: للزوج ولاية تأديب امرأته لنسوزها لكن على الترتيب، فيعظها أولاً على الرفق واللين، فإن نجعت فيها الموعظة وإلا هجرها، وقيل: يحرفها بالهجر أولاً والإعتزال عنها وترك الجماع والمصاحبة، فإن تركت وإلا هجرها لعل نفسها لا تحتمل الهجر، فإن تركت النسوز وإلا ضربها، فإن نفع الضرب وإلا رفع إلى القاضي.

والأصل فيه قول الله عز وجل: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُسُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ (٢) فظاهر الآية وإن كان بحرف الواو الموسوعة للجمع لكن المراد منه الجمع على سبيل الترتيب، والواو تحتمل ذلك.

وقالوا: وسبيل هذا سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حق سائر الناس: أن الأمر يبدأ بالموعظة على الرفق واللين دون التغليظ في القول، فإن قبلت وإلا غلظ القول به، فإن قبلت وإلا بسط يده فيه (٣).

وقال المالكية: يعظ الزوج من نسرت، ثم إذا لم يفد الوعظ هجرها في

(١) تبين الحقائق ٣ / ٢١١، وفتح القدير ٤ / ٢١٨، والبحر الرائق ٥ / ٥٣، وتفسير القرطبي ٥ / ١٧٢، ومواهب الجليل ٤ / ١٥، وروضة الطالبيين ٧ / ٣٦٨، وحاشية الشرقاوي على شرح التحرير ٢ / ٢٨٦، وكشاف القناع ٥ / ٢١٠. نقلاً عن الموسوعة الفقهية الكويتية، ج ٤٠، ص ٣٠١.

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٤.

(٣) بدائع الصنائع ٢ / ٣٣٤.

الْمَضْجَعِ، ثُمَّ إِذَا لَمْ يُفِدِ الْهَجْرُ جَارَ لَهُ ضَرْبُهَا، وَلَا يَنْتَقِلُ لِحَالَةٍ حَتَّى يَظُنَّ أَنَّ الَّتِي قَبْلَهَا لَا تُفِيدُ، وَيَفْعَلُ مَا عَدَا الضَّرْبَ وَلَوْ لَمْ يَظُنَّ إِفَادَتَهُ - بِأَنْ شَكَّ فِيهِ لَعَلَّهُ يُفِيدُ - لَا إِنْ عَلِمَ عَدَمَ الْإِفَادَةِ، وَأَمَّا الضَّرْبُ فَلَا يَجُوزُ إِلَّا إِذَا ظَنَّ إِفَادَتَهُ لِشِدَّتِهِ، قَالَ الدُّسُوقِيُّ: وَالْحَاصِلُ أَنَّ الزَّوْجَ يَعْطُ زَوْجَتَهُ إِنْ جَزَمَ بِالْإِفَادَةِ أَوْ ظَنَّهَا أَوْ شَكَّ فِيهَا، فَإِنْ جَزَمَ أَوْ ظَنَّ عَدَمَهَا هَجَرَهَا إِنْ جَزَمَ بِالْإِفَادَةِ أَوْ ظَنَّهَا أَوْ شَكَّ فِيهَا، فَإِنْ جَزَمَ أَوْ ظَنَّ عَدَمَهَا ضَرَبَهَا إِنْ جَزَمَ بِالْإِفَادَةِ أَوْ ظَنَّهَا، لَا إِنْ شَكَّ فِيهَا^(١).

وَقَالَ الْحَنَابِلَةُ، وَهُوَ الْمَذْهَبُ: إِذَا ظَهَرَ مِنَ الزَّوْجَةِ أَمَارَاتُ النُّشُوزِ وَعَظَمَهَا، فَإِنْ رَجَعَتْ إِلَى الطَّاعَةِ وَالْأَدَبِ حَرَّمَ الْهَجْرَ وَالضَّرْبَ لِزَوَالِ مُبِجِحِهِمَا، وَإِنْ أَصْرَتْ هَجَرَهَا فِي الْمَضْجَعِ مَا شَاءَ، وَهَجَرَهَا فِي الْكَلَامِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا فَوْقَهَا، فَإِنْ أَصْرَتْ وَلَمْ تَرْتَدِعْ بِالْهَجْرِ فَلَهُ أَنْ يَضْرِبَهَا بَعْدَ الْهَجْرِ فِي الْفِرَاشِ وَتَرَكِيهَا مِنَ الْكَلَامِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ^(٢).

وَذَهَبَ الشَّافِعِيُّ وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ أَحْمَدَ إِلَى أَنَّ لِلزَّوْجِ أَنْ يُؤَدِّبَ زَوْجَتَهُ بِمَا يَرَاهُ مِنْ طُرُقِ التَّأْدِيبِ الْوَارِدَةِ فِي الْآيَةِ دُونَ مُرَاعَاةِ التَّرْتِيبِ. قَالَ النَّوَوِيُّ: مَرَاتِبُ تَأْدِيبِ الزَّوْجَةِ ثَلَاثٌ:

إِحْدَاهَا: أَنْ يُوجَدَ مِنْهَا أَمَارَاتُ النُّشُوزِ قَوْلًا أَوْ فِعْلًا، بِأَنْ تُجِيبَهُ بِكَلَامٍ خَسِينٍ بَعْدَ أَنْ كَانَ لَيِّنًا، أَوْ يَجِدَ مِنْهَا إِعْرَاضًا وَعُجُوسًا بَعْدَ طَلَاقَةٍ وَلُطْفٍ، فَيُفِي هَذِهِ الْمَرْتَبَةَ، يَعْظُمَا وَلَا يَضْرِبُهَا وَلَا يَهْجُرُهَا.

الثَّانِيَةُ: أَنْ يَتَحَقَّقَ نُشُوزُهَا، لَكِنْ لَا يَتَكَرَّرُ، وَلَا يَظْهَرُ إِصْرَارُهَا عَلَيْهِ، فَيَعْظُمَا وَيَهْجُرُهَا، وَفِي جَوَازِ الضَّرْبِ قَوْلَانِ، رَجَّحَ الشَّيْخُ أَبُو حَامِدٍ وَالْمَحَامِلِيُّ الْمَنْعَ، وَرَجَّحَ صَاحِبَا الْمُهَدَّبِ وَالشَّامِلِ الْجَوَازَ.

قَالَ النَّوَوِيُّ: رَجَّحَ الرَّافِعِيُّ فِي «الْمُحَرَّرِ» الْمَنْعَ، وَالْمُؤَافِقُ لِظَاهِرِ الْقُرْآنِ الْجَوَازَ وَهُوَ الْمُخْتَارُ.

الثَّلَاثَةُ: أَنْ يَتَكَرَّرَ وَتُصِرَّ عَلَيْهِ، فَلَهُ الْهَجْرَانُ وَالضَّرْبُ بِلاَ خِلَافٍ، هَذِهِ هِيَ الطَّرِيقَةُ

(١) الشَّرْحُ الْكَبِيرُ وَحَاشِيَةُ الدُّسُوقِيِّ ٢ / ٣٤٣.

(٢) كَشَّافُ الْفِتْنَانِ ٥ / ٢٠٩.

الْمُعْتَمَدَةُ فِي الْمَرَاتِبِ الثَّلَاثِ. وَحَكَى ابْنُ كَيْسَانَ قَوْلًا فِي جَوَازِ الْهَجْرَانِ وَالضَّرْبِ عِنْدَ خَوْفِ النُّشُوزِ، لِظَاهِرِ الْآيَةِ، وَحَكَى الْحَنَاطِيُّ فِي حَالَةِ ظُهُورِ النُّشُوزِ، ثَلَاثَةَ أَقْوَالٍ:
أَحَدُهَا: لَهُ الْوَعْظُ وَالْهَجْرَانُ وَالضَّرْبُ، وَالثَّانِي: يَتَخَيَّرُ بَيْنَهَا وَلَا يَجْمَعُ.
وَالثَّلَاثُ: يَعْظُهَا، فَإِنْ لَمْ تَتَّعْظْ هَجَرَهَا، فَإِنْ لَمْ تَنْزِجِرْ ضَرْبَهَا^(١).

ثانياً- رأي مذهب أهل البيت (عليهم السلام) في الضرب:

ضرب الزوجة متعلق بنشوزها، لذلك من المفيد الإشارة إلى علاماته وتعريفه قبل الولوج في موضوع الضرب.... وهي:

١- علامات نشوز الزوجة:

علامات النشوز ودلائله تظهر بقول وفعل، أما القول: فمثل أن كانت تلبيه إذا دعاها وتخضع له بالقول إذا كلمها فامتنعت عن تلبيته وعن القول الجميل عند مخاطبته، والفعل: مثل أن كانت تقوم إليه إذا دخل عليها وتبادر إلى فراشه إذا دعاها ثم تركت ذلك فصارت لا تقوم ولا تبادر، بل تصير إليه بتكره ودمدمة ونحو هذه، فهذه دلائل النشوز^(٢).

تعريف النشوز وحكمه

تعريفه: [النشوز: هو الخروج] من الزوج أو الزوجة [عن الطاعة] الواجبة على كل واحد منهما للآخر. [وأصله] لغة: [الارتفاع].

ولو كان الخروج منهما معاً خص باسم الشقاق، وقال بعضهم: يجوز إطلاق النشوز على ذلك أيضاً، وبعض الفقهاء أطلق على الثلاثة اسم الشقاق، وهو بعيد،

(١) رَوْضَةُ الطَّالِبِينَ ٧ / ٣٦٨ - ٣٦٩، وَالْمَغْنِي ٧ / ٤٦، وَالْإِنْصَافُ ٨ / ٣٧٧. نقلاً عن الموسوعة الفقهية الكويتية، ج ٤٠، ص ٣٠١-٣٠٣.

(٢) المعجم الفقهي لكتب الشيخ الطوسي، مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامية، قم - إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م، ج ٦، ص ٢٩٩.

كما أن ما عن نهاية الشيخ من تخصيص النشوز بخروج الزوج عن الحق، كذلك و نحوه ما في ظاهر أحكام الراوندي في اختصاصه بالعكس^(١).

٢- مراتب تأديب الزوجة الناشز:

أ- الموعدة: إذا ظهر هذا (النشوز) منها وعظها، بأن يخوفها بالله تعالى ويعرفها أن عليها طاعة زوجها، ويقول: اتقي الله وراقبيه وأطيعيني ولا تمنعيني حقي عليك.

ب- الهجران: إن نشزت أول مرة حل له أن يهجرها في المضجع.

والهجران في المضجع أن يعتزل فراشها. وقال قوم: يقتضي ترك كلامها غير أنه لا يقيم عليه أكثر من ثلاثة أيام.

وروى أصحابنا أن الهجران هو أن يحول ظهره إليها في المضجع.

ج- إذا نشزت المرأة حل ضربها بنفس النشوز دون الإصرار عليه.

وللشافعي فيه قولان، أحدهما: مثل ما قلناه، والثاني: أنه لا يحل حتى تصر وتقيم عليه.

ونحوه في المبسوط، وأضاف: إن نشزت فامتنعت عليه وأقامت على ذلك وتكرر منها حل ضربها بلا خلاف^(٢).

وقال الشيخ محمد حسن الجواهري: أنه [متى ظهر من الزوجة أمارته] أي النشوز [مثل أن تتقطب في وجهه، أو تبرم في حوائجه] المتعلقة بالاستمتاع [أو تغير عاداتها في أدبها، جاز له هجرها في المضجع بعد عظتها، وصورة الهجر: أن يحول إليها

(١) معجم فقه الجواهر، مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي، قم- إيران، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، ج ٦، ص ٨٢.

(٢) المعجم الفقهي لكتب الشيخ الطوسي، مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي، قم- إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م، ج ٦، ص ٢٩٩.

ظهره في الفراش، وقيل: أن يعتزل فراشها، والأول مروى، ولا يجوز له ضربها والحال هذه، أما لو وقع النشوز وهو الامتناع عن طاعته في ما يجب له، جاز ضربها ولو بأول مرة، ولكن يقتصر على ما يؤمل معه رجوعها ما لم يكن مدمياً ولا مبرحاً، وظاهره الفرق بين الموعظة والهجر وبين الضرب، فيجوز الأولان على ظهور أمارات النشوز، بخلاف الأخير، فلا يجوز إلا مع تحقق النشوز، نعم معه يجوز من أول مرة، ولا يعتبر تقدم الوعظ أو الهجر، بخلاف الأولين، فإن الثاني منهما مرتب على عدم النفع الأول، وهو أحد الأقوال في المسألة محكي عن المبسوط والفاضل في القواعد.

وظاهر المصنف في النافع ترتب الثلاثة على ظهور أمارات النشوز من غير فرق بين الضرب وغيره، إلا أنها مترتبة على حسب ترتب النهي عن المنكر.

وعكس ابن الجنيد - في ما حُكي عنه - بجعل الأمور الثلاثة مترتبة على النشوز بالفعل، ولم يذكر الحكم عند ظهور أماراته، وجوز الجمع بين الثلاثة ابتداءً من غير تفصيل.

وجعل العلامة في الإرشاد الثلاثة مترتبة على النشوز بالفعل، لكن جعلها مترتبة مراتب الإنكار، ولعل ذلك أولى من جميع ما تقدم. ومما عن بعض العلماء من التفضيل أيضاً من جعل الأمور الثلاثة مترتبة من حالها، فمع ظهور أمارات النشوز يقتصر على الوعظ، ومع تحققه قبل الإصرار ينتقل إلى الهجر، فإن لم ينجح وأصرت انتقل إلى الضرب. وهو أيضاً كما ترى، وإن حكي عن العلامة في التحرير موافقته. والمتجه ما سمعته من الإرشاد، بل يمكن القطع بذلك.

ولا يبعد إرادة الكراهة من النشوز في الآية على وجه ينقص استمتاعه بها ولو بالتقطب في وجهه وإسماعه الكلام الغليظ، ونحو ذلك مما يذهب الرغبة في مقاربتها والاستمتاع بها. ومنه يظهر النظر في جملة من كلماتهم حتى ما في المسالك وغيرها - من أن المراد بظهور أمارات النشوز تغير عاداتها معه في القول أو الفعل بأن تجيبه بكلام خشن بعد أن كانت تقبل، أو تظهر عبوساً أو إعراضاً

وتثاقلاً ودمدمَةً بعد أن كانت تلتطف به وتبادر إليه وتقبل عليه، ونحو ذلك... وأنه ليس من النشوز ولا من مقدماته بذاعة اللسان والشتم...، وكون المراد بحوائجه التي يكون التبرم بها أمانة النشوز ما يجب عليها فعله من الاستمتاع ومقدماته - فإن الجميع كما ترى، فالنشوز يتحقق بالعبوس والإعراض والثاقل وإظهار الكراهة له بالفعل والقول ونحوهما، مما ينقص استمتاعه وتلذذه بها، بل لا ينبغي التأمل في تحققه بتبرمها بحوائجه المتعلقة بالاستمتاع أو الدالة على كراهيتها له.

والمراد بالهجر في المضجع ما صرح به غير واحد من الأصحاب: توليتها ظهره في الفراش، وعن المبسوط والسرائر: هو أن يعتزل فراشها، وعن المفيد التخيير بينهما، وفي الرياض أنه أقوى. ويمكن دعوى الترتيب في أفراده أيضاً على حسب الترتيب في أفراد النهي عن المنكر، نعم ما عن التفسير علي بن إبراهيم من سبها لا دليل عليه^(١).

٣- ضرب الزوجة الناشز:

يقتصر في الضرب على ما يؤمل معه طاعتها فلا يجوز الزيادة عليه مع حصول الغرض به، وإلا تدرج إلى الأقوى فالأقوى ما لم يكن مدمياً ولا مبرحاً، وابتدأؤه الضرب بالسواك. نعم ينبغي اتقاء المواضع المخوفة كالوجه والخاصرة ومراق البطن ونحوه، وأن لا يوالي الضرب على موضع واحد، بل يفرق على المواضع الصلبة مراعيًا فيه الإصلاح لا التشفى والانتقام، بل في المسالك: إنه يحرم بقصده مطلقاً، بل بدون القصد المأذون لأجله^(٢).

وقال الشيخ الطوسي: وأما الضرب فأن يضربها ضرب تأديب كما يضرب الصبيان على الذنب، ولا يضربها ضرباً مبرحاً ولا مدمياً ولا مزمناً، ويفرق الضرب

(١) معجم فقه الجواهر، مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي، قم - إيران، الطبعة الثانية ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، ج ٦، ص ٨٣ - ٨٤.

(٢) معجم فقه الجواهر، مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي، قم - إيران، الطبعة الثانية ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، ج ٦، ص ٨٤..

على بدنهما، ويتقي الوجه، وروى أصحابنا أنه يضربها بالسواك، وقال قوم: يكون الضرب بمنديل ملفوف أو درة ولا يكون بسياط ولا خشب^(١).

٤- ضمان الزوج تلف الزوجة بسبب تأديبها:

إذا نشزت امرأة الرجل يضربها ضرباً خفيفاً. فإذا فعل بها هذا فماتت منه فالدية عليه في ماله، وعندهم على عاقلته^(٢).

وقال الشيخ الجواهري في جواهره: لو حصل بالضرب تلف، وجب الغرم^(٣).

دية الضرب واللطم

لم تكتفِ التعاليم الإسلامية بالنهي عن الضرب واللطم، بل أوجب دفع غرامة مالية ضد ممارسي العنف لتحديد بحسب نوع الضرب واللطم وتأثيره على الجلد.

فقد جاء في الرسالة العملية (توضيح المسائل) للفقير الراحل السيد حسين الطباطبائي البروجردي المسائل التالية:

« مسألة ٢٨١٦ - إذا لطم على وجه أحد باليد أو بشيء آخر فاحمر وجهه، فديته مثقال ونصف من الذهب (كل مثقال ١٨ حبة) وإن اخضر لونه فثلاثة مثاقيل، وإن اسود لونه فستهة مثاقيل، ولئن تغير لون سائر البدن على الضرب، فاحمر أو اخضر أو اسود، فديته نصف ما ذكر.

« مسألة ٢٨٢٠ - إذا ارتكب الصبي إحدى المعاصي الكبيرة جاز للولي أو المعلم ضربه بمقدار التأديب ما لم يصل حد الدية.

(١) المعجم الفقهي لكتب الشيخ الطوسي، مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي، قم - إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، ج ٦، ص ٢٩٩.

(٢) المعجم الفقهي لكتب الشيخ الطوسي، مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي، قم - إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، ج ٦، ص ٢٩٩.

(٣) معجم فقه الجواهر، مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي، قم - إيران، الطبعة الثانية ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، ج ٦، ص ٨٣ - ٨٤.

« مسألة ٢٨٢١ - إذا ضرب صبياً إلى حد وجوب الدية كانت الدية للصبى، فلو مات الصبى فعلى الضارب أن يدفع ديته إلى ورثته، ولو ضرب الوالد ولده حتى مات كانت ديته لسائر الورثة، وليس له شيء من الدية.

يستفاد من هذه الأحكام الدينية الثلاثة أنه لا يجوز ضرب الطفل، فإذا ضرب أحد الوالدين أو المعلم طفلاً على وجهه وسبب تغير لونه فعليه أن يدفع ديته، وعند ارتكاب الطفل إحدى المعاصي يجوز ضربه بحيث لا يصل حد وجوب الدية.

إن الآباء والأمهات الذين يضربون أبناءهم إلى حد وجوب الدية مدينون إليهم بقيمة الدية؛ فإما عليهم أن يرضوهم أو يحصلوا على العفو منهم، وكذلك حكم المعلمين الذين يضربون تلامذتهم»^(١).

وللأسف فإن الكثير من الناس لا يعملون بهذه الفتاوى المجمع عليها من الفقهاء، ولا يدفعون شيئاً مما يجب عليهم دفعه من ديات لأولادهم إما جهلاً بالمسألة أو تهاوناً بها.

بل إن بعض الآباء لا يكتفون بالضرب الذي يغير اللون، بل يعمدون إلى كسر عظام أولادهم، أو إصابتهم بجروح عميقة، وهو الأمر الذي يترتب عليه دفع غرامات مالية أكبر من الضرب الذي يغير اللون كما ورد تفصيل ذلك في أحكام الديات.

والهدف من ذلك هو حماية الزوجة والأطفال من استخدام العنف ضدهم، وحماية المجتمع كله من انتشار ظاهرة العنف المحرم شرعاً وقانوناً. فالإسلام يهدف إلى نشر الطمأنينة والهدوء والاستقرار في كل أبعاد المجتمع، ومنه البعد العائلي والأسري.

(١) الطفل بين الوراثة والتربية، الشيخ محمد تقي فلسفي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م، ج ١، ص ٣٩٤-٣٩٥.

الضرب في القوانين الوضعية

إذا كان الإسلام قد حرم ضرب الزوجة إلا في مورد واحد وهو النشوز مع التفصيل الذي قدمناه؛ إلا أنه في القوانين الوضعية كان الضرب ضد الزوجة مسموحاً به من قبل زوجها حتى عهد قريب، ومن الناحية التاريخية؛ فإن الرجل في عصر الرومان القدماء كان يمتلك حق ضرب زوجته إذا قامت ببعض الأعمال، كالحضور في المسابقات العامة دون إجازته، أو تناولت الشراب، أو خرجت من المنزل كاشفة الوجه. وبقيت المرأة في القرون الوسطى تعيش تحت رقابة شديدة، لا بل كانت تنال جزاءً صعباً من الزوج فيما لو تخطت حدودها. وكان يتوقع من الرجل أن يضرب زوجته إذا أتت بعلم غير صالح، وإذا لم يتمكن من القيام بهذه المهمة، فقد يتعرض للإهانة من الأقرباء. ولم يظهر اعتراض على هذه الرؤية خلال المرحلة الواقعة بين أواخر القرون الوسطى والعصر الحديث (١٤٠٠-١٩٠٠م)، ولم يكن يؤخذ الرجل الذي يعنف ضد زوجته، إلا إذا وصل استعمال القوة إلى مستوى موت الزوجة. إلا أن الاعتراض على ضرب الرجل زوجته وجرحها بدأ منذ أواسط القرن التاسع عشر، فأصبح الزوج الذي يلجأ إلى القوة يتعرض للسخرية. وفي أواخر القرن التاسع عشر أقرت بعض القوانين في بريطانيا وأمريكا تمنع الزوج من ضرب الزوجة، ومع ذلك فإن إهانة وضرب الزوجة بقي مستمراً؛ ولعل السبب في ذلك هو السابقة التاريخية الطويلة لقضية إهانة الزوجة، وحتى بعد الحرب العالمية الثانية، بقي ضرب الزوج زوجته

العاصية عملاً مبرراً قانونياً.^(١)

وفي القانون العام البريطاني Common Law كان يمنح الزوج حق تأديب الزوجة بالضرب البسيط الذي لا يبلغ مرحلة الإيذاء الجسيم أو الموت. وقد انتقل القانون العام البريطاني إلى الولايات المتحدة الأمريكية كافلاً للزوج حق تأديب الزوجة بالضرب بالعصا الذي لا يتجاوز طوله إصبع الإبهام فيما عرف بـ(قاعدة الإبهام) Rule of Thumb، وبناءً على ذلك أقرت المحكمة العليا لولاية ميسيسيبي عام ١٨٢٤م، في إحدى القضايا الشهيرة (Bradley v. State)، حق الزوج في تأديب زوجته على أن تبقى جميع المنازعات الأسرية داخل جدران المنزل، وكان يتم تسجيل هذا الحق في عقد الزواج بجانب حقوق أخرى مثل انتقال الزوجة إلى منزل الزوج وتنازلها عن التملك والزامها بحب زوجها والإخلاص له. ولم تحدث النقلة القانونية في مجال حماية حقوق الزوجة في تلك الدول، إلا في أواخر القرن التاسع عشر حيث رفعت عنها بعض الشروط، وتم إلغاء حق الزوج في التأديب بالضرب على النساء والأبناء. ومع ذلك لم يتم تجريم ممارسات الزوج ضد الزوجة والأطفال إلا في السبعينيات من القرن الماضي، بعد نمو حركة الناشطين في مجال حماية الأسرة وحقوق الإنسان.^(٢)

ولو تجاوزنا البحث التاريخي، فإن الدراسات والتقارير المتنوعة تبين انتشار هذه الظاهرة وشمولها، حتى في العصور الحالية، وفي جميع المجتمعات.

وتؤكد التقارير أن نصف الرجال المتزوجين في بانكوك وتايلند يضربون زوجاتهم بشكل مستمر. وفي الأكوادور صرح ٨٠٪ من النساء بأنهن قد تعرضن للضرب والشتم من قبل الأزواج، وتحكي بعض التقديرات أن ما يقرب من ٨، ١

(١) الإسلام و الأسرة، حسين بستان النجفي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م، ص ٢١٢.

(٢) العنف الأسري في ظل العولمة، د. عباس أبو شامة عبد المحمود، ود. محمد الأمين البشري، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص ١٩ - ٢٠.

مليون زوج في أمريكا يضربون زوجاتهم بوحشية.

وتشير تقديرات أخرى في أمريكا إلى وجود أربعة ملايين امرأة يتعرضن للضرب على يد الزوج، وأن أكثر من أربعة آلاف امرأة يقتلن سنوياً بسببه.

وهناك ما يقارب ١/٣ من النساء اللواتي يقتلن في أمريكا، يقتلن على يد أزواجهن أو أصدقائهن الذكور.

أما في بعض الدول الأخرى كإيران مثلاً، حيث لم تجر إحصاءات رسمية أو أنها ما زالت في بداياتها، يلاحظ شيوع استعمال العنف ضد النساء بشكل سيء.^(١)

في حين أنه في القانون الإسلامي لم يكتف بتحريم الضرب أو أي شكل من أشكال العنف؛ بل سنّ عقوبات مشددة ضد كل من يمارس العنف غير المشروع ضد أي فرد من أفراد الأسرة.

وفي حين لم تحدث النقلة النوعية لحماية حقوق الزوجة وأفراد الأسرة إلا في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، فإن الإسلام قبل أكثر من أربعة عشر قرناً قد شرع الكثير من القوانين التي تحمي حقوق الزوجة والأطفال، وكذلك الزوج، وتمنع أي شكل من أشكال العنف الأسري.

(١) الإسلام والأسرة، حسين بستان النجفي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م، ص ٢١٢ - ٢١٣.

أرقام وإحصائيات حول ضرب وإيذاء النساء

رغم الإحصائيات المتنوعة من مختلف بلدان العالم حول العنف العائلي إلا أن أغلب النتائج المتوفرة تتعلق ببلدان شمال أوروبا، كندا والولايات المتحدة الأمريكية، وتؤكد الوثائق المتوفرة في هذا الصدد ازدياد أعمال العنف ضد النساء، خصوصاً الضرب، وسنشير هنا إلى بعض النتائج عن ضرب النساء كما يلي:

* إن أكثر من ٨٠٪ من حالات الاعتداء المبلغ عنها في عام ١٩٨٥ م في مدينة سايبوبولي بالبرازيل، تعرضت إليها النساء من قبل أزواجهن أو عشاقهن.

* ظهرت بعد ازدياد حالات الطلاق السريعة الانتشار في الصين ظواهر استخدام العنف في العائلة. وتشير الإحصاءات إلى أن ٢٥٪ من حالات الطلاق كان منشأها تعرض النساء للضرب والسب.

* تشكل النساء ٥٩٪ من ضحايا حالات العنف المبلغ عنها في فرنسا. وتعرض ٥١٪ من المتعرضات للعنف في هذه الحالات إلى التعذيب المصحوب بالاعتداء الجنسي من قبل الأزواج.

* أثبت إحصاء طارئ أجري عام ١٩٩٠ م في غواتمالا أن ٤٩٪ من النساء يشكين سلوك أزواجهن وسوء معاملتهم الجسمية والنفسية والجنسية معهن.

* تعاني ٩٠٪ من النساء الهنديات جسماً ونفسياً من سوء سلوك أزواجهن حسب إحصاء أجري في الهند حول استخدام العنف ضد النساء. و ٩٠٪ من حالات قتل النساء يرتكبها الأزواج في هذا البلد.

* وفي جمهورية تنزانيا المتحدة أبلغت ٦٠٪ من النساء عن تعرضهن للضرب والسب من قبل الأزواج.

* يتعرض نحو مليوني امرأة في الولايات المتحدة الأمريكية سنوياً إلى الضرب من قبل شريك حياتهن بشكل يستوجب تلقي العلاج الطبي في نصف هذه الحالات.

* في إحصاء أجري عام ١٩٩٢م في زمبابويا صرحت ١٧٪ من النساء أن التعرض للعنف الجسدي والنفسي خلال الحياة الزوجية أمر طبيعي تماماً.

* تنتهي حياة عدد غفير من الفتيات والنساء في الهند والصين بسبب استمرار التقاليد الثقافية القائمة على أساس التمييز بين الإناث والذكور.

وأكد تحقيق سريري أن اللجوء إلى الوسائل والطرق العلمية المتطورة كالسونار في الهند بغية تعيين جنسية الجنين كان السبب في إجهاض ثمانية آلاف جنيناً كان ٧٩٩٧ منهم من الإناث. ويُن مسح آخر أن ٥, ٩٥٪ أي أربعين ألف جنيناً من الإناث قد تم التخلص منهن بالإجهاض.

* في عام ١٩٩٢م تعرضت ١٢٠٠٠ امرأة إلى الاغتصاب إبان الحروب الداخلية التي شهدتها يوغسلافيا السابقة.

* وتشهد الولايات المتحدة الأمريكية وقوع حالة اغتصاب كل ست دقائق (كاريلو ١٩٩٢م) لا تُبلغ الشرطة عن ٨٥٪ منها وتحدد نسبة المحكومين بالسجن من مرتكبيها ٥٠٪.

* اعترفت ٨٠٪ من النساء في مدينة سانتياغو بتشيلي أنهن ضحايا العنف

في قعر دورهن.

* في يايوا التابعة لغينيا(بيساو) يتم استغلال ٦٧٪ من القرويات و ٥٦٪ من النساء في المدن من قبل الأزواج.

* تتعرض امرأة من كل أربع من النساء إلى الهجوم الجنسي في كندا.

* إن سوء التغذية من الحالات الأكثر شيوعاً بين البنات منها بين البنين في قرى بنغلادش وبنسبة ثلاث فتيات إزاء فتي واحد مصاب بهذه الحالة.

* توفد سنوياً (٨-١٠) آلاف فتاة من تايلاند إلى اليابان لممارسة أعمال البغاء.

* وقعت خلال الثلاث سنين المنصرمة ٢٥٩, ١١ حالة قتل جراء نشوب خلافات حول إعداد جهاز العروس في الهند.

* ٩٩٪ من ربات البيوت في باكستان عرضة للضرب من قبل الأزواج.

* تتعرض امرأة واحدة في كل دقيقة ونصف الدقيقة في أفريقيا الجنوبية إلى الاعتداء الجنسي، ويصل عدد ضحايا هذه الظاهرة سنوياً إلى نحو ٣٨٥, ٠٠٠ امرأة.

* خلال إحصاء أجرته منظمة الأمم المتحدة في سيريلانكا، أعلنت ٦٥٪ من النساء أنهن كن عرضة للعنف العائلي طوال سنين حياتهن الزوجية. ولم يشر هذا الإحصاء إلى العنف ضد النساء في البلدان الأخرى ومنها إيران.^(١)

* وفي تقرير، أن ٨٨٪ من النساء في إحدى البلاد العربية يتعرضن للضرب من أزواجهن، وفي تقرير للأمم المتحدة أن ٦٦٪ من الفتيات لا توجد لديهن فرصة للتعليم، وتحدث ١٧٥ ألف حالة حمل سنوياً، لا ترغب النساء الحوامل في

(١) - علم نفس المرأة، د. شكوه نوابي نزاد، ترجمة زهراء طيوري يكانه، دار الهادي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ص ١٨٥-١٨٨.

حدوث نصفها، وتموت أكثر من امرأة، كل دقيقة بسبب مشكلات الحمل والولادة، ٩٩٪ منها في الدول النامية، وأكد التقرير استمرار قضايا الاغتصاب والعنف داخل الأسرة، ونسبت إحدى المجلات إلى أحد القضاة العرب قوله: إن أكثر من ٥٠٪ من قضايا الطلاق في الإمارات يكون بسبب الضرب.

* وأظهرت دراسة للدكتورة أمينة الجابر - وكيلة كلية الشريعة والقانون بجامعة قطر - أن ضرب النساء من الظواهر المنتشرة، وهو أحد أسباب الطلاق الذي بلغت نسبته ٣٥,٧٪ حسب آخر إحصائية للمحاكم الشرعية، وفي استطلاع عن ظاهرة العنف ضد الزوجات تبين استفحال الظاهرة محلياً وعالمياً، كما بينت دراسة د. باعبيد اتساع الظاهرة بزيادة ٢٧٪ في سنة ١٩٩٧م لتشمل القتل والاختطاف والاعتصاب والأخذ بالإكراه.^(١)

* إن ٥٢٪ من النساء الفلسطينيات تعرضن للضرب على الأقل مرة واحدة في العام ٢٠٠٠م، وأن ٤٧٪ من النساء في الأردن يتعرضن للضرب بصورة دائمة.

* وتشير (منال سيد ٢٠٠٠م) إلى أن العنف ضد الزوجة في المجتمع المصري يمثل مشكلة حيث تتعرض ما يقارب ٣٥٪ من الزوجات للضرب في حال معارضتهن لأزواجهن، وأن نسبة ٦٩٪ منهن يتعرضن للضرب في حال ردهن على أزواجهن بلهجة لا تعجب الزوج.^(٢)

* إن حوالي ٨٠ بالمائة من النساء الجزائريات اللواتي يتعرضن للضرب يرفضن تقديم شكاوي بأزواجهن خوفاً من الضرب أو الطلاق.

* وبرأي رئيس الهيئة الاستشارية لحقوق الإنسان فإن سن قوانين ردية ليس حلاً للحد من ظاهرة العنف ضد المرأة بقدر ما يجب زرع ثقافة احترام المرأة

(١) مجلة العربي، موضوع: العنف ضد المرأة.. متى نتخلص من هذا الإرث؟، عبد الحميد إسماعيل الأنصاري، العدد ٥٤٨، تاريخ ١/٧/٢٠٠٤م.

(٢) العنف الأسري، د. عبدالله عبد العزيز اليوسف، ص ٣٩.

ومنطق الحوار لمعالجة التجاوزات الحاصلة.

* وتشير الإحصائيات الرسمية إلى تعرض ٤٥٠٠ امرأة للعنف خلال الأشهر الستة الماضية لعام ٢٠٠٨م، بحسب ما كشفت عنه لوكالة الأنباء الحكومية السيدة مسعودان خيرة رئيسة المكتب الوطني لحماية الطفولة من الانحراف والمرأة ضحية العنف.

* ووفق هذه الإحصائية، يحتل العنف الجسدي صدارة أنواع الاعتداءات التي تتعرض لها المرأة الجزائرية، يليه سوء المعاملة، ثم الاعتداءات الجنسية في المرتبة الثالثة.^(١)

* ضرب الزوجات في الأردن مستمر، إذ قال مسؤول في المركز الوطني للطب الشرعي في الأردن أن ٦٠٠ حالة ضرب لزوجات سجلت في البلاد العام الماضي ٢٠٠٨م. وتشير أرقام رسمية إلى أنه يسجل في الأردن سنوياً حوالي ٥٠٠٠ حالة عنف أسري معظمها ضد النساء.^(٢)

* تقرير منظمة العفو الدولية:

كشفت تقارير (منظمة العفو الدولية)، عن حقائق مريرة تُجسد تنامي العنف ضد المرأة على مستوى العالم على النحو التالي:

- ٣٠٪ من النساء الأمريكيات، تعرضن للعنف الجسدي من أزواجهن.

- ٩٥٪ من ضحايا العنف في فرنسا من النساء.

- ١,٦ مليار دولار سنوياً، تكلفة إزالة آثار العنف ضد المرأة الكندية.

(١) موقع العربية نت <http://www.alarabiya.net/articles/2008/html.60730/24/11/> الإثنين ٢٦ ذو

القعدة ١٤٢٩هـ - ٢٤ نوفمبر ٢٠٠٨م.

(٢) صحيفة الحياة، الأحد ١٥ فبراير ٢٠٠٩م الموافق ٢٠ صفر ١٤٣٠هـ، العدد ١٦٧٥٣، الصفحة الأخيرة.

- ٤٢٪ من نساء باكستان؛ يقبلن العنف كمصير محتوم لا يستطيعن الإفلات منه.
 - ٧٠٪ من حوادث قتل النساء تتم على أيدي أزواجهن.
 - ٣٦ ألف امرأة روسية يتعرضن للضرب يومياً على أيدي أزواجهن.
 - ٤٧٪ من نساء مصر؛ اللواتي يتعرضن للضرب، لا يخبرن أحداً بما حدث لهن.
 - ١٨٪ من نساء أستراليا، تعرضن للضرب خلال عام واحد.
 - ٢٠ إلى ٦٠٪ من النساء في الدول النامية، يتعرضن للضرب داخل الأسرة أو من أزواجهن.
 - مليون و٨٠٠ ألف مُعَنَّفَة سنوياً في الولايات المتحدة الأمريكية.
 - ٦٪ نسبة المعنَّفات في كندا، وهي في حدود ٥١٪ في فرنسا^(١).
- هذه مجرد عينة من الأرقام والإحصائيات التي تشير إلى تزايد حالات العنف والإيذاء ضد النساء، وفي كل مكان من العالم، ويأتي الضرب في مقدمة المراتب في استخدام العنف الجسدي، وقد أفردنا هنا وسيلة الضرب عن بقية الوسائل لأنه أكثر الوسائل انتشاراً في العنف الأسري.

(١) موقع صفحة البلاغ <http://www.balagh.com/woman/trbiah/qg1df8w8.htm>

دراسات حول الضرب

تشير الكثير من الدراسات والبحوث والتقارير المتخصصة والتي أعد أغلبها المشتغلون في مجال التحليل النفسي، واعتمدت على المعلومات التي تبرعت بها السيدات اللاتي ترددن على العيادات النفسية طلباً للعلاج، وتمحورت التقارير والبحوث الأولى حول حالات ضرب الزوجة، ثم توسع نطاقها فيما بعد فشملت الأطفال والرجال والذين لم يترددوا على العيادات.

توضح البيانات المستقاة من أفواه اللاتي تعرضن للضرب أن حالات الضرب تحدث في شكل انفجار من الغضب شديد للغاية، بحيث يضرب الرجل في أي مكان يطوله من جسد المرأة، كما يضرب يديه ورجليه ويستعين بأية أداة أو آلة أو قطعة أثاث تقع في طريقه، كما يطول الإعصار كل ما اعترض طريقه من أثاث ومعدات وملابس، والجيران إذا قرر أحدهم التدخل. لذلك كثيراً ما تترك الضحية تواجه المصير المظلم وحيدة (Gayford, 1975).

بعض الزوجات يقابلن الاعتداء بالبكاء أو التوسل أو محاولة تفادي اللكمات، لكن بعضهن لا يستسلمن بسهولة، بل يدافعن عن أنفسهن بقوة، وقد يتفوقن أحياناً على الزوج المعتدي، فكثير من الزوجات في دراسة (Gelles, 1972) اعترفن بأنهن لا يجدن صعوبة في التغلب وخصوصاً إذا كان مخموراً.

تهتم الدراسات الأمبريقية بعدد معين من المتغيرات المستقلة والتي ترد عادة

في أغلبها مثل التعليم، والسن، ونوع العمل، والحالة الاقتصادية، وخصائص الحي السكني، وخصائص المسكن.

فمستوى التعليم متغير هام في دراسة العنف العائلي، وتؤكد البيانات أن حوادث الضرب تكثر بين غير المتعلمين أو الذين حصلوا على تعليم بسيط، ويبدو أن حصول الزوجة على نصيب أوفر من التعليم يخلق جواً من التوتر وعدم التوازن يؤدي إلى ردة فعل من قبل الزوج، فيعوض النقص من جانبه باحثاً عن المناسبات التي يستخدم فيها تفوقه العضلي (Gayford,scott,1974).

تشير نتائج بعض الدراسات إلى أن غالبية مرتكبي جرائم العنف من الذكور صغار السن الذين تتراوح أعمارهم ما بين (١٥ - ٢٤ سنة) (التير، ١٩٩٠م، ٣١٩). ويتوقع أن يتسبب في غالبية أحداث العنف العائلي من هم في فئة الشباب، لكن نتائج الدراسات في هذا المجال تقدم معلومات متباينة، فقد وجد أحد الباحثين أن غالبية الرجال الذين ضربوا زوجاتهم تراوحت أعمارهم ما بين الأربعين والخمسين سنة (Gelles) بينما كان متوسط أعمار الزوجات المضروبات في دراسات أخرى (٣٩) و (٣٧) سنة. (Snell.1964.faulk,1974).

تؤكد نتائج بعض الدراسات على أن لطبيعة العمل دخلاً في هذا اللون من السلوك، فقد بينت نتائج بعض الدراسات أن أصحاب المهن التي تحتاج إلى القوى العضلية أكثر من احتياجها إلى توظيف العقل ميالون إلى الشجار وإلى استخدام القوة لحل النزاعات. فمثلاً أوضحت إحدى الدراسات إن الأحياء التي يسكنها عمال المناجم في المدينة الصناعية، تكون في الغالب مسئولة عن نسبة كبيرة من حوادث العنف العائلي (Scott,Gayford) ودخل عمال المناجم ليس هو الدخل العالي، كما أن أحياءهم السكنية ليست هي الأحياء الراقية في المدينة. أي كأن العنف العائلي إحدى الظواهر الاجتماعية المرتبطة بالفئات الاجتماعية الدنيا في المجتمع. بعض الباحثين قال هذا صراحة وأورد النسب العالية المرتبطة بالفئات الاجتماعية التي في أسفل سلم التدرج الاجتماعي (Scott) لكن نتائج دراسات

إمبيريقية أخرى لا تؤكد هذا الرأي ولا تجد فروقاً هامة بين معدلات الطبقات الاجتماعية المختلفة في هذا الشأن (Borland, 1976) وبالطبع فإن بعض هذه الاختلافات راجع لوجود اختلافات هامة في خصائص العينات التي اعتمد عليها في جمع البيانات.^(١)

كما أن لنوع الثقافة التي يحملها المجتمع دوراً مهماً في ممارسة هذا اللون من ألوان العنف، أضف لذلك شخصية أفراد الأسرة في تقبل الضرب أو رفضه.

وقد أشارت الكثير من الدراسات العالمية إلى أن أكثر أنواع العنف الأسري المستعمل هو الضرب المبرح والمسبب للجراح، أو الضرب الخفيف، وكذلك هذه الدراسة فقد وجدت أن العنف الأسري يتراوح بين التهديد بالضرب والضرب الخفيف والضرب المبرح، والحرمان من الضروريات والإجبار على العمل والطرده من المنزل. ولقد أشارت الدراسة إلى أن التهديد بالضرب يمثل (٢٢٪) من العنف العائلي بل وكعمل يومي، وأن من يألفون الضرب الخفيف لا يزيد على (١٦٪) أسبوعياً، وأن الضرب المبرح لا يحدث كثيراً، إذ لا يمثل الضرب اليومي أكثر من (١٦٪) ولا يتعدى (٧، ٨) كاعتداء أسبوعي، ولو أن الحرمان من الضروريات يمثل حوالي (١٨٪) كعمل أسبوعي لكن ربما لا يكون من مجالات اهتمامنا ونحن نركز على العنف الأسري الجسدي المباشر. والغريب في هذه الدراسة أنها وجدت أن ما يزيد على (٢١٪) من العينة كانوا يجبرون على العمل أسبوعياً، وأن (١٩٪) كانوا يتعرضون للحبس يومياً.

إن ما هو هام في هذه النتيجة - من حيث تصنيفات لأنواع العنف الأسري - هو وجوده في الدول العربية بهذا التوزيع، ولو أن الضرب المبرح والخفيف والتهديد بالضرب كلها أشياء متوقعة لأنها نمط عالمي للعنف العائلي، ولكن ما يدعو للوقفة هو وجود نسبة معتبرة من العنف العائلي في شكل حرمان من الضروريات، والإجبار

(١) العنف العائلي، د. مصطفى عمر التير، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، ص ٢٥-٢٧.

على العمل والحبس، المسألة التي تستحق المزيد من الدراسة.

وحتى في الأنماط التقليدية من العنف الأسري العربي يلاحظ أن حوالي (٢٢٪) من العنف هو في شكل تهديد بالضرب، وأن هذا يتم يومياً، أي كسلوك متواتر دائماً ووسط العائلة العربية، ولكن الضرب الحقيقي حتى ولو كان خفيفاً فإنه يمثل (١٦٪) من أنواع العنف الأسري، ولو أن هذا يتم أسبوعياً فهذا يشير إلى انتظام الضرب أسبوعياً في عدد لا يستهان به من الأسر العربية. وربما تكون النسبة أكبر في الواقع مع العلم أن كل أفراد الأسرة عادة لا يودون كشف هذه الأمور.

ومن النتائج التي أشارت لها هذه الدراسة أن غالبية أحداث العنف تتم داخل الأسرة خلال فترة بعد الظهر وقد كان ذلك بنسبة تزيد على (٣٢٪) وبصورة دائمة. وأما النسبة التي تليها في الوقت فقد كانت منتصف الليل، ويبدو من أن النسبة الكبيرة في أن العنف الأسري يتم بعد الظهر، فيبدو أن هذه هي فترة النشاط داخل منزل الأسرة وذروة الحركة وهي فترة العودة من العمل حيث تكثر المناقشات والمنازعات بين الزوجين.

إن بعض نظريات علم النفس تشير إلى أن الزوج عندما يتصادم في مكان العمل وبالذات مع رؤسائه لا يرد على ذلك، ويحمل معه شحنات وافرة من الغضب الخفي إلى المنزل، ولكنه يفرغ كل تلك الحملات ضد زوجته عندما يرجع من العمل وذلك لسبب بسيط، لكنه يكون المحرك لاستبدال الغضب ضد الرئيس إلى الغضب ضد الزوجة. (Gatharsis theory. 1970)

كما أن نتائج نفس الدراسة تؤيد هذا التفسير لأنها وجدت أن أكثر من (٤٦٪) من حالات العنف الأسري تتم في فترة بعد الرجوع من الخارج، وهذا يؤكد أن الزوج لا يرد على التوترات والاستفزازات والتوبيخ والإنذارات التي يصادفها في العمل، وتحمل كل هذه الشحنات وتفرغها في الزوجة عند أول عودة له بالمنزل حيث

أن الزوجة هي الهدف السهل للنيل منه.^(١)

وتشير هذه الدراسات حول ضرب الأزواج لزوجاتهم إلى انتشار هذه الظاهرة في كل المجتمعات المعاصرة، وأن المجتمعات العربية والإسلامية ليست استثناء، وبرغم ندرة الدراسات الميدانية عن تلك المجتمعات؛ إلا أن الشيء المؤكد هو وجود هذه الظاهرة، وتزايد انتشارها، خصوصاً مع تضاعف القلق والتوتر النفسي بسبب الحياة المعاصرة، والتي تؤدي بدورها إلى ممارسة الضرب وغيره من أشكال العنف العائلي كتنفيس عن تلك الشحنات والتوترات المتراكمة في داخل كيان الإنسان، وإن كان ذلك غير مبرر شرعاً ولا عقلاً، لكنه أمر واقع وموجود.

(١) العنف الأسري في ظل العولمة، د. عباس أبو شامة عبد المحمود، ود. محمد الأمين البشري، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض - السعودية، طبع عام ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص ٣٦-٣٨.

٩ - نتائج وآثار الضرب

للضرب ضد الزوجة والأولاد نتائج سلبية متعددة تنعكس على مسيرة الحياة العائلية، ويمكننا تلخيص أهمها في الأمور التالية:

١- تحطيم الشخصية:

من الآثار المدمرة للضرب هو تحطيم الشخصية، وتحولها إلى شخصية ممسوخة غير قادرة على بناء ذاتها، والاعتماد على نفسها، فتنشأ شخصية محطمة، مصابة بالإحباط والقنوط والتذمر من كل شيء حولها.

كما أن الضرب يجعل الشخص المضروب فاقداً للثقة بنفسه، مهزوز الإرادة، ضعيف الرأي، وقد يعبر عن ضعفه هذا بممارسة أعمال بهلوانية للفت أنظار المجتمع نحوه، فقد يمارس الصراخ بصوت مرتفع، أو التمرد على قيم المجتمع وعاداته، أو القيام بممارسات وتصرفات بصورة مضحكة.

٢- الإصابة بالأمراض النفسية:

يعمل الضرب على إصابة المضروب بالعديد من الأمراض والعقد النفسية، فالضرب ليس علاجاً، وإنما يؤدي إلى تفاعلات داخل النفس تسبب في النهاية إلى الإصابة بأمراض وعقد نفسية خطيرة ومدمرة.

فالضرب - كما يرى الأستاذ يوسف أسعد ميخائيل - مجرد وسائل لقمع

بعض المظاهر السلوكية الخارجية البادية للعيان. أما بالنسبة لدخيلة الشخص الذي يتلقى الضرب، فإن ثمة نتائج نفسية تعتمل في دخيلته، تتأتى عما يعانیه نتيجة تلقّيه له، لعلنا نقوم باستعراضها على النحو التالي:

أولاً- احتدام التفاعلات الخبرية: فالضرب يشكل خبرة سلبية، تحمل في طياتها مجموعة من الانفعالات، أهمها الخوف والغضب والحَقُّ والرغبة في الانتقام من الشخص الذي يوقع الضرب على المرء، وهذه الخبرات التي تتواكب مع تلقّي الضرب من المربي، تأخذ في التفاعل خبرياً، مع المركّب الخبري الذي سبق أن تراكب خلال المواقف التي تلقى فيها المرء الضرب، فيتأتى عن كل تفاعل خبري جديد تال للتفاعلات الخبرية السابقة التي حدثت في قوام الشخص الذي يضرب، ازدياد ذلك المركّب الخبري تراكباً وتعقيداً.

ثانياً- تكوين العقدة النفسية: وهذا المركّب الخبري الذي يتشكل عند الطفل أو المراهق، الذي يتلقى الضرب، هو ما نسميه بالعقدة النفسية. وهي تركيبة نفسية غير قابلة للضعف تلقائياً، بل إنها قابلة للزيادة في شدة التعقيد، وفي القابلية للتفاعل مع جميع المثيرات التي تقبل التفاعل معها، وعلى رأسها الضرب ووسائل التخويف المختلفة.

ثالثاً- التعبير المقلوب: على أن العقدة النفسية التي تشكلت في القوام النفسي للطفل أو المراهق أو الشاب أو الكهل أو الشيخ، قد تعبر عن نفسها بشكل غير صريح، بل بشكل مقنع. فبدلاً من أن يبدي المصاب بالعقدة النفسية الخوف والهلع، فإنه يبدي ما يظن أنه شجاعة وتهور ونزق.

رابعاً- الغضب الإسقاطي: والعقدة النفسية التي تتراكب على التوالي بسبب الضرب الذي يتلقاه الطفل أو المراهق من المربي، يمكن أن تعبر عن نفسها بطريقة إسقاطية، أي أن صاحب العقدة النفسية، يقوم بتمثيل الدور نفسه الذي حدث معه من جانب المربي أو المربين الذين أذاقوه عذاب الضرب، مع اختلاف مقاعد التمثيل. فهو يلعب دور من قام بضربه، ويحل الشخص الذي يضربه محله، سواء بالخيال أم

بالفعل. فالعقدة النفسية تجد لها منفذاً تعبر عن نفسها من خلاله عن طريق الإسقاط projection. بيد أن الإسقاط لا يعتبر تفريراً انفعالياً، بل لا يعدو أن يكون مجرد صدى وانعكاس للعقدة النفسية التي تكونت وتبلورت وتمكنت من جهاز المرء النفسي.

خامساً- الأحلام المزعجة والكوابيس: وإمعاناً في الاستخفاء فإن العقدة النفسية، قد تعبر عن نفسها بطريقة لاشعورية في أثناء الغطيط في النوم، وذلك عن طريق ما يترأى لصاحب تلك العقدة النفسية من أحلام مزعجة، ومن كوابيس تأخذ به كل مأخذ. وقد يفوق من نومه منزعجاً، وقد لا يكون استيقاظه كاملاً، بل ينخرط في النوم somnambulism، فيهرع جارياً وصارخاً، وقد رانت عليه أخيلة مرعبة بأن وحشاً مفترساً يلاحقه، ويتقدم نحوه للإجهاز عليه.^(١)

ويمكن تلخيص تأثيرات الضرب والعنف بمختلف أشكاله على نفسية الطفل بالأمور التالية:

١- يؤثر العنف والعقاب البدني على كيمياء المخ التي تتحكم في ردود الأفعال للطفل. فمثلاً تقل نسبة السيروتونين وهو الموصل العصبي المختص بالمزاج، مما يؤدي بالطفل إلى الاكتئاب، ويجعل استجاباته عنيفة للضغوط العصبية.

٢- يتوقع الطفل الخطر باستمرار، ويبالغ في تفسيره لتصرفات الآخرين على أنها تهديد شخصي له، كما يقل احترامه لذاته. وتتنح لديه العديد من المفاهيم السلبية منها.

٣- العنف والعقاب البدني طريقة غير مقبولة في المعاملة كوسيلة لفرض الرأي مما يقلل من قدرة الطفل على اكتساب مهارات التواصل الصحيحة مع الآخرين، فبدلاً من استخدام التحاور ومحاولة التأثير بالإقناع يلجأ لفرض رأيه باستخدام العنف.

(١) أثر الضرب في البيت والمدرسة، يوسف ميخائيل أسعد، دار غريب، القاهرة- مصر، طبع عام ١٩٩٩م، ص ٦٥-٦٨.

٤- العنف والعقاب البدني يجعل الطفل أكثر عرضة عن أقرانه للإصابة بالقلق، والخوف، والاكتئاب والاضطراب النفسي، وصعوبة التركيز والتحصيل الدراسي.

٥- العنف والعقاب البدني للطفل لا يقتصر أثره النفسي على اللحظة الراهنة لحياة الطفل، ولكن يمتد أثره إلى المستقبل في مراحل نضجه، ويعتمد هذا الأثر على مدة العنف وشدته وطبيعته وتكراره.

وتبين الدراسات أن ٥٠٪ من الأطفال المتعرضين للعنف البدني قد يعانون من مشاكل نفسية في المستقبل. ومن بين هذه المشاكل:

- الإدمان، وصعوبة تكوين علاقات مستقرة مع الآخرين، والعنف في السلوك.

- وفقدان العمل، وسوء معاملة أطفالهم جسدياً مستقبلاً.

- يصبحون أكثر عرضة للإصابة بضغط الدم، ومرض السكر، وأمراض القلب وغيرها.

- وعدم القدرة على السيطرة على مشاعرهم والنجاح اجتماعياً.

- تجدر الإشارة هنا إلى أن العنف يدور في دائرة إذا لم يتدخل العلاج بجدية

لمعالجتها فإنها تستمر من جيل إلى جيل.^(١)

فحتى لا يضاب أولادنا أو زوجاتنا بأمراض نفسية ندفع ثمنها في المستقبل، كما تدفع العائلة كلها حصاد تلك الأمراض، علينا الابتعاد عن استخدام الضرب والعنف بكافة أشكاله.

٣- تدمير طاقات الإبداع والابتكار:

إن الإبداع سمة مشتركة بين جميع الناس، فتتبدى في حياتهم، إذا ما تمتعوا بالحرية، في شق طريقهم على النحو الذي يريدونه. أما انسداد هذا الطريق المُفضي

(١) رعاية الأبناء ضحايا العنف، د. كلير فهيم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة - مصر، طبع عام ٢٠٠٧م، ص ١٤-١٥.

إلى تقديم إبداعات غير مسبوقة، بفعل الخوف من الضرب ومن العقوبات المتباينة، فإنه يعمل على قتل ما في قوامه من استعدادات للإبداع، فكم من خسارة نفسية يحدثها الضرب في الناشئة، ويحول بينهم وبين استثمار ما في جعبتهم من استعدادات إبداعية!^(١)

وقد أثبتت الدراسات الاجتماعية والتربوية أن النجاح والتفوق الدراسي كانا على الدوام من نصيب الأطفال الذين ينتمون إلى أوساط اجتماعية تتميز بهيمنة العلاقات الديمقراطية. وبينت هذه الدراسات أيضاً أن الإبداع والابتكار مرهونان بدرجة الحرية التي تمنح للأطفال في حركتهم وفي تلبية احتياجاتهم. يكمن جوهر الإنسان في حريته وقدرته على التفكير النقدي الفاعل، وبالتالي فإن التربية المتسلطة من شأنها تفرغ الإنسان من محتواه واستلاب جوهره الإنساني وقتل طاقة التفكير المبدع لديه، وحرمانه من هامش الحرية الضروري لتفتح شخصيته الإنسانية.^(٢)

فإذا ما أردنا أن ننمي طاقات الإبداع والابتكار عند أولادنا فعلينا أن نتعامل معهم باحترام وتقدير، وأن نزرع في أعماقهم الثقة بأنفسهم وبقدراتهم ومواهبهم الخلاقة.

أما ممارسة الضرب والعنف فإن ذلك سيدمر طاقات الإبداع والابتكار والاختراع عندهم، وسيؤدي ذلك إلى خسارة كبيرة على مستوى الأمة.

٤- تكوين شخصية سلبية:

يؤدي الضرب إلى تكوين شخصية سلبية تنظر إلى الأمور نظرة قاتمة، ومتشائمة تجاه كل شيء، ولا ترى إلا الجوانب المظلمة من الحياة. كما أن الطفل الذي يتعرض للضرب في حياته يفقد الثقة بنفسه وبكل قدراته وإمكانياته، ومن ثم يكون شخصاً غير قادر على تحمل أي مسؤولية، أو أداء أي واجب كبير، أو الالتزام

(١) أثر الضرب في البيت والمدرسة، يوسف ميخائيل أسعد، دار غريب، القاهرة- مصر، طبع عام ١٩٩٩م، ص ١٢٠-١٢١.

(٢) مجلة العربي، موضوع: الإرهاب التربوي، د.علي وطقه، العدد ٤٦٠، مارس ١٩٩٧م، ص ١٦٩.

بأي مهام تقع على عاتقه.

والمشكلة أن الضرب قد يمتد أثره إلى فترات ممتدة من حياة الإنسان، ولا يقتصر على اللحظة التي يمارس فيها الضرب ضده، مما ينعكس على شكل ممارسات سلبية يمارسها حتى عندما يكون كبيراً.

٥- إنتاج شخصية عنيفة:

من ثمار استخدام العنف والضرب ضد الأولاد إنتاج شخصيات عنيفة، فالأطفال الذين يُمارَسُ بحقهم الضرب سيكبرون وهم يحملون مواصفات العنف والقسوة ضد الآخرين!

وتحتاج التربية السليمة إلى التوازن الدقيق في التعامل مع الأطفال، فالقسوة الشديدة على الأطفال كما الليونة المفرطة لها أضرار جسيمة على مستقبل الأطفال وبناء شخصياتهم.

«ولقد دلت الإحصائيات على أن عدداً كبيراً من المجرمين ينتمون إلى بيوت كانت القسوة فيها هي القانون المعمول به، وكان الضرب وإلحاق الأذى هو الوسيلة التربوية»^(١).

وكشفت دراسة اجتماعية حديثة أن قمع الأبناء وتعنيفهم من قبل الوالدين أو أحد أفراد أسرهم يؤدي إلى انحرافهم لاحقاً، وأن غالبية المجرمين والمنحرفين كانوا مضطهدين أسرياً في طفولتهم.

كما أوضحت الدراسة أن الاستقرار النفسي للفرد في مراحل طفولته المبكرة يلعب دوراً مهماً ومؤثراً في بناء شخصيته وسلوكه، وأن درجة الانحراف لدى الأفراد غير الأسوياء تقاس بما تلقوه في طفولتهم من قسوة وتعذيب واضطهاد.^(٢)

(١) اعرف نفسك، د. فاخر عاقل، دار العلم للملايين، بيروت - الطبعة التاسعة ١٩٨٦م، ص ٢٠٣.

(٢) صحيفة الحياة، الاثنين ٨ محرم ١٤٣٠هـ الموافق ٥ يناير ٢٠٠٩م، العدد ١٦٧١٢، ص ٧.

وتبين من الدراسات النفسية أن هؤلاء الأطفال الذين يميلون إلى سلوك العنف والاضطرابات السلوكية الأخرى يرجع إلى تعرض هؤلاء لظروف بيئة قاسية تعتمد على الأوامر والنواهي، وتوقيع العقوبات العنيفة التي تقف دائماً في وجه رغباته، فتمتلئ نفسه بقدر هائل من الحقد والغضب والضغينة تنفجر في النهاية في شكل سلوك منحرف قد يكون غريباً على سلطة الوالدين أو من يمثلهما الأمر الذي يعرض الطفل إلى زيادة في سوء المعاملة والقسوة دون تقدير لمشاعره.^(١)

ولذلك نهى النبي عن التعامل مع الأطفال بالقسوة والشدة، فقد روي عن أم الفضل زوجة العباس بن عبد المطلب وهي مرضعة الحسين عليه السلام قالت: أخذ مني رسول الله صلى الله عليه وآله حيناً أيام رضاعه، فحمله فأراق ماء على ثوبه، فأخذته بعنف حتى بكى، فقال: «مهلاً يا أم الفضل إن هذه الإراقة الماء يطهرها، فأبي شيء يزيل هذا الغبار عن قلب الحسين عليه السلام»^(٢).

إذ أن الكبح ليس هو الطريقة الصحيحة لتربية الطفل فإنه يؤدي إلى إثارة القلق في نفس الطفل الذي هو من أقسى ألوان الصراع النفسي، إن عقاب الطفل لا يؤدي -على الأكثر- إلى تعديل سلوكه، وإنما يؤدي إلى أضرار جسيمة.

إن أحسن وسيلة لتربية الطفل هي التربية المهدبة الهادئة فإنها تؤدي إلى سلامة صحته الجسمية والعقلية.^(٣)

ومن الضروري أيضاً الابتعاد عن الليونة المفرطة فإنها لا تقل خطراً عن القسوة الشديدة لأنها تؤدي إلى تنشئة الطفل على عدم الإحساس بالمسؤولية، وعدم التقيد بأية ضوابط أو معايير قيمية أو أخلاقية، وعدم الاكتراث بحقوق الآخرين، وضعف الاعتماد على الذات.

(١) رعاية الأبناء ضحايا العنف، د. كلير فهميم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة - مصر، طبع عام ٢٠٠٧م، ص ٨٣.

(٢) مستدرک الوسائل، ج ٢، ص ٥٥٧، رقم ٢٧١٤.

(٣) نظام الأسرة في الإسلام، ص ١٣٦.

أما القسوة الشديدة فإن أخطارها واضحة حيث تؤدي بالطفل إلى التصرف بخشونة وغلظة، والإصابة بالأمراض والعقد النفسية، كما قد تؤدي إلى ارتكاب أعمال إجرامية.

وأفضل وسيلة للتربية السليمة هو التربية على قاعدة (حزم بلين)^(١).

٦- الانفصال العاطفي:

استخدام الضرب المبرح ضد الأولاد أو الزوجة يؤدي إلى الانفصال العاطفي بينهم وبين الزوج أو الأب، فالزوجة التي تتلقى الصفعات تلو الصفعات، والضربات تلو الضربات من زوجها، تشعر بكرهية ضد زوجها، ويؤدي ذلك إلى الانفصال العاطفي بين الزوجين، فلا يمكن للزوجة أن تشعر بالدفء العاطفي تجاه زوجها وهي تتلقى العنف منه!

وكذلك الأولاد الذين يتلقون دوماً وجبات من الضرب والقسوة من أبيهم يؤدي ذلك إلى تولد حالة الكراهية ضده، وعموماً ينتج عنه انفصلاً عاطفياً بينهم وبينه، وتزداد هذه الفجوة العاطفية كلما ازداد الضرب ضدهم!

وينظر الأولاد إلى الأب القاسي نظرة غير محترمة، ويتمنون أن يموت سريعاً، أو لا يعود إلى المنزل إلا بعد نومهم، أو عندما يسافر أن لا يعود، أو أن يصاب في يديه حتى يفقد القدرة على ممارسة الضرب ضدهم!!

وحتى لا يصل الأولاد إلى هذه المرحلة من التصورات والأمنيات ضد الأب فإن على الأخير تغذية أولاده بالحب والعطف والحنان، فالدفء العاطفي يؤدي إلى بناء شخصية سوية غير مضطربة ولا مهزوزة. كما يساهم في تقوية العلاقات والتواصل العاطفي بين الأب وأولاده، وبين الزوج وزوجته.

(١) أخلاقيات الرسول الأعظم ﷺ، عبدالله اليوسف، ص ٨٢.

٧-الهروب من المنزل:

أظهرت البحوث العلمية أن سبب هروب الأحداث والأطفال الصغار أحياناً من البيت، إنما يرتبط بقسوة الأب أو زوج الأم أو زوجة الأب، والضغوطات التي يمارسونها، والعقاب الشديد الذي يستخدمونه، والانتقاد المستمر للطفل، والاتهامات المتعددة التي يوجهونها إليه، وعدم الاكتراث به وبأعماله، وترك مراقبته، وشعوره -أي الطفل- بالإحباط والخوف والحرمان وغير ذلك من الأسباب الأخرى.

لذا فإن الآباء يوفرون الأجواء الملائمة لظهور هذه الحالات عند الطفل من خلال استخدامهم للقسوة والعنف فيتسببون في انحرافه وفساده.

فهل تدرون أيها الآباء، من هم الذين سيلجأ إليهم الطفل لو هرب منكم وابتعد عنكم؟ وهل تثقون بهم وتعتمدون عليهم؟^(١)

وللتدليل على ذلك، ذكر مدير مركز التنمية الأسرية في محافظة الأحساء عضو هيئة التدريس في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في الأحساء الدكتور خالد سعود الحليبي أن الأرقام الإحصائية لإحدى الدراسات البحثية، أشارت إلى أنه تم تسجيل هروب ٨٥٠ فتاة، العام الماضي [أي عام ١٤٢٨ هـ] نتيجة العنف الأسري في السعودية، واصفاً ذلك الأثر بـ«الظاهرة».

وأضاف أنه تم خلال العام الهجري ١٤٢٦ هـ تسجيل نحو ١٣٣٤ حالة هروب فتيات لنفس السبب، لافتاً إلى أن هناك مئات الحالات التي لا تسجل، مشيراً إلى أن بعض المختصين أكدوا أن ٧٠٪ من حالات الهروب سببها التحرش الجنسي داخل المنازل.

(١) دور الأب في التربية، د. على القانمي، دار النبلاء، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٤م، ص ٣٣١-٣٣٢.

جاء ذلك خلال محاضراته في ندوة للجمعية الوطنية لحقوق الإنسان. وبين الحلبي أن الحرمان العاطفي تسبب في دخول أكثر من ٨٦٪ من عينة البحث «في إحدى الدراسات البحثية» سجون النساء، بينما سجلت القضايا المادية الأخرى أقل من ١٤٪، مبيناً أن دراسة حديثة أشارت إلى تزايد عدد محاولات الانتحار بين النساء من ١١ إلى ١٦ حالة شهرياً، مضيفاً أن من آثار العنف الأسري استنساخ التجربة الإجرامية مستقبلاً، حيث ثبت أن ٩٥٪ من المعتدين على الأطفال تعرضوا هم أنفسهم للإساءة في طفولتهم، وأن ٧٨٪ من السجناء تعرضوا للإساءة في طفولتهم، وأن ٩٥٪ من العاهرات تعرضن للاعتداء الجنسي في طفولتهن، كما أن التعبير عن المزاج الانفعالي في أثناء الضرب يعطي الطفل أنموذجاً سيئاً للاقتداء به، حيث ثبت أن ٨٠٪ من متعاطي المخدرات تعرضوا للإساءة في طفولتهم.

وتطرق إلى أن الدراسات أشارت إلى أن أكثر الجانحين ينتمون إلى أسر مفككة، مضيفاً أن استطلاعاً أجرته الجمعية الوطنية لحقوق الإنسان أوضح أن ٣٥٪ من حالات العنف الأسري سببه ضعف الوازع الديني.^(١)

إن من المحتمل جداً أن يقع الأولاد الهاربون من المنزل أو المدرسة لدى تجار المخدرات أو الجنس أو بين أيدي شلل السرقة والانحراف، وهو الأمر الذي سيجعل الأولاد يقعون في أسفل درجات الانحطاط الاجتماعي والأخلاقي.

وقد بدأت تزداد ظاهرة الهروب من المنزل نتيجة لأسباب متعددة، ومن أبرزها:

ممارسة العنف والضرب والقسوة ضد الأولاد.

وحتى لا يكون الأمر كذلك، فإن على الأب أن يكون رحيماً بأولاده، مشفقاً عليهم، يستخدم تقنيات الحوار وأساسيات التفاهم معهم، ومع الزوجة، فبالهدوء

(١) صحيفة الوطن السعودية، الأربعاء ٢٦ ذو الحجة ١٤٢٩ هـ الموافق ٢٤ ديسمبر ٢٠٠٨م العدد (٣٠٠٨) السنة التاسعة.

تحل المشاكل العويصة، وبالحوار يُقضى على سوء التفاهم، وبالتوازن في التعامل يتحقق أهداف التربية السليمة.

فلنحذر الضرب، ونبتعد عنه قدر الإمكان وليكن سلاحنا التفاهم والحوار، وإذا ما اضطررنا للضرب فليكن بصورة غير مبرحة، ويهدف التأديب لا الانتقام.

٨- الانحراف الجنسي:

يتسبب ضرب الأطفال في الصغر في انحرافات جنسية لديهم في الكبر، وقد كشف بحث علمي حديث، أشرف عليه خبير في العنف المنزلي من جامعة نيوهامبشير، أن ضرب الأطفال يؤثر سلباً على حياتهم الجنسية عندما يبلغون سن الرشد. واستخلص البروفيسور موراي شتراوس من بحثه أن الأطفال الذين يتعرضون للضرب على مؤخراتهم، من المرجح أن يجبروا عندما يبلغون سن الرشد، شركاءهم على ممارسة الجنس بالإكراه (المازوشية) أو بدون اللجوء لأي وسيلة حماية خلال هذه الممارسات. وبالرغم من أن بعض الدراسات السابقة قد ربطت بين الضرب على المؤخرة والعنف الجسدي، فإن شتراوس يقول إن بحثه هو الأول الذي يكشف العلاقة بين العقاب البدني والسلوك الجنسي. شتراوس المدير المشارك في الإشراف على مختبر الأبحاث الأسرية في الجامعة، قام ببحثه في منتصف التسعينات من القرن المنصرم، حيث سأل فيه ٢٠٧ طلاب من ثلاث مدارس عما إذا كانت الممارسة الجنسية المازوشية - التي تعتبر انحرافاً جنسياً حيث يتلذذ فيها المرء بالتعذيب الذي ينزله به رفيقه أو رفيقته - تثيرهم. كذلك سألهم البروفيسور ما إذا كانوا تعرضوا للضرب على مؤخراتهم عندما كانوا أطفالاً. ووجد الخبير أن الطلاب الذين تعرضوا للضرب هم ربما أكثر عرضة بقرابة الضعف لممارسة المازوشية.

وضم البروفيسور نتائج هذه الدراسة مع نتائج ثلاث دراسات أخرى حديثة تبحث في العلاقة بين العقاب البدني وممارسة الجنس بالإكراه.

وقام شتراوس باستطلاع آراء ١٤ ألف طالب ثانوي في ٣٢ بلداً حول ردودهم على جملته: (تعرضت للضرب على مؤخرتي أو تعرضت للضرب المبرح كثيراً قبل سن الـ ١٢) وما إذا كانوا يختارون الإجابات التالية عن سؤاله: أوافق بشدة، أعارض بشدة، أعارض، أوافق. ويقول الخبير إنه وجد اختلافاً كبيراً بين الطلاب الذين قالوا إنهم تعرضوا للضرب كثيراً قبل بلوغهم الثانية عشرة وأولئك الذين لم يتعرضوا للضرب.

ووجد شتراوس أن الإجابات أظهرت أن الذكور وبنسبة ١٠٪ كانوا عرضة لإكراه شركائهم على ممارسة الجنس أو تهديدهم بإنهاء العلاقة في حال الرفض، فيما الإناث الأكثر احتمالاً لقيامهن بذلك هي ١٢٪^(١).

فممارسة الضرب والعنف بمختلف أشكاله ضد الأولاد لا يحميهم من الوقوع في الانحرافات الجنسية كما قد يتصور البعض؛ بل قد يدفعهم ذلك إلى ممارسة الانحراف الجنسي كتنفيس عن وضعهم النفسي.

وأهم ما يمكن أن يحمي الأطفال من الوقوع في أية انحرافات جنسية هو معاملتهم بلطف وحنان، وإشباع حاجاتهم المعنوية والعاطفية، وإتقان تربيتهم، وتوجيههم بحكمة ومنطق.

الفصل السابع

حتى لا يقع العنف الأسري

قواعد في التكيف الأسري

عندما ندقق في الكثير من حالات العنف الأسري وخصوصاً العنف بين الزوجين نجد أن أسبابها بسيطة وربما تافهة، وكان يمكن أن لا تقع لو اتبع الزوجان الحكمة في العلاقات الزوجية.

وحتى لا يقع العنف بين الزوجين ويكون التوافق والسلم الأسري هو السائد بينهما، ننصح الالتزام بمجموعة من القواعد في فن التكيف الأسري... منها:

١- إشاعة المودة:

لتكوين أسرة ناجحة يجب أن تقوم على المودة والرحمة بين أفرادها، فالمنزل الذي يسوده أجواء المودة والتعاطف والتراحم يكون منزلاً يتخرج منه أفراد أسوياء، أما المنزل الذي تسوده أجواء الاضطراب والعنف فإنه سيخرج أفراداً مضطربين.

«وقد أثبتت الدراسات الحديثة في علم النفس، أن الطفل الذي ينشأ في أسرة متحابية و متماسكة يكون بمنجى عن الأنانية والاعتداء على الغير، وقد تتبع العلماء أصول الاضطرابات النفسية فوجدوا أعراضها مستندة إلى مرحلة الطفولة المبكرة، وهي إما في السنوات الخمس أو الست التي يقضيها الطفل في ظلال أسرته قبل ذهابه إلى المدرسة.

إن السمات الشاذة البارزة عند المنحرفين ليست إلا امتداداً لمرحلة الطفولة،

وقد أفادت البحوث الكلينية، التحليلية أن البيوت التي يغشاها الود والتفاهم القائمان على الثقة والاحترام هي التي يتخرج منها الأسوياء من الراشدين.

أما البيوت التي تبث في نفوس الأطفال النقمة والحقد القائمين على الخوف والغضب هي التي تخرج للحياة قوافل المنحرفين والجانحين، فمن نشأ في بيئة عدائية لن يشعر بالصدقة في كبره أينما ذهب.^(١)

إن من أوثق الأسباب في تلاحم الأسرة وتماسكها هو شيوع المودة بين الزوج وزوجته، وعلى المرأة الناضجة أن تمنح زوجها الحب الخالص، وأن تستجيب لرغباته، وإلا فإنها تهدد حياتها الزوجية بالخطر، وتقضي على سعادتها الزوجية^(٢).

وقد أراد الله عز وجل أن يكون الزواج مولداً للمودة والرحمة كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٣).

ويرى العلامة الطباطبائي في تفسيره لهذه الآية الشريفة أن المودة والرحمة في العلاقة الزوجية من أهم الشروط لتأسيس علاقة زوجية ناجحة، إذ يقول (تفسيره) ما نصه: «إن كل واحد من الرجل والمرأة مجهز بجهاز التناسل تجهيزاً يتم فعله بمقارنة الآخر ويتم بمجموعهما أمر التوالد والتناسل، فكل واحد منهما ناقص في نفسه مفتقر إلى الآخر ويحصل من المجموع واحد تام له أن يلد وينسل، ولهذا النقص والافتقار يتحرك الواحد منهما إلى الآخر حتى إذا اتصل به سكن إليه لأن كل ناقص مشتاق إلى كماله وكل مفتقر مائل إلى ما يزيل فقره، وهذا هو الشبق

(١) نظام الأسرة في الإسلام، باقر شريف القرشي، دار الأضواء، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ص ١٠٥ - ١٠٦. نقلاً عن الأمراض النفسية والعقلية (ص ٧٤ - ٧٦).

(٢) نظام الأسرة في الإسلام، باقر شريف القرشي، دار الأضواء، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ص ١٠٥ - ١٠٦.

(٣) سورة الروم، الآية: ٢١.

المودع في كل من هذين القرينين.

وقوله: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ المودة كأنها الحب الظاهر أثره في مقام العمل فنسبة المودة إلى الحب كنسبة الخضوع الظاهر أثره في مقام العمل إلى الخشوع الذي هو نوع تأثر نفساني عن العظمة والكبرياء.

والرحمة نوع تأثر نفساني عن مشاهدة حرمان المحروم عن الكمال وحاجته إلى رفع نقيصته يدعو الراحم على إنجائه من الحرمان ورفع نقصه.

ومن أجلى موارد المودة والرحمة المجتمع المنزلي، فإن الزوجين يتلازمان بالمودة والمحبة وهما معاً وخاصة الزوجة يرحمان الصغار من الأولاد لما يريان ضعفهم وعجزهم عن القيام بواجب العمل لرفع الحوائج الحيوية فيقومان بواجب العمل في حفظهم وحراستهم وتغذيتهم وكسوتهم وإيوائهم وتربيتهم، ولولا هذه الرحمة لانقطع النسل ولم يعيش النوع قط^(١).

والفرق بين المودة والرحمة يعود إلى الجهات التالية:

١- المودة هي الباعثة على الارتباط في بداية الأمر بين الزوجين، ولكن في النهاية وحين يضعف أحد الزوجين فلا يكون قادراً على الخدمة، تأخذ الرحمة مكان المودة وتحل محله.

٢- المودة تكون بين الكبار الذين يمكن تقديم الخدمة لهم، أما الأطفال والصبيان الصغار، فإنهم يتربون في ظل الرحمة.

٣- المودة، غالباً ما يكون فيها (تقابل بين الطرفين) فهي بمثابة الفعل ورد الفعل، غير أن الرحمة من جانب واحد ذي إيثار وعطف، لأنه قد لا يحتاج إلى الخدمات المتقابلة أحياناً عندما يراد بقاء مجتمع معين، فأساس بقاء المجتمع هو

(١) الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ج ١٦، ص ١٣٥.

المودة، ولكن قد يحتاج إلى الخدمات بلا عوض والإيثار والرحمة، وبالطبع فإن الآية الشريفة تبين المودة والرحمة بين الزوجين.^(١)

وعندما تغيب المودة والرحمة بين الزوجين ينقلب الزواج إلى جحيم لا يطاق، ويكون الأولاد ضحية للعنف بين الزوجين، مما يؤدي إلى تشوهات جسدية، وأمراض نفسية لديهم.

فحتى لا يقع كل ذلك، لنعمل على إشاعة نسائم المودة، ورياح الرحمة بين جميع أفراد الأسرة.

٢ - تبادل المحبة

الحب المتبادل بين الزوجين أحد العناصر النفسية الهامة التي تلعب دوراً أساسياً على صعيد تفاهم الزوجين واستقرار الأسرة.

وقد رأت الكثير من الثقافات في المجتمع البشري، أن الحب والمودة المتبادلة هما من العوامل التي تساعد في الجذب والانجذاب والعلاقة بين الرجل والمرأة؛ فالحب غريزة قوية يمكنها القضاء على أنواع الاختلافات والتعارضات، وتحولها إلى نوع من الألفة والتعاون. ويعد الزواج والعلاقة الزوجية من أهم مجالات تجلي الحب في العلاقات الإنسانية، لا بل إنه الأساس في وجود هذه العلاقة واستمرارها.

وليس المهم في هذا البحث المحتوى النفسي والداخلي لهذا الإحساس، بل إن المهم هو تعريفه وموقعه الثقافي داخل المجتمعات. ففي المجتمعات التقليدية، يعد الحب ظاهرة نفسية تظهر بين الشبان، لكن لا يمكن أن نعتبرها أساساً ومعياراً للعلاقة الزوجية؛ إذ إن هناك عوامل اجتماعية أخرى تأخذ دوراً في هذه العلاقة. وقد جرت العادة في مجتمعات كهذه أن يهيب الوالدان والأقارب الآخرون مقدمات

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة البعثة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ١٩٩٢م، ج ٣، ص ٤٥٣.

الزواج، على أمل أن ينمو الحب بالتدرج بين الزوجين. في المقابل شاع في الغرب تصور جديد في مسألة الزواج، يعتبر أن الحب الرومانسي والشاعري هو المعيار لاختيار الزوج. والواضح أن الجوانب المثالية والخيالية هي الغالبة على الجوانب العقلية في هذا التصور، الأمر الذي جعل الأسرة تواجه مشاكل كبيرة؛ فإذا كان الحب هو المعيار الوحيد للزواج، فإن العائلة تفقد استمرارها وثباتها بمجرد زواله؛ ولهذا يرى بعض الباحثين في الغرب أن ارتفاع نسبة الطلاق ليست ظاهرة مفاجئة وراهنة، بل هي نتيجة وأثر لأمر قديم هو التصور الجديد للزواج؛ طبعاً الحب الكبير الدائم الذي لا يهتز هو أمر نادر، ولا يمكن المراهنة عليه في استقرار الأسرة، والدراسات النفسية والاجتماعية تؤكد هذا الموقف.

وقد كشفت الدراسات التي أجريت في العام ١٩٨٢م في إحدى مدن الهند عن انخفاض مستوى عاطفة الحب بين الأزواج الذين مضى على زواجهم أكثر من خمس سنوات، وبخاصة أولئك الذين جعلوا الحب معياراً أساسياً في علاقتهم الزوجية.

أما الذين أقاموا زواجهم على أساس تقليدي وبوساطة الأقارب، فقد ازداد العشق والمحبة بينهما أكثر من السنوات الخمس الأولى من زواجهم.

بناءً على ما تقدم، إذا كان استقرار الأسرة أمراً مطلوباً وحياتياً، وبما أن الحب المتبادل يلعب دوراً أساسياً في تحقيق هذه الأهداف، لذا كان من الضروري إعادة تحديد هذا المفهوم وتبين موقعه. إن الحب يمكنه أن يؤدي دوراً لا نظير له عندما يكون مبنياً على أساس متقن ومعقول، وعندما تكون الأمور الجاذبة واقعية بعيدة عن الأهواء الصيبانية والأحلام الكاذبة والخادعة، في هذه الحال يمكن للحب أن يقلل من الآثار السلبية لعوامل الاضطراب والاختلال.

وفي هذا المجال يقول بعض الباحثين: «يصبح الحب في الحياة الزوجية محل تقدير نما بهدوء وبشكل طبيعي. وحياته الألفة والأنس الانسجام في الطبع والأخلاق، وثمرته التلاؤم والعلاقة الدافئة الدائمة. على أساس هذا النوع من

الحب، يمكن بناء حياة سالمة مستقرة. أما الحب الانفجاري فهو كالحمي الشديدة التي تزول بعد انصباب العرق من الجسم المحموم».

ولعل هذه الملاحظات الواقعية التي دفعت عظماء الإسلام للحديث عن المحبة الزوجية، ولم يتلفظوا بأي كلام عن العشق الرومانسي.

إضافة إلى الجوانب الثبوتية في الحب، تجدر الإشارة إلى أن الجوانب الإثباتية تحتل مرتبة هامة في تثبيت العلاقة الزوجية، وقد يكون إظهار الحب بحد ذاته سبباً لزيادة المحبة.

وفي ما يتعلق بالتعبير عن الحب من قبل المرأة والرجل، فقد أشارت نتائج دراسات علم النفس إلى أن الرجال أقل ميلاً من النساء إلى التعبير الكلامي عن الحب. ويبدو أن دور العوامل الطبيعية في بروز هذا النوع من الاختلافات ليس أساسياً في مقابل دور العوامل الثقافية. من هنا، فإن ترويض آداب ومهارات التعبير عن الحب بين الأزواج عبر الطرق التربوية والثقافية يترك آثاراً هامة على مستوى استقرار وثبات العائلة.^(١)

إن الحب الحقيقي والمتبادل بين الزوج وزوجته كفيل بالقضاء على حالات التوتر والتشنج في الحياة الزوجية، أما عندما يكون الحب من طرف واحد أو لا يكون أصلاً، فإن أبسط اختلاف قد يؤدي إلى العنف أو التوتر العصبي.

وبعض الأزواج قد يحب زوجته لكنه يبخل بقول ذلك لها، غافلاً عن أن قول الزوج لزوجته (أحبك) لها فعل السحر في قلب المرأة! ومن هنا أوصانا الرسول ﷺ بقول ذلك، لأنه لا يخرج من قلبها، كما روي عنه ﷺ أنه قال: «قول الرجل للمرأة: إني أحبك لا يذهب من قلبها أبداً»^(٢).

(١) الإسلام والأسرة، حسين بستان النجفي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م، ص ٢٥٥ - ٢٥٨.

(٢) فروع الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، طبع عام ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ج ٥، ص ٥٧١، رقم ٥٩.

ويقول الإمام الصادق (عليه السلام): «لا غنى بالزوج عن ثلاثة أشياء فيما بينه وبين زوجته وهي الموافقة ليجتلب بها موافقتها ومحبتها وهوأها، وحسن خلقه معها، واستعماله استمالة قلبها بالهيئة الحسنة في عينها. وتوسعته عليها. ولا غنى بالزوجة فيما بينها وبين زوجها الموافق لها عن ثلاث خصال وهن: صيانة نفسها عن كل دنس حتى يطمئن قلبه إلى الثقة بها في حال المحبوب والمكروه، وحياطته ليكون ذلك عاطفاً عليها عند زلة تكون منها، وإظهار العشق له بالخلاصة والهيئة الحسنة لها في عينه.»^(١)

وإذا كانت المرأة أكثر حاجة للإشباع العاطفي من الرجل، إلا إن ذلك لا يعني أن الرجل لا يحتاج إلى مشاعر المحبة من زوجته، فهو أيضاً يحتاج إلى أن تشعره زوجته بالحب والإخلاص له.

يقول الرسول الكريم (ﷺ): «للرجل على المرأة أن تلتزم بيته، وتودده وتحبه وتشفقه.»^(٢) وقوله (ﷺ) أيضاً: «خير النساء الولود الودود.»^(٣)

وإذا ما تبادل الزوجان المحبة بينهما، وبينهما وبين أولادهم، فإن أوامر وتماسك الأسرة يكون قوياً جداً، بحيث أن أي خلافات أو سوء فهم لا يمكن أن يحول الحياة الأسرية الناجحة إلى أي توتر أو استخدام للعنف.

أما الحياة الزوجية التي يغيب عنها الحب المتبادل، أو تنعدم أي قيمة للحب بينهما، وتحل الكراهية محل الحب فإن أبسط الأمور وأنفها تتحول إلى معارك حامية تستخدم فيها كل أدوات العنف!!

وحتى نمنع ذلك، علينا أن نحول حياتنا الزوجية وكياننا الأسري إلى منطلق للحب الحقيقي بين أفراد الأسرة، ونزرع مشاعر الحب والمودة، ونقلع أشواك الكراهية والقسوة من بنينا العائلي.

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٧٥، ص ٢٣٧، رقم ٧٠.

(٢) مستدرک الوسائل، ميرزا حسين النوري الطبرسي، ج ١٤، ص ٢٤٤.

(٣) عوالي اللثالي، ابن أبي جمهور الأحسائي، ج ٣، ص ٢٩٣، رقم ٥٧.

٣- استخدام الكلمات الجميلة

إن من أهم الأمور التي تقوي الروابط الزوجية هو استخدام الكلمات والألفاظ الجميلة بينهما، فعندما تخاطب الزوجة زوجها بأجمل الألفاظ إلى قلبه، وبأحلى الكلام إلى عقله؛ فإنه سيزداد حباً لها، ووفاء وإخلاصاً تجاهها، وكذلك الزوج عندما ينادي زوجته بأحسن الألفاظ وأجملها، فإن ذلك يعمق الحب والمودة بينهما؛ خصوصاً وأن الزوجة تحتاج أكثر من الزوج إلى إسباغ الكلمات الحلوة لها، فكلمة (أحبك) تفعل فعل السحر في قلبها.

فالكلمات العاطفية والرومانسية مفيدة بين الزوجين لأنها تنمي المحبة بينهما، وتقضي على أي بوادر للشحناء أو البغضاء بين الطرفين، وهو ما ينعكس إيجاباً على الأطفال أيضاً.

أما الزوجة التي لا تجيد إلا الصراخ والعويل، ولا تلجأ إلا للكلمات القاسية والبذيئة والمثيرة للأعصاب فإن هذا مما يؤدي إلى وقوع العنف في الحياة الزوجية والأسرية.

وقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «أيما امرأة قالت لزوجها: ما رأيت قط من وجهك خيراً فقد حبط عملها»^(١) بل واعتبر أن الزوجة التي تغضب زوجها تكون في معصية الله تعالى حتى يرضى عنها، فقد سئل عليه السلام عن المرأة المغاضية لزوجها، هل لها صلاة أو ما حالها؟ قال: «لا تزال عاصية حتى يرضى عنها»^(٢).

ونحن نجد في مجتمعنا أن الكثير من حالات العنف الموجه ضد الزوجة من قبل زوجها سببه الرئيس هو استخدام الكلمات والألفاظ الجافة والقاسية، والتي

(١) الوسائل، الحر العاملي، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ج ٢٠، ص ١٦٢، رقم ٢٥٣١١.

(٢) الوسائل، الحر العاملي، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ج ٢٠، ص ١٦٢، رقم ٢٥٣١٢.

تنم عن سوء الأدب مع الزوج، وهذا الأمر ينعكس على الأطفال أيضاً.

فعلى الزوجة - كما الزوج - الابتعاد عن أية ألفاظ غير مقبولة، أو مؤذية، أو مثيرة للأعصاب أو مهيجة للغضب، حتى لا يقع العنف بين الزوجين، ويحصل التكيف الأسري.

يقول الإمام السجاد عليه السلام وهو يعدد فوائد القول الجميل: «القول الحسن يثري المال، وينمي الرزق، وينسى في الأجل، ويحبب إلى الأهل، ويدخل الجنة»^(١)، فالقول الحسن من فوائده هو التحبب إلى الأهل، وتقوية التماسك الأسري، وتنمية ثبات العائلة واستقرارها.

٤- اتباع منهج التسامح

طبيعة الإنسان أنه يصيب ويخطئ، والخطأ كما يحصل في العلاقات الاجتماعية، وفي أماكن العمل والوظيفة، وفي أي مكان، يحصل أيضاً في الحياة الزوجية، فقد يخطأ الزوج تجاه زوجته، وقد تخطأ الزوجة تجاه زوجها، وحتى لا يتحول الخطأ إلى معركة حامية الوطيس بين الزوجين، عليهما اتباع منهج التسامح والعفو واللين، والتغاضي عن صفات الأمور وسفاسفها، وإلا تحول أي خطأ، أو سوء فهم، أو مشكلة صغيرة إلى عامل مساعد في استخدام أساليب عنيفة في الحياة الزوجية وهو ما يؤدي إلى فسادها، ومن ثم انهيارها بالكامل.

يقول الدكتور علي القائمي: «إن سوء الخلق والفظاظة في التعامل وعدم تحمل الآخرين يقف وراء الكثير من المشاكل والنزاعات التي تعصف بالحياة الأسرية، بل يمكن القول بأنها نار مجنونة تلتهم الأخضر واليابس وتحوله إلى هشيم تذرره الرياح.

لقد أثبتت الدراسات إن سوء الخلق والإساءة في التعامل وعدم التحمل

(١) الوسائل، الحر العاملي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، ج ١٢، ص ١٨٦، رقم ١٦٠٣٨.

يؤدي إلى الشيخوخة حيث يغزوه الشيب قبل وقته، كما أثبتت البحوث أيضاً أن أكثر أمراض القلب والأمراض العصبية إنما تنشأ بسبب النزاعات وعدم التحمل، خاصة لدى الأزواج المغامرين، إضافة إلى أن الحياة تفقد معناها إذا تحولت إلى جحيم مستعرة بسبب هذه الأخلاق.

إن الأجواء المتشنجة والمتوترة التي يصنعها التعامل الفظ، والأساليب القمعية في الأسرة تعرض الأطفال إلى خطر كبير، حيث تتأثر نفوسهم الغضة ويصيبهم الدمار الذي لا يمكن إصلاحه، كما يُفقدون الشعور بالطمأنينة التي هي أكبر حاجة لتنشئة الطفل نشأة سليمة؛ هذا إذا لم يحدث الانفصال الذي يعرض الأطفال إلى أخطار حقيقية مدمرة، وقد يسلمهم إلى الضياع والشوارع والليل»^(١).

ثم إن انفصال الزوجين بالطلاق وتمزق حياة الطفل بين الأبوين إما يدفع الطفل إلى الجنوح والشذوذ والجريمة، وحسب [القارئ] الكريم أن يعلم أن الإحصائيات التي أجريت في مختلف بلاد العالم قد أثبتت بما لا يقبل الشك أن معظم المنحرفين يردون من بيوت هدمها الطلاق وسكنتها زوجة الأب أو زوج الأم»^(٢).

وكان يمكن منع كل ذلك لو اتبع الزوجان منهج التسامح، والغض عن الأمور الصغيرة والتافهة، وتغليب مصلحة استمرار الحياة الزوجية على هدمها بسبب الانجرار وراء مواقف غير منطقية.

ويحسنا أئمة أهل البيت عليهم السلام إلى الإحسان إلى الزوجة والتسامح عن أخطائها وعثراتها، فعن إسحاق بن عمار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما حق المرأة على زوجها الذي إذا فعله كان محسناً؟ قال: يشبعها ويكسوها وإن جهلت غفر لها،

(١) الأسرة وقضايا الزواج، د. علي القاسمي، دار النبلاء، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م، ص ٧٢.

(٢) اعرف نفسك، د. فاخر عاقل، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة التاسعة ١٩٨٦ م، ص ٢٠٢.

وقال أبو عبدالله عليه السلام: كانت امرأة عند أبي عليه السلام تؤذيه فيغفر لها»^(١) وقال الإمام الصادق عليه السلام أيضاً: «رحم الله عبداً أحسن فيما بينه وبين زوجته فإن الله عز وجل قد ملكه ناصيتها وجعله القيم عليها»^(٢).

فإذا أردنا أن نقضي على أية جذور للعنف بين الزوجين، فإن من المهم للغاية أن يتبع الزوجان منهج التسامح تجاه أخطاء أحدهما على الآخر، والعفو عن الهفوات التي تصدر من أي منهما، ومعالجة أية مشكلة بالهدوء والحوار، وتناسي الأخطاء والمشاكل السابقة، وتعميق السلم الأسري.

٥ - القيام بالواجبات وأداء الحقوق

الأسرة تقوم على حقوق وواجبات متبادلة، إذ يجب على كل من الزوج والزوجة القيام بواجباته، وتوفير الحقوق التي للطرف الآخر، فحقوق الزوج على زوجته تعتبر واجبات بالنسبة لزوجته يلزمها القيام بها، كما أن للزوجة حقوقاً على زوجها، وهي واجبات بالنسبة للزوج ويلزمه القيام بها.

وتعيش الأسرة في راحة وسكون وسعادة عندما يقوم الزوجان بواجباتهما وحقوقهما تجاه بعضهما البعض، في حين أن الحياة الزوجية تتحول إلى شقاء وتعاسة عندما يقصر أحدهما عن القيام بواجباته تجاه الآخر.

ومن حقوق الزوج على زوجته هو عدم خروجها من المنزل إلا بإذنه، وتمكين نفسها متى ما أراد الزوج ذلك إلا إذا كان هناك مانع شرعي يمنعها من القيام بواجباتها تجاه زوجها.

وقد تضافرت الروايات بذلك، وهي تدعو المرأة إلى طاعة زوجها، فقد ورد

(١) الوسائل، الحر العاملي، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ج ٢٠، ص ١٦٩، رقم ٢٥٣٣٠.

(٢) الوسائل، الحر العاملي، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ج ٢٠، ص ١٧٠، رقم ٢٥٣٣٤.

عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أَيُّمَا امْرَأَةً خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِهَا بِغَيْرِ إِذْنِ زَوْجِهَا فَلَا نَفَقَةَ لَهَا حَتَّى تَرْجِعَ»^(١) وقال ﷺ أيضاً: «أَيُّمَا امْرَأَةً خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِ زَوْجِهَا بِغَيْرِ إِذْنِهِ، لَعْنَهَا كُلُّ شَيْءٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، إِلَى أَنْ يَرْضَى عَنْهَا زَوْجُهَا»^(٢).

فخروج المرأة من المنزل، وخصوصاً إذا كان منافياً لحق الزوج في الاستمتاع بزوجه، أمر محرم، وعليها إطاعة زوجها في الخروج وعدمه، وكذلك في التمكين التام له، أما غير ذلك فلا يجب على الزوجة إطاعة زوجها، إلا أنه عليها أن لا تتمرد على زوجها، أو تتصرف بطريقة وكأن الزوج عبداً لها أو خادماً عندها، لأن هذا يفسد الحياة الزوجية، ويؤدي إلى حدوث تشنج وتوتر في الحياة الزوجية. كما أن على الزوج أن لا يتصرف مع زوجته وكأنها خادمة تعمل لديه، أو جارية تحت يديه، وإنما هي إنسان كامل الإنسانية، وعليه أن يتعامل معها بكل احترام وتقدير.

وإطاعة الزوجة لزوجها، وعدم تصرف الزوج مع زوجته كمستبد أو دكتاتور، يؤدي إلى نجاح الحياة الزوجية، وبناء أسرة سعيدة، وغير ذلك قد يؤدي إلى العنف بين الزوجين، وربما الانفصال بالطلاق، وهدم كيان الأسرة.

٦- فهم كل طرف للآخر

إن وجود التفاهم المتبادل بين الزوجين يساهم كثيراً في استقرار الحياة الزوجية، والعيش بسعادة ومودة؛ فالتفاهم حول مختلف الأمور والقضايا الزوجية والحياتية، وفهم كل طرف للآخر فهماً صحيحاً، بما فيه فهم السيكولوجية النفسية، والتفكير العقلي، وما يريحه أو يزعجه، وما يهدئ أعصابه ويشيرها، كل ذلك يساعد على نجاح الحياة الزوجية، وتجاوز أية خلافات قد تحصل بسهولة ويسر.

أما غياب التفاهم والتحاور الهادئ بين الزوجين، أو عدم فهم كل طرف

(١) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ج ٣، ص ٢٧٣، رقم ٨.

(٢) مستدرك الوسائل، ميرزا حسين النوري الطبرسي، دار الهداية، بيروت - لبنان، الطبعة الخامسة ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، ج ١٤، ص ٢٥٨، رقم ٨.

للآخر، فهذا يؤدي إلى نشوء صراعات بينهما، ومع مرور الزمن يتحول إلى ضربات عنيفة، وخصوصاً من قبل الزوج تجاه زوجته.

فكثير من المشاكل الزوجية تنشأ لأن كل طرف لا يفهم الآخر، أو يجهل خصوصياته وشؤونه الخاصة، ولا يتنازل كلاهما عن بعض أذواقه وخصوصياته للآخر؛ مما يؤدي إلى تراكم المشاكل، وتزايد التشنج بينهما، ومن ثم قد يحصل العنف بمختلف أشكاله.

وحتى لا يصل الأمر لتلك المرحلة، على كل طرف أن يفهم الطرف الآخر بصورة عميقة، وأن يتنازل كلاهما عن بعض خصوصياته وذاتيته، وأن يتم التحوار والحوار الهادئ بينهما لحل أية مشكلة أو خلاف أو سوء فهم، وبذلك نقضي على أية جذور للعنف قبل نموها واستطالتها.

٧- الاحترام المتبادل

يقوي الاحترام المتبادل بين الزوجين أو أواصر الحياة الزوجية، ويقضي على أية بذور للمشاكل والأزمات التي قد تحدث لأية أسباب كانت، وتعاليم الإسلام تؤكد على ذلك، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾^(١) ومن أبرز مظاهر التكريم الإلهي هو الاحترام بين بني البشر، أما الاحتقار والإهانة والسخرية فهي أمور محرمة، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءِ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٢).

كما تؤكد التعاليم الإسلامية على أهمية الإحسان إلى الزوجة وإكرامها قال رسول الله (ﷺ): «من اتخذ زوجه فليكرمها»^(٣)، قال الإمام الصادق (عليه السلام):

(١) سورة الإسراء، الآية ٧٠.

(٢) سورة الحجرات، الآية ١١.

(٣) مستدرک الوسائل، ميرزا حسين التوري الطبرسي، ج ١، ص ٤١٢، رقم ١٠٢٣.

«رحم الله عبداً أحسن فيما بينه وبين زوجته، فإن الله عز وجل قد ملكه ناصيتها وجعله القيم عليها»^(١) فاحترام الزوج لزوجته يؤدي إلى تنمية أو اصر الحياة الزوجية، وكذلك احترام الزوجة لزوجها، يزيده إخلاصاً وحباً لها. يقول الإمام الصادق (عليه السلام): «سعيدة سعيدة امرأة تكرم زوجها ولا تؤذيه وتطيعه في جميع أحواله»^(٢).

أما في حالة غياب الاحترام المتبادل فإن المشاكل تزداد يوماً بعد يوم بينهما، ويترك النزاع والخصام المستمر بينهما تأثيرات سلبية على حياة الأطفال ومستقبلهم.

إذ «إن طبيعة علاقة الزوجين أمر ذو أهمية خاصة في الصحة النفسية للطفل، فالوالدان كثيرا الخصام، ولا سيما إذا كان خصامهما على مرأى ومسمع من الأطفال وبحضورهم، يميل أطفالها عادة إلى تبني الخصام طريقة في الحياة ويكون تعلقهم بوالديهم وصلاتهم بهما مضطربة، فهم ينحازون إلى هذا أو ذاك ممن يعتبرونه مظلوماً ويتكتلون ضد من يعتبرونه ظالماً، ولكنهم في الوقت نفسه يميلون لمعاملة الواحد منهما معاملة الآخر له، فإذا كان الأب فظاً تجاه الأم ميالاً إلى إهانتها مال الأولاد -برغم عطفهم عليها ووقوفهم إلى جانبها- مالوا إلى مخاشنتها وعدم احترامها ومعاملتها بالطريقة المهينة التي يعاملها بها أبوهم.

وقل الشيء نفسه عن المرأة التي تحتقر زوجها، وتهينه أمام أولادها، وتكرر على مسمعه أنه لا ينفع لشيء، وأنه ليس من الرجولة في قليل أو كثير. إن أبناء مثل هذه المرأة ينشؤون على عدم احترام أبيهم وعلى الخوف من أمهم، ولكنهم في الوقت نفسه يشبون على استنكار عملها وعدم الموافقة عليه. ولعل الأهم من

(١) الوسائل، الحر العاملي، مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ج ٢٠، ص ١٧٠، رقم ٢٥٣٣٤.

(٢) الوسائل، الحر العاملي، مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ج ١٦، ص ٢٨٠، رقم ٢١٥٥٥.

هذا وذاك هو الأثر الذي تتركه هذه العلاقات المضطربة في نفسية الطفل ومواقفه وسلوكه، واعتقاده أن الحياة العائلية شر قائم على الخصام والعراك والإهانة والاحتقار ثم نقله هذا كله إلى حياته المقبلة ولا سيما العائلية»^(١).

وحتى لا يحدث كل ذلك، لنزرع بذور الاحترام لنا من قبل أولادنا، بأن يحترم كل طرف الآخر، وأن يظهر المودة والتقدير والاحترام والأدب بينهما، مما ينعكس بدوره على الأطفال. كما أن الاحترام المتبادل يقضي على أية تشنجات أو سوء فهم أو سوء تقدير بينهما، ويجعل الحياة الزوجية في غاية السعادة والاطمئنان والسكون والراحة من مختلف أبعادها.

وما يقوي أسس الاحترام بين الزوجين هو النظر إلى العلاقة الزوجية على أنها علاقة مقدسة ويجب احترامها، إذ تعتبر قداسة العلاقة من أهم العوامل التي تساهم في توجيه الزواج، والابتعاد عن البدائل المحتملة، والقناعة بلوازمها، وإيجاد الاستعداد الفردي والجماعي من أجل مواجهة العوارض والأضرار المحتملة في العلاقة الزوجية، حفظ وتثبيت العائلة، واعتبار الزواج حالة قيمة. أما سبب هذا الأمر، فيعود إلى أن قداسة واحترام ظاهرة ما يؤدي عند العموم إلى تقوية موقعها، وبالتالي تضعيف الحالات غير المناسبة الأخرى. ويعتقد كثير من الباحثين أن السبب الذي يقف وراء سقوط موقع العائلة الهام في الغرب؛ هو التوجه نحو نزع القداسة؛ إذ أن هذا التوجه يؤثر في جميع مجالات الحياة الاجتماعية، ومن جملتها العائلة، إذ أن فالزواج كان عملية مقدسة ودينية، ثم فقد هذه الحالة شيئاً فشيئاً، وأصبح عقداً مدنياً. وفي القرنين السابع عشر والثامن عشر ذهب عدد من المفكرين إلى أن الزواج جزء من قانون الطبيعة. وقد كتب فرنسوا فولتير *francois – Marie A* - Voltaire في قاموسه:

«الزواج عقد بين أفراد البشر، وقد اعتبرته الكنيسة الكاثوليكية عملية مباركة،

(١) اعرف نفسك، د. فاخر عاقل، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة التاسعة ١٩٨٦ م، ص ٢٠١ - ٢٠٢.

إلا أنه يوجد اختلاف كبير بين العقد والتبرك والقداسة، فالعقد عملية تشتمل على آثار مدنية، بينما القداسة بركة تعطيها الكنيسة للفرد».

وفي العديد من الآيات والروايات، قدم الإسلام الزواج باعتباره حالة مقدسة، سواء كان ذلك بنحو صريح أم بنحو التلويح. وتبين النماذج الآتية الاتجاه الإسلامي القيمي والمقدس إلى العائلة:

- قال الرسول الأكرم (ﷺ): «النكاح سنتي، فمن رغب عن سنتي فليس مني». (١)

- وقال (ﷺ) أيضاً: «تزوجوا وزوجوا، ألا فمن حظ امرئ مسلم إنفاق قيمة أئمة» (٢)، وما من شيء أحب إلى الله عز وجل من بيت يعمر في الإسلام بالنكاح، وما من شيء أبغض إلى الله عز وجل من بيت يخرب في الإسلام بالفرقة، يعني الطلاق». (٣)

وكان يعقوب (عليه السلام) يشجع ابنه على الزواج قائلاً: «إن استطعت أن تكون لك ذرية تثقل الأرض بالتسييح فافعل». (٤)

- وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «ركعتان يصليهما غير متزوج أفضل من سبعين ركعة يصليهما غير متزوج». (٥)

وما يدل على التوجه الإسلامي الخاص في مسائل الإطار الزوجي المقدس، تأكيد الروايات على مجموعة من القضايا، أهمها: التوصية بتعليم الأوعية المختلفة في جميع مراحل عقد الزواج، طلب الرحمة للوالدين بوساطة الأولاد الذين يتوفون

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ١٠٠، ص ٢٢٠، رقم ٢٣.

(٢) الأئمة: التي لا زوج لها بكرأ كانت أو ثيباً.

(٣) الوسائل، الحر العاملي، ج ٢٠، ص ١٦، رقم ٢٤٩٠٨.

(٤) الوسائل، الحر العاملي، ج ٢٠، ص ١٦، رقم ٢٤٩٠٩.

(٥) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ١٠٠، ص ٢١٩، رقم ١٥.

في مرحلة الطفولة، واعتبار سعي الرجل في سبيل عائلته بمنزلة عبادة وجهاد ذوي قيمة كبيرة، والإشارة إلى الثواب الأخروي لعمل الزوجة المنزلي، واعتبار حسن البعولة بمنزلة الجهاد مع الأعداء، والتأكيد على قيمة واستحباب الإشباع الجنسي المشروع.^(١)

فالاحترام المتبادل، يؤدي إلى استقرار العائلة وثباتها واستمرارها، أما غيابه فيؤدي إلى عكس ذلك، والنتيجة: صراع عنيف بين الزوجين، وعنف وصراخ وتدمير، وربما تنتهي الحياة الزوجية إلى التفكك والانفصال وتشرد الأطفال.

٨ - التقارب الثقافي

يلعب التجانس الثقافي والفكري بين الزوجين دوراً أساسياً في الحياة المشتركة ونجاحها، ويشتمل على أنواع عديدة: كالاشتراك في اللغة، والدين، والقومية، والنظام القيمي والاعتقادات. ومما لا شك فيه أن التجانس الثقافي بمعناه العام، يعد من الشروط الضرورية للحياة البشرية الهادئة، وهو أهم منطلق للوفاق والتعاقد؛ ومرد ذلك إلى ما يحمله التجانس من آثار في مستوى إرساء المحبة المتبادلة، والتخفيف من الاختلافات وحل المشكلات. من جهة أخرى، ويؤدي فقدان الأرضية الثقافية المشتركة إلى تعقيد العلاقات الإيجابية، ويجعل الأفراد يعيشون في جزر مجزأة ومستقلة.

وقد أوضحت الشواهد الكثيرة أن الاختلاف بين الزوج والزوجة في المجالات الدينية والقومية، والطبيعية وحتى الجغرافية، يؤدي إلى ارتفاع مقدار التوقعات في بعض المسائل؛ مثل: حقيقة ومضمون العلاقات الزوجية، وهذا بدوره يهيج الأرضية الضرورية للاختلاف وتزلزل الأسرة. بينما يساهم التجانس الثقافي والفكري بينهما في إيجاد تحديد دقيق لحقيقة هذه العلاقات، ويرفع من

(١) الإسلام والأسرة، حسين بستان النجفي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م، ص ٢٣٠ - ٢٣٢.

مستوى التفهم المشترك، وهذا يبعث على ثبات الأسرة واستقرارها.

وتجدر الإشارة إلى أن التجانس الثقافي يصل إلى أعلى مستوى عندما يشترك الزوجان في العناصر الثقافية العامة، وفي المكونات الثقافية الجزئية. ويمكن دعوى أن الاختلافات الزوجية في العصر الراهن، تعود إلى المكونات الثقافية الجزئية في الغالب، وذلك بسبب تبدل العديد من القيم والاتجاهات وحلول قيم وتوجهات جديدة مكانها. وبخصوص أهمية التجانس في المكونات الثقافية الجزئية ودوره في استقرار العلاقات المتقابلة، يكتب أحد المختصين في مجال العلاقات:

«لو فرضنا مجموعة أو طبقة تشترك في تفاصيل ثقافية دقيقة، لوجدنا أن أعضاءها أقدر على التفاهم وإدراك بعضهم بعضاً، ولكانوا أكثر دقة على جذب بعضهم بعضاً، فكل ثقافة تؤمن لأعضائها أرضية مشتركة، تصبح منشأ للاتفاق في ما بينهم؛ وتجعلهم يتصرفون بشكل واحد ومنسجم، وأكثر قرباً من بعض، وأكثر تأثيراً في علاقاتهم».

ومن الجدير ذكره أن تأثير التجانس الثقافي يتجلى عندما يكون الزوجان ملتزمين بالعقائد والأفكار والقيم الثقافية التي يحملونها، وعلى هذا الأساس، فإن مقدار تأثير التجانس الديني في استقرار الزواج، منوط بمقدار التزام الزوج والزوجة بالدين وقيمه. أما إذا كان أحد الزوجين مقيداً بالدين، مصراً على التزام تعاليمه، وكان الآخر لا يهتم إلا بالظواهر، فإن التجانس هنا لن يشكل الشرط الضروري للحياة المشتركة، ولن يترك آثاره المطلوبة، ولن يتمكن كل واحد منهما من إيفاء الدور الموكل إليه تجاه الآخر.^(١)

إن التقارب الثقافي والفكري بين الزوج وزوجته يساعد على خلق حالة من الارتياح النفسي، والانسجام العقلي، والتفاهم حول مختلف الأمور. أما في حالة انعدام التقارب الثقافي، والتباعد الفكري فإن كل شيء بسيط يمكن أن يحول الحياة

(١) الإسلام والأسرة، حسين بستان النجفي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م، ص ٢٥٩-٢٦١.

الزوجية إلى صراع عنيف!

ومن هنا، يأتي أهمية اختيار شريك الحياة، بحيث يكون الطرف الآخر قريباً فكرياً وثقافياً معه، فهذا مما ينمي حالة الانسجام بين الزوجين.

ثمة مسألة أخرى في هذا الجانب وهي ليس مطلوباً الاتفاق في كل شيء، وإنما المطلوب التقارب الثقافي، وحتى في حالة الاختلاف الثقافي بين الزوجين، عليهما أن يتعلما أصول إدارة الاختلاف، وعدم السماح بأن تتحول وجهات النظر إلى معارك ثقافية صدامية، لأن ذلك سيفسد العلاقة الزوجية.

وكلما تقارب الزوجان ثقافياً وفكرياً انسجما معاً في قالب واحد، فالزواج الناجح ما هو إلا انصهار روحيين في بوتقة واحدة، أما الزواج الفاشل فهو بروز أرواح متعددة في صورة شخصين!

٩- الانسجام العاطفي والجنسي

إن من أهم الأمور التي تساهم في نجاح الحياة الزوجية، وتثبيت الاستقرار والسعادة فيها هو الانسجام العاطفي والجنسي بين الزوجين، فهذا الانسجام المهم يساهم في القضاء على أية خلافات أو سوء فهم، كما أنه يقضي على أية هموم أو غموم ناتجة من طبيعة الحياة المعاصرة.

فإذا ما وجدت زواجاً ناجحاً فاعلم أن وراءه انسجام عاطفي وجنسي تام.

وإذا ما وجدت زواجاً فاشلاً، وتسوده الصراعات والنزاعات والخلافات، وتبادل الاتهامات، واستخدام اللكمات والضربات؛ فإن وراءه غياب تام للانسجام العاطفي والجنسي.

إن «انفصال الزوجة عن زوجها جسدياً، مما يوجب شيوع الكراهية بينهما، يقول الدكتور (فرانك س كايريود) إنه بموجب الإحصائيات الحديثة فإن أكثر الطلاق في الوقت الحاضر مسبب عن فقدان الانسجام الجنسي. ويقول الدكتور

هاملتون: إن عدم التوافق الجنسي يجثم دائماً في قرارة كل زواج فاشل، فإن كل المشكلات الأخرى التي تلابس الزواج يمكن أن يغضي عنها الزوجان لو أن التوافق الجنسي استتب بينهما^(١).

وعادة ما يتحدث الزوجان في مجتمعنا عن خلافات ظاهرية أخرى يكون سببها الحقيقي غياب التوافق والانسجام العاطفي والجنسي بين الزوجين، ولكن نتيجة للعادات والتقاليد الاجتماعية قد يخجل البعض من الحديث عن المشكلة الحقيقية المسببة لخراب الحياة الزوجية.

ويبقى الانسجام العاطفي والجنسي أكثر من أمر هام في حماية العائلة والأسرة من أية أساليب أو وسائل عنفية كالضرب والطم والطرء... وغيرها. فلا يمكن لزوج يحب زوجته، ومنسجم معها عاطفياً وجنسياً أن يمارس العنف ضدها، كما لا يمكن لزوجة منسجمة مع زوجها ومتوافقة معه أن تمارس العنف - ولو اللفظي - ضد زوجها.

ومن الأمور التي تجعل الانسجام الجنسي مستمراً في رحلة الزواج الطويلة هو استجابة المرأة لزوجها متى ما أراد، فعن أبي جعفر عليه السلام قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله ما حق الزوج على المرأة؟ فقال لها: أن تطيعه، ولا تعصيه، ولا تصدق من بيته إلا بإذنه، ولا تصوم تطوعاً إلا بإذنه، ولا تمنعه نفسها وإن كانت على ظهر قتب^(٢)، ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه، وإن خرجت بغير إذنه لعنتها ملائكة السماء وملائكة الأرض وملائكة الغضب وملائكة الرحمة حتى ترجع إلى بيتها^(٣) وفي حديث آخر عن الرسول ﷺ أنه قال: «وتعرض نفسها

(١) نظام الأسرة في الإسلام، باقر شريف القرشي، دار الأضواء، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ص ١١٧.

(٢) القتب: رحل صغير على قدر السنام.

(٣) الوسائل، الحر العاملي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ج ٢٠، ص ١٥٨، رقم ٢٥٣٠٠.

عليه غدوة وعشية»^(١) وفي حديث ثالث: قال عليه السلام أيضاً: «أن تجيبه إلى حاجته وإن كانت على قتب»^(٢).

فتمكين الزوجة نفسها لزوجها متى ما أراد يزيد من التوافق والانسجام العاطفي والجنسي، بما يؤدي إلى نجاح الحياة الزوجية، وتعميق التوافق الأسري.

وبما أن الإشباع الجنسي أحد الأهداف الهامة لتشكيل العائلة على المستوى الكلي، وهو من الوظائف الأساسية للرباط العائلي على المستوى الكلي، فإن أي اختلال يحصل فيه يؤثر بشكل طبيعي في العلاقة الزوجية. ولو تجاوزنا هذه القضية البديهية نسبياً، فإن الجدير بالاهتمام هو علاقة هذا الموضوع؛ أي العلاقة بين استقرار العائلة والاختلافات الطبيعية بين الرجل والمرأة في الميول الجنسية. ويمكننا الحصول على فهم أفضل لهذه العلاقة عندما نطالع نتائج الدراسات التجريبية التي أجريت في هذا الشأن.

المتعارف عليه في الدول الغربية حتى أوائل القرن العشرين أن المرأة لا تشعر بأي لذة بالمقاربة الجنسية، والرجل هو الوحيد الذي يمتلك ميولاً جنسية، إلا أن الدراسات الفيزيولوجية التي أجريت في العشرينات (١٩٢٠م) أدت إلى تغيير التصور السائد عندما اعتبرت أن الإشباع الجنسي يحتل أهمية خاصة لكلا الشريكين. وقد أخذت هذه الرؤية بالرواج تدريجياً، إذ يشتمل الزواج على علاقة جنسية للزوجين معاً.

منذ ذلك الحين، أخذ الرجال في الغرب بتطوير تقنياتهم الجنسية من أجل توفير أكبر لذة لزوجاتهم، وقد أدت هذه العملية إلى انخفاض مشكلة البرودة الجنسية عند النساء، وكمثال على ذلك: أفادت التقارير في العام ١٩٠٧م أن ٣/٤

(١) الوسائل، الحر العاملي، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ج ٢٠، ص ١٥٨، رقم ٣٥٣٠١.

(٢) الوسائل، الحر العاملي، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ج ٢٠، ص ١٥٨، رقم ٣٥٣٠٢.

من مجموع النساء في ولاية نيويورك الأمريكية لم يصلوا إلى أوج اللذة، وأن ٢/٣ من النساء في العام ١٩٢٠م يعتبرن ميول أزواجهن فوق الحدود العادية. أما في أواسط القرن العشرين، فقد أكدت ٢/٣ من النساء أنهن وصلن إلى أوج اللذة لمرة واحدة في كل ثلاث مرات، وأن ٤٥٪ من النساء اللواتي مضى على زواجهن أكثر من ١٥ سنة، كن يشعرن بالارتعاش، وقد وصلت هذه النسبة طبق بعض الدراسات إلى ٥٣٪ من النساء، وقد أظهرت أكثر النساء رضاهن للعلاقة الجنسية مع أزواجهن سوى ٥٪ من النساء اللواتي يفضلن علاقة جنسية أضعف مع أزواجهن. لكن، لا يمكن الاستفادة من هذا الأمر للقول إن الرجال والنساء يتساوون في الميول الجنسية؛ وهناك دراسات متأخرة أشارت إلى أن الرجال يولون أهمية للزواج من باب العلاقة الجنسية أكثر من النساء؛ ولهذا السبب، نلاحظ أن أسباب الطلاق في العديد من الحالات تعود إلى شكايه الرجال من عدم الإشباع الجنسي.

وأظهرت بعض الدراسات أن رفض الزوجة تلبية احتياجات الرجل الجنسية يؤدي إلى نوع من الاضطراب عند الرجل. أما المرأة فيظهر اضطرابها عندما تشعر بأنها فقدت محبتها عند الرجل.

وعلى هذا الأساس، فإن للإشباع الجنسي آثاراً على استقرار العائلة ودور الجنسين. وقد أولت الروايات أهمية لكلتا النقطتين؛ أي أهمية الإشباع الجنسي عند النساء، ودور الاختلافات الجنسية. أما في ما يتعلق بالنقطة الأولى، فقد أعطت أهمية كبيرة للإشباع الجنسي عند النساء في العلاقات الزوجية، واعتبرت أن هناك جانباً حقوقياً في الموضوع، وألزم الرجال بالتقيد بتأدية الحقوق.

أما في ما يتعلق بالنقطة الثانية، ومع التسليم بوجود الاختلافات الجنسية الطبيعية؛ فقد أكدت الروايات على الإشباع الجنسي للرجل أكثر من المرأة؛ لذا، فإن الروايات شجعت المرأة على تلبية حاجات زوجها الجنسية، دون تقصير في ذلك، وقد ذهب بعضها إلى مستوى الطلب من الزوجة عدم تطويل صلاتها؛ لكي لا تمنع الأزواج منها. واعتبر الإسلام أن تمكين المرأة زوجها من ضمن الحقوق

المسلمة التي أقرها الفقه الإسلامي للرجال.^(١)

لأن ذلك من الأمور المهمة في نجاح الحياة الزوجية، بيد أن كثيراً من المشاكل الزوجية تنشأ نتيجة لغياب الإشباع الجنسي والعاطفي، وهو أحد أسباب العنف بين الزوجين، فإذا ما أردنا علاقات زوجية سعيدة فمن المهم إتقان فنون الإشباع العاطفي والجنسي.

١٠- التوسعة على العيال

توسعة الزوج على عياله، وتوفير كل ما يحتاجونه مع توافر القدرة المالية، ومن جهة أخرى تفهم الزوجة لظروف زوجها المالية، وعدم الضغط عليه بما يرهقه، كل ذلك يساعد على استقرار الحياة العائلية، وشعور جميع أفراد الأسرة بالسعادة والراحة النفسية.

أما عندما يكون الزوج غنياً، لكنه يبخل على عياله، ولا يوفر لهم المقدار الواجب أو المستحب من النفقة، فإن ذلك يؤدي إلى البغضاء والكرهية بين الزوجين، وبين الأب وأولاده. بل قد يتمنون موته حتى يحصلوا على أمواله، فقد ورد عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قوله: «ينبغي للرجل أن يوسع على عياله لثلاثا يتمنوا موته»^(٢).

وفي مقابل ذلك تدعو الأحاديث الشريفة إلى التوسعة على العيال، فقد ورد عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام قوله: «أرضاكم عند الله أسبغكم على عياله»^(٣)

(١) الإسلام والأسرة، حسين بستان النجفي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م، ص ٢٤٣ - ٢٤٥.

(٢) الوسائل، الحر العاملي، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ج ٢١، ص ٥٤١، رقم ٢٧٨١٠.

(٣) الوسائل، الحر العاملي، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ج ٢١، ص ٥٤٠، رقم ٢٧٨٠٦.

وقال النبي ﷺ: «ليس منا من وسع عليه ثم قتر على عياله»^(١) وقال الإمام الرضا عليه السلام: «صاحب النعمة يجب عليه التوسعة على عياله»^(٢) وقال عليه السلام أيضاً: «إن عيال الرجل أسراؤه فمن أنعم الله عليه بنعمة فليوسع على أسرائه فإن لم يفعل أوشك أن تزول النعمة»^(٣).

ومن المعيب حقاً أن يجمع الزوج الملايين من الأموال وعائلته في وضع يحسدون عليه من الفاقة والحاجة، مما يسبب تفاقم المشاكل وتراكمها، وتزايد حالات الصدام والصراع مع الزوجة والأولاد.

ومن جهة أخرى قد تمر على الزوج أياماً صعبة، ويعيش في أزمات مالية خانقة، فعلى الزوجة أن تفهم ظروف زوجها، وتعذره وتقف معه في الضراء كما في السراء، وأن تكون إلى جانبه في الشدة كما في حالة الرخاء واليسر.

ومما يسبب العنف ضد الزوجة هو عدم تفهم ظروف زوجها المالية، والإلحاح عليه بالمطالبات التي لا تنتهي، وإظهار التذمر والتبرم منه، وهو الأمر الذي قد يدفع بالزوج إلى الغضب والهيجان، ومن ثم ضرب الزوجة والاعتداء عليها.

وحتى لا يقع كل ذلك، على الزوجة تفهم ظروف زوجها المالية في كل مرحلة، والإشفاق عليه، والقناعة بما تيسر. وعلى الزوج في حالة الغنى واليسر التوسعة على عياله، وتوفير ما يحتاجونه من أشياء وأمور الحياة، حتى يعيش جميع أفراد الأسرة بسعادة واطمئنان، وراحة وسلام، وتفاهم وانسجام، وحب واحترام.

(١) مستدرك الوسائل، ميرزا حسين النوري الطبرسي، دار الهداية، بيروت - لبنان، الطبعة الخامسة ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، ج ١٥، ص ٢٥٦، رقم ١٨١٥٩.

(٢) مستدرك الوسائل، ميرزا حسين النوري الطبرسي، دار الهداية، بيروت - لبنان، الطبعة الخامسة ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، ج ٢١، ص ٥٤٠، رقم ٢٧٨٠٧.

(٣) مستدرك الوسائل، ميرزا حسين النوري الطبرسي، دار الهداية، بيروت - لبنان، الطبعة الخامسة ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، ج ٢١، ص ٥٤١، رقم ٢٧٨١١.

النتائج والتوصيات

نتائج الدراسة

بعد أن وصلنا إلى نهاية دراسة ظاهرة العنف الأسري وأنواعها وأشكالها وأسبابها ونتائجها وآثارها نستطيع تسجيل النتائج المهمة التالية:

١- إن العنف الأسري قد تحول إلى ظاهرة مقلقة، وأن ضحاياها في تزايد مستمر، مما يستدعي وضع الحلول الجذرية لمعالجة هذه الظاهرة، ووضع استراتيجية ثقافية للوقاية منها قبل حدوثها.

٢- إن الزوجات يأتين في المقدمة في التعرض للعنف الأسري، ثم الأطفال، ثم الخادמות اللاتي يعشن مع الأسر، وأخيراً الأزواج الذين قد يتعرضون للعنف من قبل زوجاتهم أو أولادهم، وهذا يعني أن العنف الأسري يشمل كل أفراد الأسرة، ولكن باختلاف في النسب والتفاصيل.

٣- اتضح من خلال الدراسة أن العنف النفسي يأتي في مقدمة صور وأشكال وأنواع العنف، وأن أساليب التحقير والسب والشتم والإهانة في مقدمة أشكال العنف النفسي، ثم يأتي العنف البدني، ومن أهم أشكاله الضرب حيث تشير الأرقام والإحصائيات إلى شيوع هذا النوع من العنف البدني خصوصاً في المجتمعات العربية، يأتي بعد ذلك العنف الجنسي وتعدد أشكاله، وفي مقدمته يأتي التحرش الجنسي

٤- يُعد الإدمان على المخدرات والمسكرات، وضعف الوازع الديني، وغياب الثقافة الزوجية، وعدم التكافؤ في الزواج في مقدمة مسببات العنف الأسري، وبالرغم

من اختلاف أسباب العنف الأسري بين حالة وأخرى، ومجتمع وآخر إلا أن القاسم المشترك بينها يشير إلى وجود مسببات رئيسة تؤدي إلى ممارسة العنف الأسري.

٥- من خلال استنطاق النصوص الدينية الواردة في القرآن الكريم والسنة الشريفة يتضح رفض الإسلام لأي شكل من أشكال العنف، ومنه العنف الأسري، إذ تدعو النصوص الدينية إلى المعاشرة الزوجية بالمعروف كما في قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ وأن من أصدق مصاديق المعروف هو الإحسان إلى الزوجة، وإكرامها، والقيام بأداء واجباتها، واحترامها كإنسان كامل الإنسانية، أما الاعتداء عليها، أو الإساءة إليها، أو تحقيرها، أو ضربها فكل ذلك مخالف لمفهوم المعاشرة بالمعروف.

٦- يتضح من خلال الدراسة أن الالتزام بالإرشادات والوصايا والتعاليم الدينية في مجال الحياة الزوجية يؤدي إلى صناعة أسرة ناجحة، تتمتع بالسعادة الزوجية والمودة بين أفرادها، وبالتالي فمن يلتزم بالتعليمات الدينية لا يمكن أن يقع في دائرة ممارسي العنف الأسري ضد أي واحد من أفراد الأسرة، فالالتزام بتعاليم الدين خير وسيلة للوقاية من العنف الأسري.

٧- اتضح من خلال الدراسة أن بعض الرجال يفهمون بعض المفاهيم القرآنية بصورة خاطئة، كمفهوم القيمومة، ومفهوم إجازة ضرب الزوجات، فالقيمومة لا تعني سوى إدارة الرجل للأسرة، وليس التحكم أو السيطرة أو الاعتداء على الزوجة. كما أن إجازة ضرب الزوجة كما في قوله تعالى: ﴿وَأَضْرِبُوهُنَّ﴾ لا يجوز إلا في حالة واحدة هي حالة الشوز وبعد النصح والوعظ لها، ثم هجرها في المضجع، وبعد ذلك يجوز ضربها بصورة غير مبرحة لتنبهها على ضرورة العودة إلى زوجها وليس بهدف الانتقام منها، والاعتداء على حقوقها.

كما أن ضرب الأولاد لا يجوز إلا في موارد بسيطة واستثنائية، وبهدف التأديب وليس الانتقام، أما في غير ذلك فيترتب على ضرب الأولاد - كما الزوجات - غرامة مالية، وتعزيره بما يراه الحاكم الشرعي.

٨- تشير الدراسة إلى أن ممارسة العنف والضرب يؤدي إلى نتائج وآثار سلبية مدمرة لشخصيات المعنفين، وتحطيم قدراتهم العقلية والنفسية، وإصابتهم بالأمراض النفسية وربما الجسمية. كما يؤدي إلى الانفصال العاطفي بين الجلالد والضحية، وربما أدى إلى الطلاق والانفصال النهائي، ويكون الأطفال في هذه الحالة ضحية للعنف الزوجي.

لذلك توصي الدراسة بتجنب أي ممارسة عنفية ضد أفراد الأسرة، واستخدام الأساليب السلمية في حل المشاكل والخلافات الأسرية، والبحث عن الحلول الجذرية بدل الانسياق وراء ممارسات عنفية ضارة.

٩- إن بعض الخادومات في المجتمع الخليجي - كما في غيره - يتعرضن لأنواع مختلفة من العنف، مثل الإساءة النفسية لهن، أو الاعتداء الجسدي عليهن، أو الاغتصاب والتحرش الجنسي بهن، أو عدم إعطائهن رواتبهن الشهرية... وغيرها من أشكال العنف المختلفة.

وفي هذا المجال توصي الدراسة بأهمية الاطلاع على نظرة الإسلام إلى الخادومات، وأنهن بشر يجب احترامهن، ورعاية مشاعرهن، وأنه لا يجوز الاعتداء عليهن بأي شكل كان. كما أن من الضروري وضع مدونة عقوبات واضحة ضد كل من يمارس العنف ضدهن.

١٠- يتميز ممارسو العنف بخصائص ومميزات أشارت إليها الدراسة بالتفصيل، كما أن ضحايا العنف يتميزون كذلك بخصائص ومميزات يجب فهمها، وبالتالي العمل على تعديل سلوك الطرفين (ممارس العنف والضحية)، وهذا يتطلب تدريب كوادر مؤهلة، وتوفير أخصائيين نفسيين قادرين على القيام بهذه المهمة الكبيرة.

١١- اتضح من خلال هذه الدراسة أن بعض ضحايا العنف يفضلون السكوت والنصمت على التصريح بوقوع العنف ضدهم، وتختلف أسباب ذلك باختلاف الفئة الواقع عليها العنف، لذلك توصي هذه الدراسة بأهمية اكتشاف هذه الحالات لمساعدتها نفسياً واجتماعياً على تجاوز آثار وتداعيات العنف الذي تواجهه، وهذا يتطلب إعداد برامج خاصة للتعامل مع هذه الشريحة الصامتة من ضحايا العنف الأسري.

١٢- نظراً لتزايد ظاهرة العنف الأسري توصي هذه الدراسة بإعداد المزيد من الدراسات المتخصصة في علم النفس والتربية والاجتماع لدراسة هذه الظاهرة من مختلف أبعادها، والوصول إلى معالجات علمية وواقعية يمكن تطبيقها عملياً للتقليل من مخاطر العنف الأسري، ومنع وقوعها إن أمكن.

١٣- وضع برامج توعوية عن حقوق الإنسان، وزيادة التثقيف بأهمية احترام الإنسان مهما كان وضعه، وبغض النظر عن أية اعتبارات أخرى، وإنما التعامل مع الإنسان كإنسان محترم، يجب حماية حقوقه، وتعريف الفئات المعرضة للعنف بحقوقها المشروعة، والإبلاغ عن أية انتهاكات تمس الكرامة الإنسانية لهيئات وجمعيات حقوق الإنسان.

١٤- أشارت هذه الدراسة إلى مجموعة من القواعد الرئيسة التي تمنع وقوع العنف الأسري، وتساهم في التكيف الزوجي، ومنها إشاعة المودة وتبادل المحبة، واستخدام الألفاظ والكلمات الجميلة، واتباع منهج التسامح والعتو عن الأخطاء، وفهم كل طرف للآخر، والانسجام العاطفي والوجداني... وغيرها من القواعد التي يجب أن يتثقف بها المجتمع كي لا يقع العنف الأسري، وتؤكد الدراسة في هذا الإطار على أهمية الاستفادة من وسائل الإعلام المختلفة، وخصوصاً المرئية منها، لنشر التثقيف والتوعية بمثل هذه القواعد في التكيف الزوجي.

١٥- تشير الأرقام والإحصائيات المنشورة في هذه الدراسة إلى أن ظاهرة العنف الأسري ليس خاصاً بمجتمع دون آخر، أو بيئة دون أخرى، وإنما هي ظاهرة عالمية، ومنتشرة في كل المجتمعات الإنسانية، ومجتمعنا الخليجي ليس استثناء من هذه القاعدة، لكن توجد شحة في المعلومات والأرقام والإحصائيات عن ظاهرة العنف الأسري، وبالرغم من حصولنا على بعض الأرقام المتاحة إلا أنها لا تعكس حقيقة ما يجري خلف جدران المنازل، لذلك توصي هذه الدراسة بأهمية عمل دراسات ميدانية، وتوثيق حالات العنف الأسري، ووضع خطة لتشجيع الصامتين على الإبلاغ عما يتعرضون له من ممارسات عنيفة، حتى يمكن وضع استراتيجية واضحة المعالم لمعالجة ظاهرة العنف الأسري من مختلف جوانبها وأبعادها.

توصيات ومقترحات

أولاً- من أجل الوقاية من العنف الأسري أقترح التركيز على التوصيات التالية:

١- الإرشاد والتوجيه الديني:

للإرشاد والتوجيه الديني أثره الفاعل في الإنسان المسلم، فتعاليم ووصايا الإسلام تحث على الرحمة والمحبة بين أفراد العائلة كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾^(١) كما ينهى الإسلام عن الإضرار بالآخرين، وبالأولى العائلة كما في قوله ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»^(٢).

ولم تكتفِ تعاليم الإسلام بذلك بل فرضت عقوبات صارمة ضد ممارسي العنف بحق أفراد أسرهم، كما توعد من يمارس الاعتداء والظلم وتجاوز الحدود بالعقاب الشديد.

من جهة أخرى تحث الروايات والأحاديث على الصبر تجاه أذى الزوج، أو أذى الزوجة، فقد روي عن الرسول ﷺ في صبر الزوج على سوء خلق زوجته أنه قال: «من صبر على سوء خلق امرأته واحتسبه أعطاه الله تعالى بكل يوم وليلة يصبر عليها من الثواب ما أعطى أيوب عليه السلام على بلائه، وكان عليها من الوزر في كل يوم

(١) سورة الروم، الآية: ٢١

(٢) فروع الكافي، ج ٣، ص ٢٨٦، رقم ٤.

وليلة مثل رمل عالج»^(١).

أما في صبر الزوجة على سوء خلق زوجها فقد روي عن الرسول الأعظم ﷺ أنه قال: «من صبرت على سوء خلق زوجها أعطاه الله مثل ثواب آسية بنت مزاحم»^(٢).

فالصبر على أذى الزوج، وتحمل ما يمارسه من العنف ضدها، فيه ثواب عظيم، خصوصاً إذا كان بهدف الحفاظ على الكيان الأسري من التفكك، وعدم ضياع الأطفال أو تشريدهم.

كما ورد الحث الأكيد على وجوب قيام الزوج بحقوق الزوجة، فعن الرسول الأكرم ﷺ أنه قال: «حق المرأة على زوجها أن يسد جوعتها، وأن يستر عورتها، ولا يقبح لها وجهاً فإذا فعل ذلك فقد والله أدى حقها»^(٣) وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إن المرء يحتاج في منزله وعياله إلى ثلاث خلال يتكلفتها وإن لم يكن في طبعه ذلك: معاشرة جميلة، وسعة بتقدير، وغيره بتحصن»^(٤).

كما يجب على الزوجة القيام بواجباتها تجاه زوجها، فعن الرسول الأكرم ﷺ أنه قال: «لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»^(٥)، وقال الإمام الصادق عليه السلام: «لا غنى بالزوجة فيما بينها وبين زوجها الموافق لها عن ثلاث خصال وهن: صيانة نفسها عن كل دنس حتى يطمئن قلبه إلى الثقة بها في حال المحبوب والمكروه، وحياطته ليكون ذلك عاطفاً عليها عند زلة تكون منها،

(١) ميزان الحكمة، محمد الريشهري، مؤسسة دار الحديث الثقافية، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٤١ هـ، ج ٣، ص ١١٨٧، رقم ٧٨٩١

(٢) مكارم الأخلاق، ص ٣٢٩، الفصل الخامس: في حق الزوج على المرأة وحق المرأة على الزوج.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ١٠٠، ص ٢٥٤، رقم ٦٠.

(٤) بحار الأوار، العلامة المجلسي، ج ٧٥، ص ٢٣٦، رقم ٦٣.

(٥) فروع الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، طبع عام ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، ج ٥، ص ٥٠٨، رقم ٦.

وإظهار العشق له بالخلافة^(١)، والهيئة الحسنة لها في عينه^(٢).

فلو التزم الزوج والزوجة بالتعاليم والتوصيات الدينية لما حدث بينهما أي عنف أو أذى، إذ المطلوب هو المعاشرة بالمعروف، وإلا إذا كانت هناك مشاكل وعنف بين الزوجين تحول دون حميمية العلاقة الزوجية فتسريح بإحسان كما في قوله تعالى ﴿فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ﴾^(٣).

٢- نشر الثقافة الزوجية:

إن نشر الثقافة الزوجية بين المتزوجين يحميهم من الوقوع في العنف الأسري، إذ أن كثيراً ممن يمارسون العنف ضد عائلاتهم لا يتمتعون بنصيب وافر من الثقافة الزوجية، وبالتالي يكونون ضحايا للعنف لاضمحلال فهمهم وسطحية ثقافتهم للحياة الزوجية.

ومن المؤسف أن كثيراً من المقبلين على الزواج لا يكلفون أنفسهم قراءة بعض الكتب في الثقافة الزوجية بمختلف أبعادها وجوانبها، ومن ثم قد تتحول الحياة الزوجية إلى جحيم لا يطاق.

فإذا ما أردنا حماية الأسر من العنف الأسري فعلىنا نشر وتعزيز الثقافة الزوجية بكل مفرداتها، وتوضيح أسرار السعادة الزوجية، والتحذير من مخاطر استخدام العنف على استقرار الحياة الزوجية، وعلى بناء شخصيات الأطفال الذين يتعرضون لمشاكل نفسية وصحية بسبب العنف الذي يسود بينهم في المحيط العائلي.

ولعل في اكتشاف مهارات الزواج من خلال التحاق الشباب والشابات بالمراكز الخاصة بالثقافة الأسرية، وأخذ دورات خاصة عن كيمياء الحب والزواج، وكيفية صناعة بيت سعيد، بعيداً عن العنف بمختلف أشكاله، يشكل خطوة مهمة نحو نجاح التجربة الزوجية لكلا الطرفين.

(١) الخلافة: - بكسر الخاء- الخديعة باللسان أو القول الطيب.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٧٥، ص ٢٣٧، رقم ٧٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢٩

٣- تصحيح المفاهيم المغلوطة:

توجد مجموعة من المفاهيم المغلوطة والمنتشرة في أدهان بعض الرجال لممارسة العنف ضد الزوجات... من أبرزها ما يلي:

أ/ مفهوم قيمومة الرجال على النساء:

لقد تحدث القرآن الكريم عن قيمومة الرجال على النساء في قوله تعالى ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾^(١) ومعنى القيمومة في الآية الشريفة هو أن الزوج قوام بحقوق زوجته عليه، ومسؤول عن رعايتها والإنفاق عليها، وأن له عليها حق الطاعة في الاستمتاع بها وعدم الخروج من المنزل إلا بإذنه، فقوامية الرجال على النساء مرتبطة بالحياة الزوجية فقط، ولا تعني القيمومة أن يفرض الزوج أفكاره وقناعاته على زوجته قسراً وإنما للزوجة حق التفكير والتعبير عن الرأي شأنها في ذلك شأن الرجل، كما أن القيمومة لا تعني أن الرجل أفضل من المرأة من الناحية الإنسانية وإنما هو توزيع أدوار بما يتناسب مع كل من الجنسين، ومعيار التفاضل قائم على التقوى والعمل الصالح بغض النظر عن كونه ذكراً أو أنثى.

وللأسف الشديد فإن بعض الرجال يفهمون القيمومة بصورة مغايرة لهذا المفهوم، ويتصورون أن لهم الحق بالتحكم بالزوجة، وفرض ما يراه عليها بالقوة، واتخاذ أساليب عنفية لإثبات قيمومته عليها، في حين أن القيمومة لا تعني سوى أن الزوج مكلف بإدارة شؤون الأسرة.

ب/ مفهوم إجازة الضرب:

ورد في القرآن الكريم إجازة ضرب المرأة في حالة واحدة فقط، وهي حالة النشوز بعد مرحلة الوعظ والنصيحة ثم الهجران في المضجع، وبعدها يجوز

(١) سورة النساء، الآية: ٣٤.

للزوج ضرب الزوجة الناشزة بصورة غير مبرحة وليس مطلقاً كما قد يفهم بعض الناس ذلك.

يقول تعالي ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً﴾^(١) وقد ورد عن أبي جعفر (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في معنى الضرب: «إنه الضرب بالسواك»^(٢) أي أن يكون خفيفاً، غير مبرح أو مؤذ أو مضر. وقد نهى النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عن ضرب النساء بالخشب، يقول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «إنني أتعجب ممن يضرب امرأته وهو بالضرب أولى منها، لا تضربوا نساءكم بالخشب فإن فيه القصاص»^(٣).

فممارسة الضرب المبرح، وفي جميع الأوقات، وعند أدنى خلاف في الرأي، أو القناعات الفكرية والثقافية، أو بهدف إجبار الزوجة على القيام بما ليس بواجب عليها شرعاً... فكل هذا محرم، وقد تترتب عليه دفع غرامة مالية للزوجة إذا ما تجاوز الضرب الحد المسموح به شرعاً وهو في حالة واحدة فقط وهو نشوز الزوجة، ومع ذلك يجب أن يكون الضرب غير مبرح؛ أي بدون كسر عظم، أو قطع لحم، أو اسوداد في الجلد، وإلا وجب على الزوج دفع الدية المقررة في الكتب الفقهية، وقد يعززه الحاكم الشرعي بما يراه من عقوبة جسدية ردعاً له وتأديباً.

لذلك من المهم أن يفهم الزوج مثل هذه المفاهيم القرآنية حتى لا يستخدمها ذريعة لممارسة العنف ضد الزوجة أو أفراد الأسرة، فالإسلام لا يرضى بممارسة العنف بحق أفراد الأسرة، ولا يقبل بأية ممارسات فيها أي شيء من الظلم أو العدوان أو تجاوز الحدود.

(١) سورة النساء، الآية: ٣٤

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ الطبرسي، دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ج ٣، ص ٦٩.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ١٠٠، ص ٢٤٩، رقم ٣٨.

٤- التكافؤ في الزواج:

يعد التكافؤ في الزواج مهماً للوقاية من العنف الأسري، فعندما تكون الزوجة متكافئة مع زوجها من حيث العمر والثقافة والقناعات الفكرية والطبقة الاجتماعية فهذا يساعد على الانسجام النفسي والروحي والوجداني بين الزوجين، مما يحول الحياة الزوجية إلى مكان للسعادة والشعور بالرضا النفسي، وهو الأمر الذي ينعكس إيجاباً على التعامل بين الزوجين، ولا يكون للعنف أي مكان في مثل هذا الزواج الناجح.

أما عندما يفترق الزوجان أي تقارب بينهما، وتندم القواسم المشتركة، ويحل الخلاف محل التوافق، والصراخ محل التحاور، والكرهية محل الحب... فعندئذ يقع العنف الزوجي نتيجة لغياب التفاهم بينهما، وينجر ذلك إلى استخدام العنف ضد الأولاد، وقد يتحول الأطفال إلى ضحايا لغياب أي تكافؤ أو تفاهم أو تقارب بين الزوجين.

وحتى لا يقع ذلك، ونحمي الأسر من العنف منذ البداية على الطرفين التفكير ملياً في اختيار شريك الحياة، وعدم التسرع في اتخاذ القرار، لأن السرعة قد تؤدي إلى الدمار الأسري.

٥- إتقان فن مهارات التوافق الأسري:

إن إتقان الزوج والزوجة لمهارات التكيف الزوجي والتوافق الأسري قاعدة لا غنى عنها لتجنب الوقوع في العنف الأسري، إذ أن كثيراً من حالات العنف الأسري في مجتمعنا تقع نتيجة لخلافات تافهة، أو سوء فهم، أو انعدام القدرة على فهم الطرف الآخر.

لذلك من المفيد جداً أن يدخل من يرغب في الزواج دورة مكثفة يتعلم فيها مهارات التكيف الزوجي والتوافق الأسري حتى ينجح في صناعة كيان أسري

متماسك وقوي.

ونقصد بهذه المهارات مجموعة من السلوكيات والمهارات النفسية والذهنية والإدارية والثقافية لصناعة التوافق والتكيف الزوجي. ولعلّ من أهمها: فن التعبير عن الحب، فن التعبير عن المشاعر، فن الابتسام، فن إقناع الطرف الآخر بوجهة نظرنا، فن التفاوض والتفاهم، فن المعاشرة الزوجية، فن احتواء المشاكل والخلافات، فن التخلص من العصبية والغضب، فن صناعة السعادة الزوجية، فن المحافظة على الانجذاب الزوجي... وغيرها. وإن القدرة على ممارستها بفن ومهارة وحكمة، سينعكس على أجواء الحياة الزوجية، ويقضي على أية بذور لنشوء العنف داخل الأسرة.

6- المعرفة الحقوقية:

إن معرفة كل من الزوج والزوجة بحقوقهما وواجباتهما، يساهم في منع وقوع العنف بينهما، إذ أن بعض حالات العنف يعود سببها إلى غياب أي معرفة حقوقية، وهذا يفرض على جمعيات وهيئات حقوق الإنسان القيام بتبصير الزوجين بحقوقهما وواجباتهما حتى يعرف كل طرف ما له وما عليه، وهو ما يساهم في منع حدوث الصدام الناتج من ضعف المعرفة الحقوقية.

ثانياً - من أجل مواجهة تداعيات العنف الأسري:

للعنف الأسري سلبات وتداعيات على ضحاياها، لذلك أقترح التوصيات التالية:

1- تأسيس أماكن خاصة لحماية ضحايا العنف الأسري:

قد يتعرض بعض ضحايا العنف الأسري إلى الطرد من المنزل، والتشرد في الشوارع، وهو بدوره يؤدي إلى مشاكل كبيرة نفسية واجتماعية، وهو ما يحتم ضرورة تأسيس أماكن خاصة لحماية ضحايا العنف الأسري من الضياع والتشرد، أو

البقاء عنوة تحت رحمة سياط ممارسي العنف ضدهم، وفي كلتا الحالتين يتعرض الضحايا إلى مآسي خطيرة.

وقد بدأت بعض الدول بالفعل في تأسيس أماكن خاصة بالضحايا العنف، إلا أن ما هو موجود فعلاً غير كاف لتوفير أماكن خاصة للضحايا نظراً لتزايد حالات العنف الأسري.

٢- تقديم استشارات نفسية:

يحتاج ضحايا العنف إلى تقديم استشارات نفسية وأسرية، وربما اجتماعية لمعالجة التداعيات النفسية التي يصاب بها الضحايا، أو على الأقل التخفيف من آلامهم ومشاكلهم النفسية والعائلية والاجتماعية.

٣- سن تشريعات قانونية:

من المهم للغاية أن تكون هناك تشريعات قانونية واضحة لمعاقبة ممارسي العنف الأسري، وفي التشريعات الإسلامية الكثير من العقوبات التي يعاقب بها ممارسي العنف ضد عوائلهم وأسرتهم وأطفالهم.

ما نحتاجه فعلاً في عصرنا هو وضع مدونة عقوبات رادعة ضد ممارسي العنف الأسري كي يفكروا ألف مرة قبل أن يمارسوا عنفهم غير المبرر ضد ضحاياهم.

٤- الاستفادة من وسائل الإعلام:

تلعب وسائل الإعلام المختلفة وخصوصاً المرئية منها دوراً مؤثراً في التوعية والتثقيف، ويمكن الاستفادة منها في التثقيف الأسري، والتوعية بالثقافة الزوجية، ومعالجة المشكلات الأسرية والتي منها العنف الأسري.

ونظراً لتزايد حالات العنف الأسري، على الإعلام أن يعد برامج متنوعة في كيفية التعامل مع ضحايا العنف الأسري، ومعالجة تداعياته وآثاره السلبية على الأفراد والمجتمعات.

ويمكن للإعلام المرئي والمسموع استضافة عدد من الاستشاريين النفسيين والاجتماعيين للتحديث مباشرة مع ضحايا العنف الأسري، وتقديم العلاج النفسي والطبي لهم للتخفيف من آثار ومفاعيل العنف الأسري.

وتستطيع وسائل الإعلام أن تساهم بصورة كبيرة في معالجة آثار العنف، خصوصاً وأن الكثير من ضحايا العنف لا يستطيعون أو لا يرغبون التصريح لما يواجهون من عنف خلف جدران المنازل!

ولأن التلفاز أصبح في كل منزل، ويدخل بيوتنا من دون استئذان، عليه أن يمارس دوره الإيجابي في إيصال صوت العلماء والمتخصصين في علم النفس والتربية والاجتماع لكل من يحتاج إلى توجيه أو إرشاد أو تقديم استشارة، وأيضاً من أجل خلق توعية عامة ضد العنف الأسري بمختلف أشكاله وأنواعه، حتى نحمي أنفسنا وأولادنا وأسرنا من التفكك والضياع.

من جهة أخرى يستطيع الإعلام أيضاً أن يقوم بدور الرادع عن ارتكاب جرائم العنف الأسري؛ وذلك من خلال تسليط الأضواء على حوادث العنف الأسري، والإعلان عن كل جريمة عنف أسري يدان صاحبها في المحاكم من أجل خلق رادع اجتماعي قوي ضد ممارسي أعمال وجرائم العنف الأسري بمختلف صورته وأشكاله.

٥- تقديم مساعدات مالية:

يحتاج ضحايا العنف الأسري -بالإضافة إلى التأهيل النفسي- إلى مساعدات مالية توفر لهم الحد الأدنى من تلبية احتياجاتهم المادية والمعيشية، كي يشعروا بالأمان الاقتصادي، والعيش الكريم.

ويمكن توفير المساعدات المالية إما عن طريق الدولة أو الجمعيات الخيرية المهمة بمساعدة المحتاجين والفقراء، إذ يجب أن يشعر ضحايا العنف الأسري بالكرامة الإنسانية، والعيش بعزة وكرامة.

فهرس الآيات القرآنية

٢ - سورة البقرة

رقم الآية	الآية	الصفحة
١٨٢	فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصِيٍّ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا	٢٤٥
٢٢٩	فَأَمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ	٣١٧، ١٠٢
٢٨٦	لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا	١٥٦

٣ - سورة آل عمران

١٣٤	وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ	١٥٨، ١٥٧
١٣٤	وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ	١٥٨، ١٥٧
١٣٤	وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ	١٥٨، ١٥٧

٤ - سورة النساء

٣	فَاتَّخِذُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا	٢٣١
١٩	وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ	٣١٢، ١٠٢، ٨

العنف الأسري

رقم الآية	الآية	الصفحة
٣٤	إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا	٢٤٢
٣٤	الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَإِنْ أُطَعْتُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا	٣١٨
٣٤	وَاللَّائِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ....	٢٤١
٣٤	وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ	٢٤٠
٣٤	وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كِلَا مِّنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا	٣١٢، ٢٤٠
١٣٠		١٠٢

٥ - سورة المائدة

٩٠	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ	١٩٧
----	---	-----

٦ - سورة الأنعام

١٠٨	وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِّكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ	٥٤
-----	---	----

١٧ - سورة الإسراء

٣٢	وَلَا تَقْرُبُوا الزُّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا	٦٧
٧٠	وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ	٢٩٧

فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية	الآية	الصفحة
٢٣ - سورة المؤمنون		
٧	فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ	٧٠
٢٤ - سورة النور		
٣	الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ	٦٧
٢٥ - سورة الفرقان		
٧٤	وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا	١٣٦
٣٠ - سورة الروم		
٢١	وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً	٣٢
٢١	وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ	٢٧، ٢٣٢، ٢٨٦
٢١	وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً	٢٨٧، ٣١٥
٤٣ - سورة الزخرف		
٣٢	أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ	١٥٥

٤٨ - سورة الحجرات

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا
خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ...

٢٩٦

١١

فهرس الأحاديث والروايات الشريفة

إلا بإذنه، ولا تمنعه نفسها وإن كانت
 على ظهر قتب..... ٣٠٤
 أ يضرب أحدكم المرأة ثم يظل
 يعانقها..... ٢٣٥
 أيما امرأة آذت زوجها بلسانها لم
 يقبل الله منها صرفاً ولا عدلاً ولا
 حسنة من عملها حتى ترضيه... ١٤٧
 أيما امرأة خرجت من بيت زوجها
 بغير إذنه، لعنها كل شيء طلعت عليه
 الشمس والقمر، إلى أن يرضى عنها
 زوجها..... ٢٩٦
 أيما امرأة خرجت من بيتها بغير إذن
 زوجها فلا نفقة لها حتى ترجع ٢٩٦
 أيما امرأة قالت لزوجها: ما رأيت قط
 من وجهك خيراً فقد حبط عملها
 ٢٩٢
 أيما امرأة لم ترفق بزوجها وحملته
 على ما لا يقدر عليه وما لا يطيق

حرف الهمزة

- أبصر رسول الله ﷺ رجلاً له ولدان
 فقَبَّل أحدهما وترك الآخر، فقال
 ﷺ: «فهلأ واسيت بينهما؟» ١٣٦
 - أحبوا الصبيان وارحموهم ١٢٢، ١٣٠
 - أرضاكم عند الله أسبغكم على عياله
 ٣٠٧
 - أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف
 عرقه ١٥٦
 - أن تجيبه إلى حاجته وإن كانت على
 قتب ٣٠٥
 - أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُرَهَا
 إِذَا اكْتَسَبْتَ أَوْ اكْتَسَبْتَ وَلَا تَضْرِبَ
 الْوَجْهَ وَلَا تُقَبِّحَ، وَلَا تَهْجُرَ إِلَّا فِي
 الْبَيْتِ ٢٤٤
 - أن تطيعه، ولا تعصيه، ولا تصدق
 من بيته إلا بإذنه، ولا تصوم تطوعاً

- لم تقبل منها حسنة وتلقى الله وهو
عليها غضبان ١٤٨ -
- أيما امرأة هجرت زوجها وهي
ظالمة حشرت يوم القيامة مع فرعون
وهامان وقارون في الدرك الأسفل
من النار إلا أن تتوب وترجع .. ١٤٨ -
- إن إخوانكم خولكم جعلهم الله
تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت
يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما
يلبس ١٥٦ -
- إن ابني هذا ارتحلني فكرهت أن
أعجله حتى يقضي حاجته ١٣٤ -
- إن استطعت أن تكون لك ذرية تثقل
الأرض بالتسييح فافعل ٣٠٠ -
- إن العاقل يتعظ بالأدب والبهايم لا
تتعظ إلا بالضرب ٢٣٧ -
- إن المرء يحتاج في منزله وعياله إلى
ثلاث خلال يتكلفها وإن لم يكن في
طبعه ذلك: معاشرة جميلة، وسعة
بتقدير، وغيره بتحصن ٣١٦ -
- إن رسول الله ﷺ مرَّ على صبيان
فسلمَّ عليهم وهو مغدِّدٌ ١٢٩ -
- إن عيال الرجل أسراؤه فمن أنعم الله
عليه بنعمة فليوسع على أسرائه فإن
لم يفعل أو شك أن تزول النعمة ٣٠٨ -
- إن كان الله قد نزع الرحمة من قلبك
فما أصنع بك! من لم يرحم صغيرنا
ولم يعزز كبيرنا فليس منا ١٣١ -
- إنه الضرب بالسواك ٣١٩ -
- إنه كان يسلم على الصغير والكبير
١٢٩ -
- إنني أتعجب ممن يضرب امرأته وهو
بالضرب أولى منها ٢٣٥ -
- إياك والغضب فأوله جنون وآخره
ندم ١٧١ -
- اتقوا الله في الضعيفين: اليتيم
والمرأة، فإن خياركم خياركم لأهله
٢٣٦ -
- اتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ
أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمُ
فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ
لَا يُؤْثِرْنَ فُرُوسَكُمْ أَحَدًا تَكَرُّهُنَّ، فَإِنْ
فَعَلْنَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مَبْرَحٍ
٢٤٣ -
- اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم كما
تحبون أن يبروكم ١٣٦ -
- انطلق ولا تغضب. ثم عاد إليه
فقال له: انطلق ولا تغضب- ثلاث
مرات- ١٧٠ -

حرف التاء

- تزوجوا وزوجوا، ألا فمن حظ امرئ
مسلم إنفاق قيمة أيمة، وما من شيء
أحب إلى الله عز وجل من بيت يعمر
في الإسلام بالنكاح ٣٠٠ -

- رحم الله من أعان ولده على بره
١٢١
- ركعتان يصليهما غير متزوج أفضل
من سبعين ركعة يصليهما غير متزوج
٣٠٠

حرف الزاي

- زوجها برجل تقى، فإنه إن أحبها
أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها ١٩٤

حرف السين

- سعيدة سعيدة امرأة تكرم زوجها ولا
تؤذيه وتطيعه في جميع أحواله ٢٩٨

حرف الصاد

- صاحب النعمة يجب عليه التوسعة
على عياله ٣٠٨
- صلى رسول الله ﷺ بالناس الظهر،
فخفف في الركعتين الأخيرتين، فلما
انصرف، قال له الناس: هل حدث في
الصلاة حدث؟ ١٣٤

حرف العين

- عطس غلام لم يبلغ الحلم عند النبي
ﷺ فقال: الحمد لله، فقال له النبي
ﷺ: بارك الله فيك ١٣٣
- علموا أولادكم الصلاة إذا بلغوا سبعاً،
واضربوهم عليها إذا بلغوا عشراً،
وفرقوا بينهم في المضاجع ١٢٨

حرف الحاء

- حب الدنيا رأس كل خطيئة ٩٩
- حق المرأة على زوجها أن يسد
جوعتها، وأن يستر عورتها، ولا يقبح
لها وجهاً فإذا فعل ذلك فقد والله
أدى حقها ٣١٦

حرف الخاء

- خلوا عنه، فقد كظمت غيظي...
١٥٧
- الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر
١٩٧
- خمس لست بتاركهن حتى الممات...
وتسليمي على الصبيان لتكون سنة
من بعدي ١٢٩
- خير النساء الولود الودود ٢٩١

حرف الراء

- رجع علي ﷺ إلى داره في وقت
القيظ، فإذا امرأة قائمة تقول: إن
زوجي ظلمني وأخافني وتعدى عليّ
وحلف ليضربني ١٠١
- رحم الله عبداً أحسن فيما بينه وبين
زوجته فإن الله عز وجل قد ملكه
ناصيتها وجعله القيم عليها ٢٩٥
- رحم الله عبداً أحسن فيما بينه وبين
زوجته، فإن الله عز وجل قد ملكه
ناصيتها وجعله القيم عليها ٢٩٨

لا غنى بالزوجة فيما بينها وبين زوجها الموافق لها عن ثلاث خصال وهن: صيانة نفسها عن كل دنس حتى يطمئن قلبه إلى الثقة بها في حال المحبوب والمكروه..... ٣١٦

لا غنى بالزوج عن ثلاثة أشياء فيما بينه وبين زوجته وهي الموافقة ليجتلب بها موافقتها ومحبتها وهوأها، وحسن خلقه معها... ٢٩١

لَا يُجْلَدُ أَحَدٌ فَوْقَ عَشْرَةِ أَسْوَاطٍ إِلَّا فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ..... ٢٤٤

لا يعجل أحدكم امرأته جلد العبد، ثم يجامعها في آخر اليوم..... ٢٣٦

.... لا يرى الجاهل إلا مُفْرطاً أو مُفْرطاً ٧٠

لا يكن أهلك أشقى الخلق بك ٢٣٦

للرجل على المرأة أن تلزم بيته، وتودده وتحنه وتشفقه..... ٢٩١

لم يوح إليّ ولكن ابني كان على كتفي فكرهت ان أعجله حتى نزل .. ١٣٤

لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها..... ٣١٦

ليس منا من وسع عليه ثم قتر على عياله..... ٣٠٨

حرف الميم

.... ما عليّ إن نزع الله الرحمة منك!
١٣١

حرف الفاء

- فرض الله... ترك شرب الخمر
تحصيماً للعقل..... ١٩٧

- فهمت ما ذكرت من أمر بناتك، وأنتك لا تجد أحداً مثلك، فلا تنظر في ذلك
رحمك الله، فإن رسول الله ﷺ قال: إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إلا تفعلوه تكن فتنه في الأرض وفساد كبير..... ٢١٢

حرف القاف

- القول الحسن يثري المال، وينمي الرزق، وينسى في الأجل، ويحبب إلى الأهل، ويدخل الجنة..... ٢٩٣

- قول الرجل للمرأة: إنني أحبك لا يذهب من قلبها أبداً..... ٢٩٠

حرف الكاف

- كظمت غيظي..... ١٥٨

حرف اللام

.... لا تزال عاصية حتى يرضى عنها
٢٩٢

- لا تزرموا بالصبي..... ١٣١

- لا تضربه واهجره ولا تطل..... ٢٣٦

- لا تضربوا نساءكم بالخشب فإن فيه القصاص..... ٣١٩

- لا ضرر ولا ضرار..... ٣١٥

- المرأة ربحانة وليست قهرمانه. ٢٣٦ -
 - المسلم من سلم المسلمون من لسانه
 ويده..... ١٥٧ -
 - ملعونة ملعونة امرأة تؤذي زوجها
 وتغمه، وسعيدة سعيدة امرأة تكرم
 زوجها ولا تؤذيه وتطيعه في جميع
 أحواله..... ١٤٨ -
 - من اتخذ زوجه فليكرمها..... ٢٩٧ -
 - من صبرت على سوء خلق زوجها
 أعطاه الله مثل ثواب آسية بنت
 مزاحم..... ٣١٦، ١٨٢ -
 - من صبر على سوء خلق امرأته
 واحتسبه أعطاه الله تعالى بكل يوم
 وليلة يصبر عليها من الثواب ما أعطى
 أيوب عليه السلام على بلائه..... ٣١٥ -
 - من فعل هذا بها؟ قال الغلام: أنا. قال
 الإمام: لم ذلك؟ قال الغلام: لأجل
 لك الهم. فتبسم الإمام عليه السلام وقال
 له: لأسرنك، وأجزل له في العطاء
 وأعتقه..... ١٥٨ -
- من قبل ولده كتب الله عز وجل له
 حسنة، ومن فرحه فرحه الله يوم
 القيامة..... ١٣٠
 من لا يرحم لا يرحم..... ١٣١
 مهلاً يا أم الفضل إن هذه الإراقة الماء
 يطهرها، فأى شيء يزيل هذا الغبار
 عن قلب الحسين عليه السلام ١٣٣، ٢٧٧
- حرف النون**
- النكاح سستي، فمن رغب عن سستي
 فليس مني..... ٣٠٠
- حرف الواو**
- وتعرض نفسها عليه غدوة وعشية
 ٣٠٥
- حرف الياء**
- يشبعها ويكسوها وإن جهلت غفر
 لها..... ٢٩٤
 - ينبغي للرجل أن يوسع على عياله لئلا
 يتمنوا موته..... ٣٠٧

فهرس المصطلحات والمفاهيم

الإهمال التربوي..... ١١٠	-	حرف الهمزة	-
الإهمال الجسدي..... ١١٠	-	الأسرة الممتدة..... ٣٠	-
الإهمال العاطفي..... ١١٠	-	الأسرة النووية..... ٣١، ٣٠	-
الإهمال النفسي..... ١١٠، ١٠٤	-	الإساءة الاقتصادية..... ٩٧	-
الاعتداء الجنسي ٢٥، ٣٥، ٤٠، ٥٩،	-	الإساءة التربوية..... ٩٨	-
٢٦١، ٢٥٩، ١٥٢، ١٠٤، ٨٣، ٦٤	-	الإساءة الجنسية. ٩٧، ١٠٣، ١٠٨،	-
الاعتصاب..... ٢١، ٤٣	-	١٧٩، ١٤٦، ١١٦، ١١٥	-
٥٦، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٧، ٦٨، ٧١،	-	الإساءة العاطفية..... ١٠٩، ١٤٦	-
٧٥، ٧٧، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٦، ٩٧،	-	الإساءة المعنوية..... ٩٨	-
١٤٤، ٢٦٠، ٢٦٢، ٣١٣	-	الإساءة النفسية.... ٢٥، ٩٥، ١٠٣،	-
الاكتئاب..... ٢٦	-	٣١٣، ١٨٦، ١٤٦	-
٥٠، ٦٦، ٨٨، ١٢٠، ١٦٢، ١٦٥،	-	الإشباع الجنسي. ٦٦، ١٧٧، ١٩٣،	-
١٦٧، ١٧٧، ١٦٩، ١٦٨، ١٧٨،	-	٣٠٧، ٣٠٦، ٣٠٥، ٣٠١	-
٢١٦، ٢٢٦، ٢٧٣، ٢٧٤	-	الإهمال..... ٤٠، ٥٠، ٥١	-
انخفاض تقدير الذات ١١٣، ١٧٧،	-	٨٢، ٩٦، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٩، ١١٠،	-
١٨٠، ١٩٩، ٢٢٦	-	١١٣، ١١٤، ١١٦، ١٢٣، ١٢٤،	-
الاندفاعية..... ٥٠، ١٢٥، ١٨٧،	-	١٢٥، ١٤٦، ١٦٦، ١٨٧، ١٩٩،	-
الانسجام الجنسي. ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥	-		

١٦٩ ، ١٨٥ ، ٢٠٦ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ،	- الانسجام العاطفي ٢٠٨ ، ٣٠٣ ،
٢٧٨ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ،	٣١٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٤
٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٣١٧ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ،	
حقوق الزوجة... ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٣١٦ ،	- حرف الباء
الحياة الزوجية..... ٨ ، ١٤ ،	- بروفيل الشخصية..... ٢١٣ ، ٢٢٦ ،
١٠٢ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ،	- البطالة..... ٢٧ ، ٨٥ ، ١٢٤ ، ٢١٥ ،
٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ،	٢٢٤ ، ٢٢٣
٢٢٧ ، ٢٣١ ، ٢٣٥ ، ٢٦٠ ، ٢٨٩ ،	
٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ،	- حرف التاء
٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ،	- التجانس الزوجي ٢٠٧ ، ٢١١ ، ٢١٢ ،
٣٠١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ،	- التحرش الجنسي..... ٤١ ، ٥٦ ،
٣١٢ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ،	٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٤ ،
	٦٧ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٨٢ ، ٩٧ ، ٢٧٩ ،
	٣١٣ ، ٣١١
حرف الخاء	- التسامح .. ٧ ، ٨ ، ١٤ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ،
الخمير..... ١٤١ ، ١٩٧ ، ٢٠٠ ، ٢١٢ ،	٣١٤ ، ٢٩٥
	- تعدد الزوجات .. ٩٠ ، ١٩٣ ، ٢٢٩ ،
حرف الراء	٢٣١ ، ٢٣٠
الرحمة ٧ ، ١٤ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٣١ ،	- التعدي بالضرب..... ٢٣٧ ،
٢٠٧ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ،	- التكيف الأسري..... ٢٨٥ ، ٢٩٣ ،
٣٠٠ ، ٣٠٤ ، ٣١٥ ،	- التنشئة الأسرية..... ١٨٧ ،
	- التنشئة الاجتماعية ٢٤ ، ١٨٧ ، ٢٢٠ ،
حرف الزاي	- التواصل الزوجي..... ٢٢١ ،
زنا المحارم..... ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٦ ،	- التوافق الأسري..... ٣٠٥ ، ٣٢٠ ،
الزوجة الناشزة..... ٣١٩ ،	- توكيد الذات..... ٢٢٥ ،
حرف السين	- حرف الحاء
السلم الأسري. ١٥٨ ، ١٩٢ ، ٢٨٥ ،	- الحب..... ٩٦ ، ١١٠ ،
٢٩٥	١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ،
السيكوباتولوجية..... ٢٢٦ ،	

حرف الطاء	حرف الشين
الطلاق.....٢٨، ٣٩، ٥٣، ٨٠،	الشريك بالأسرة..... ٢٦ -
١٦٦، ١١١، ١٠٥، ١٠٢، ٩٨، ٩٢	
٢٥٩، ٢١٨، ٢١٧، ٢٠٧، ١٨١	
٣٠٠، ٢٩٦، ٢٩٤، ٢٨٩، ٢٦٢	
٣١٣، ٣٠٦، ٣٠٣	
	حرف الضاد
	الضحايا .. ٢٦، ٣٧، ٤٦، ٩٠، ٩١، -
	٣٢٤، ٣٢٢، ١٤٤، ١٤٣
	ضحايا العنف الأسري.... ١٤، ٤٢، -
	١٩٢، ١٦١، ٩٠، ٨٠، ٤٨، ٤٧
	٣٢٤، ٣٢٣، ٣٢٢، ٣٢١، ٣١٣ -
حرف العين	الضرب .. ٩، ١٨، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، -
العدالة..... ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١،	٢٥، ٢٨، ٣٥، ٣٧، ٤١، ٤٩، ٥٠، ٥٤، -
العنف التعبيري..... ١٦٣،	٩٥، ٩٢، ٨٩، ٨٨، ٨٧، ٨٠، ٧٥، ٥٥ -
العنف الجسدي..... ٤٠، ٤١، ٤٢،	١٣٩، ١٣٧، ١٣٢، ١٢١، ١٠٥، ٩٦ -
٧٩، ٧٨، ٥٦، ٥٥، ٥٤، ٤٣، ٤٢	١٧٦، ١٧٥، ١٧٠، ١٤٧، ١٤٢، ١٤٠ -
٨١، ٨٥، ٨٧، ١٠٥، ١٧٣، ٢٦٣،	٢٣٥، ٢٣٣، ٢٢٧، ٢٠٥، ١٨٠، ١٧٨ -
٢٨١، ٢٦٤	٢٤٢، ٢٤١، ٢٤٠، ٢٣٩، ٢٣٨، ٢٣٧ -
العنف الجماعي..... ٢٠،	٢٥٤، ٢٥٣، ٢٥٢، ٢٥١، ٢٤٩، ٢٤٣ -
العنف الجنسي..... ٤١، ٤٢، ٥٦،	٢٦٢، ٢٦٠، ٢٥٩، ٢٥٧، ٢٥٦، ٢٥٥ -
١٠٠، ٦٧، ٦٣، ٦٢، ٦١، ٦٠، ٥٧	٢٦٩، ٢٦٨، ٢٦٧، ٢٦٦، ٢٦٥، ٢٦٤ -
٣١١	٢٧٦، ٢٧٥، ٢٧٤، ٢٧٣، ٢٧٢، ٢٧١ -
العنف الزوجي..... ٢٠٦، ٢٠٧،	٣١١، ٣٠٤، ٢٨٢، ٢٨١، ٢٨٠، ٢٧٨ -
العنف الزوجي..... ٢٢، ٤٣،	٣١٩، ٣١٨، ٣١٣
١٧٣، ١٦١، ١٠١، ١٠٠، ٨٦، ٧٩	ضرب الأطفال..... ٢٣٦، ٢٨١، -
٣٢٠، ١٩٣	ضرب الأولاد..... ١٨، ٣١٢، -
العنف الشرعي..... ٢٠،	ضرب الزوجة..... ٢٤، ٢٨، ٢٥٢، -
العنف العائلي..... ١٧، ٢٢، ٤٨، ١٧٥،	٣١٩، ٣١٢، ٣٠٨، ٢٦٥، ٢٥٥ -
٢٦٩، ٢٦٧، ٢٦٦، ٢٥٩	ضرب النساء..... ١٨، ٢٠١، ٢٣٩، -
العنف الفردي..... ٢٠،	٣١٩، ٢٦٢، ٢٥٩
العنف اللفظي..... ٢١، ٣٩، ٤١، ٤٢،	
٥٢، ٥١، ٤٩	

	العنف المنزلي.....٢٥، ٢٦،	-
	٢٧، ٢٨، ٢٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ١٦٤،	
حرف الميم	١٨٧، ٢٨١	-
المازوشية.....٢٤١، ٢٨١		-
المخدرات.....٨٥، ١١٠،		-
١١٢، ١١٥، ١١٩، ١٤٥، ١٦٣،		
١٦٦، ١٨٠، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩،		
٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢١٧،		
٢٢٣، ٢٢٦، ٢٨٠، ٣١١،		
المودة...١٥٨، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٣١،		-
٢٣٢، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨،		
٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٩، ٣١٢، ٣١٤،		
الموعظة...٢٣٩، ٢٤٢، ٢٥٠، ٢٥١،		-
حرف النون		
النشوز.....٢٨، ٢٣٩،		-
٢٤٢، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢،		
٢٥٥، ٣١٢، ٣١٨،		
حرف الهاء		
الهجران.....٢٥٠، ٣١٨،		-
لعنف ضد الأزواج.....٧٦، ١٣٧،		-
مفهوم الأسرة...١٨، ٢٤، ٢٨، ٣٠،		-
٣١		
مهارات التواصل الزوجي..... ٢٢٧،		-
نشوز الزوجة..... ٢٨، ٢٤٢، ٢٤٩،		-
٣١٩		
	العنف الوصيلي.....١٦٣، ١٦٤،	-
	١٤٤	-
	العنف ضد الأزواج المسنين .. ١٤٤	-
	العنف ضد الأطفال.....٢٢، ٣٥،	-
	٣٨، ٣٧، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦،	
	١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٧، ١٢٦،	
	العنف ضد الخدم..... ٧٦، ١٤٩،	-
	العنف ضد المرأة.....٢٦، ٣٧،	-
	٣٨، ٥٥، ٧٧، ٧٨، ٨١، ٨٣، ٨٤،	
	٨٥، ٨٦، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٥،	
	١٧٧، ١٨٦، ٢٠٠، ٢٠١، ٢١٩،	
	٢٢٠، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٦٢، ٢٦٣،	
	العنف غير الشرعي..... ٢٠	-
	حرف الفاء	
	الفقر..... ٩٩، ١٢٤، ١٩٤، ٢١٥،	-
	٢١٨، ٢٢٣،	
	حرف القاف	
	القلق .. ٥٠، ٦٥، ٦٦، ١٠٧، ١١١،	-
	١١٣، ١٣٣، ١٦١، ١٦٩، ١٧٧،	
	١٧٨، ٢٠٠، ٢٠٧، ٢١٦، ٢٦٩،	
	٢٧٤، ٢٧٧،	
	حرف الكاف	
	الكفاءة..١١٦، ١١٩، ١٢٠، ١٦٨،	-
	١٩٩، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣،	

فهرس المصادر والمراجع

أولاً- الكتب العربية:

١- القرآن الكريم.

(أ)

٢- ابن الصباغ المالكي، علي بن محمد بن أحمد، الفصول المهمة في معرفة الأئمة، تحقيق سامي الغريسي، دار الحديث للطباعة والنشر، قم- إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٣- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٤- أبو عليا، محمد، دليل إرشادي للتعامل مع العنف الأسري، مركز التوعية والإرشاد الأسري، الزرقاء- الأردن، طبع عام ٢٠٠١م.

٥- أسعد، يوسف ميخائيل، أثر الضرب في البيت والمدرسة، دار غريب، القاهرة - مصر، طبع عام ١٩٩٩م، غير مذكور عدد الطبعة.

(ب)

٦- البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل (المتوفى سنة ٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، طبع عام ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، غير مذكور عدد الطبعة.

٧ - باقادر، أبو بكر أحمد، القضايا والمشكلات الزوجية في مجتمعات دول مجلس التعاون الخليجي، دراسة تحليلية شاملة، إصدار المكتب التنفيذي لمجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ومؤسسة صندوق الزواج بدولة الإمارات، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٣م.

٨ - بوزبون، بنة، العنف الأسري وخصوصية الظاهرة البحرينية، المركز الوطني للمعلومات، المنامة - البحرين، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.

(ت)

٩ - التير، مصطفى عمر، العنف العائلي، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(ح)

١٠ - حجازي، مصطفى، الصحة النفسية.. منظور دينامي تكاملي للنمو في البيت والمدرسة، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ٢٠٠٤م.

١١ - الحر العاملي، محمد بن الحسن (المتوفى سنة ١١٠٤ هـ)، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

١٢ - حسن، هبة محمد علي، الإساءة إلى المرأة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة - مصر، طبع عام ٢٠٠٣م.

١٣ - حسين، طه عبد العظيم، إساءة معاملة الأطفال: النظرية والتطبيق، دار الفكر، عمان - الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.

١٤ - حسين، طه عبد العظيم، سيكولوجية العنف: المفهوم، النظرية، العلاج، الدار الصولتية للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، طبع عام ١٤٢٦هـ، غير مذكور عدد الطبعة.

(خ)

١٥ - الخوئي، السيد أبو القاسم الموسوي، والشيخ جواد التبريزي، صراط النجاة في أجوبة الاستفتاءات، إعداد: موسى مفيد الدين عاصي العاملي، مكتبة فذك، قم - إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

(د)

١٦ - دلتافو، أليسا، العنف العائلي، ترجمة: نوال لايقة، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى ١٩٩٩ م.

(ر)

١٧ - الرازي، محمد بن أبي بكر عبد القادر، مختار الصحاح، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

١٨ - الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، مؤسسة دار الحديث الثقافية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٩ هـ.

(ش)

١٩ - الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مؤسسة البعثة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ - ١٩٩٢ م.

(ص)

٢٠ - الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، (المتوفى سنة ٣٨١ هـ)، من لا يحضره الفقيه، ضبطه وعلّق عليه: محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

(ط)

٢١ - الطباطبائي، السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، تحقيق الشيخ

العنف الأسري

- أياد باقر سلمان، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- ٢٢ - الطبرسي، أبو نصر الحسن بن الفضل، مكارم الأخلاق، دار الوفاق للطباعة والنشر والترجمة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- ٢٣ - الطبرسي، ميرزا حسين النوري، مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الخامسة ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- ٢٤ - الطوسي، محمد بن الحسن بن علي (ت ٤٦٠هـ)، المعجم الفقهي لكتب الشيخ الطوسي، دائرة معارف الفقه الإسلامي، قم - إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

(ع)

- ٢٥ - عاقل، فاخر، اعرف نفسك، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة التاسعة ١٩٨٦م.
- ٢٦ - عبادة، مديحة أحمد، وخالد كاظم أبو دوح، العنف ضد المرأة: دراسات ميدانية حول العنف الجسدي والعنف الجنسي، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.
- ٢٧ - عبد الوهاب، ليلي، العنف الأسري: الجريمة والعنف ضد المرأة، دار المدى للثقافة والنشر، بيروت - لبنان، طبع عام ٢٠٠٠م، غير مذكور عدد الطبعة.

(ف)

- ٢٨ - فلسفي، محمد تقي، الطفل بين الوراثة والتربية، تعريب: فاضل الحسيني الميلاني، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م.
- ٢٩ - فلسفي، محمد تقي، الأفكار والميول في علاقة الشباب والشيوخ والكهول، ترجمة عباس حسين الأسدي، مؤسسة البعثة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

- ٣٠- فهيم، كلير، رعاية الأبناء ضحايا العنف، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة- مصر، طبع عام ٢٠٠٧م.
- ٣١- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، معجم القاموس المحيط، دار المعرفة، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

(ق)

- ٣٢- القائمي، علي، الأسرة وقضايا الزواج، دار النبلاء، بيروت- لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.
- ٣٣- القائمي، علي، دور الأب في التربية، دار النبلاء، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٤م.
- ٣٤- القرشي، باقر شريف، نظام الأسرة في الإسلام، دار الأضواء، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
- ٣٥- القرشي، باقر شريف، نفحات من سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام، دار الهدى، قم- إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

(ك)

- ٣٦- الكليني، محمد بن يعقوب (المتوفى سنة ٣٢٨هـ / ٣٢٩هـ)، فروع الكافي، ضبطه وعلق عليه: محمد جعفر شمس الدين، دار المعارف للمطبوعات، بيروت- لبنان، طبع عام ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، غير مذكور عدد الطبعة.

(ل)

- ٣٧- لطفي، طلعت إبراهيم، مدخل إلى علم الاجتماع، مكتبة غريب، القاهرة- مصر، غير مذكور تاريخ الطبع ولا عدد الطبعة.
- ٣٨- لطفي، طلعت إبراهيم، الأسرة ومشكلة العنف عند الشباب: دراسة ميدانية لعينة من الشباب في جامعة الإمارات العربية المتحدة، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي- الإمارات، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

(م)

- ٣٩- المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، بحار الأنوار، مؤسسة أهل البيت
عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- ٤٠- مجموعة من الباحثين، مواجهة ظاهرة العنف الأسري بالدول العربية...
الواقع والمأمول، الجمعية العربية للتنمية البشرية والإدارية والاجتماعية
والاقتصادية، الإسكندرية - مصر، يونيو ٢٠٠٥م.
- ٤١- مجموعة من الباحثين، الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة
للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- ٤٢- مجموعة من الباحثين، الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية،
الكويت، الطبعة الثالثة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- ٤٣- مجيد، سوسن شاكر، العنف والطفولة: دراسات نفسية، دار صفاء للنشر
والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- ٤٤- محجوب، عباس، مشكلات الشباب.. الحلول المطروحة والحل الإسلامي،
سلسلة كتاب الأمة رقم (١١)، دولة قطر، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
- ٤٥- المحمود، عباس أبو شامة، ومحمد الأمين البشري، العنف الأسري في ظل
العولمة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض - السعودية، الطبعة
الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- ٤٦- مكي، رجاء، وسامي عجم، إشكالية العنف.. العنف المشرع والعنف المدان،
المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة
الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- ٤٧- مغنية، محمد جواد، فقه الإمام جعفر الصادق عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، مؤسسة السبطين
العالمية، قم - إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ١٣٨٢هـ.ش.
- ٤٨- موسى، رشاد علي عبدالعزيز، سيكولوجية القهر الأسري، عالم الكتب،
القاهرة - مصر، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

(ن)

- ٤٩ - النجفي، حسين بستان، الإسلام والأسرة: دراسة مقارنة في علم الاجتماع الأسري، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.
- ٥٠ - النجفي، محمد حسن (ت ١٢٦٦هـ)، معجم فقه الجواهر، مؤسسة دائرة الفقه الإسلامي، قم- إيران، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.
- ٥١ - نزاد، شكوه نوابي، علم نفس المرأة، ترجمة: زهراء طيوري يكانه، دار الهادي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠١م.

(هـ)

- ٥٢ - الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، طبع عام ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م، غير مذكور عدد الطبعة.

(ي)

- ٥٣ - اليوسف، عبدالله أحمد، أخلاقيات الرسول الأعظم ﷺ... دراسة تحليلية للسيرة الأخلاقية للرسول الأعظم، دار القارئ، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
- ٥٤ - اليوسف، عبدالله أحمد، الشباب هموم الحاضر وتطلعات المستقبل، مؤسسة البلاغ، بيروت- لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.
- ٥٥ - اليوسف، عبدالله بن عبد العزيز، وصالح بن رميح الرميح وعبد المجيد طاش نيازي، العنف الأسري: دراسة ميدانية على مستوى المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الاجتماعية، الرياض- السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

ثانياً- المجلات والصحف:

- ١ - بركات، مطاوع. موضوع: العنف بين الزوجين، مجلة العربي، وزارة الإعلام بدولة الكويت، العدد ٤٤٩، أبريل ١٩٩٦ م.
- ٢ - وطقة، علي. موضوع: الإرهاب التربوي، مجلة العربي، وزارة الإعلام بدولة الكويت، العدد ٤٦٠، مارس ١٩٩٧ م.
- ٣ - صحيفة الحياة، العدد ١٦٤٧٩ بتاريخ ١٧/٥/٢٠٠٨م الموافق ١٢/٥/١٤٢٩هـ
- ٤ - صحيفة الحياة، السبت ٢ أغسطس ٢٠٠٨م الموافق ١ شعبان ١٤٢٩هـ، العدد ١٦٥٥٦، الصفحة الأولى.
- ٥ - صحيفة الحياة، الأربعاء ٦ أغسطس ٢٠٠٨م الموافق ٥ شعبان ١٤٢٩هـ، العدد ١٦٥٦٠، الصفحة الأخيرة.
- ٦ - صحيفة الحياة، الخميس ١٤ أغسطس ٢٠٠٨م الموافق ١٣ شعبان ١٤٢٩هـ، العدد ١٦٥٦٨، صفحة ٤.
- ٧ - صحيفة الحياة، الخميس ١٨ ديسمبر ٢٠٠٨م الموافق ٢٠ ذو الحجة ١٤٢٩هـ، العدد ١٦٦٩٤، الصفحة الأولى.
- ٨ - صحيفة الحياة، الجمعة ١٩ ديسمبر ٢٠٠٨م الموافق ٢١ ذو الحجة ١٤٢٩هـ، العدد ١٦٦٩٥، الصفحة الأولى.
- ٩ - صحيفة الحياة، الثلاثاء ٢٣ ديسمبر ٢٠٠٨م الموافق ٢٥ ذو الحجة ١٤٢٩هـ، العدد ١٦٦٩٩، ص ١١.
- ١٠ - صحيفة الحياة، الاثنين ٨ محرم ١٤٣٠هـ الموافق ٥ يناير ٢٠٠٩م، العدد ١٦٧١٢، ص ٧.
- ١١ - صحيفة الحياة، الأحد ١١ يناير ٢٠٠٩م الموافق ١٤ محرم ١٤٣٠هـ، العدد ١٦٧١٨، ص ٧.
- ١٢ - صحيفة الحياة، الأحد ١٥ فبراير ٢٠٠٩م الموافق ٢٠ صفر ١٤٣٠هـ، العدد ١٦٧٥٣، الصفحة الأخيرة.

- ١٣ - صحيفة الحياة، الثلاثاء ١١ أغسطس ٢٠٠٩م الموافق ٢٠ شعبان ١٤٣٠هـ، العدد ١٦٩٣٠.
- ١٤ - صحيفة الرياض، الأحد ١٢ شوال ١٤٢٩هـ - ١٢ أكتوبر ٢٠٠٨م - العدد ١٤٧٢٠.
- ١٥ - صحيفة الوطن السعودية <http://www.alwatan.com.sa> السبت ٢٢ شعبان ١٤٢٩هـ الموافق ٢٣ أغسطس ٢٠٠٨م العدد (٢٨٨٥) السنة الثامنة، تحقيق سهام الزبيدي.
- ١٦ - صحيفة الوطن السعودية، الأربعاء ٢٦ ذو الحجة ١٤٢٩هـ الموافق ٢٤ ديسمبر ٢٠٠٨م العدد (٣٠٠٨) السنة التاسعة.
- ١٧ - صحيفة الوطن السعودية، الثلاثاء ٨ صفر ١٤٣٠هـ الموافق ٣ فبراير ٢٠٠٩م العدد (٣٠٤٩) السنة التاسعة.
- ١٨ - صحيفة اليوم، الدمام - السعودية، الأحد ١٣ / ٥ / ١٤٢٩هـ، الموافق ١٨ / ٥ / ٢٠٠٨م، العدد ١٢٧٥٦، السنة الأربعون.
- ١٩ - صحيفة اليوم، الدمام - السعودية، الاثنين، ٥ / ٣ / ١٤٣٠هـ الموافق ٢ / ٣ / ٢٠٠٩م، العدد ١٣٠٤٤، السنة الأربعون.
- ٢٠ - صحيفة عكاظ، الأحد ١٣ / صفر / ١٤٣٠هـ الموافق ٠٨ / فبراير / ٢٠٠٩م العدد: ٢٧٩٣.
- ٢١ - صحيفة عكاظ، السبت ١١ / ٧ / ١٤٣٠هـ) / ٠٤ / يوليو / ٢٠٠٩م العدد: ٢٩٣٩.
- ٢٢ - صحيفة عكاظ، الأحد ٠٤ / ٠٨ / ١٤٣٠هـ، ٢٦ / يوليو / ٢٠٠٩م العدد: ٢٩٦١.

ثالثاً- مواقع على الإنترنت:

- ١ - موقع إسلام أون لاين، موضوع: العنف الأسري يهدد المستقبل العربي، شريف حموده.
- ٢ - موقع العربية نت <http://www.alarabiya.net/articles/2008/02/07/html.52450>

الأربعاء ٢٨ جمادى الثانية ١٤٢٩هـ - ٠٢ يوليو ٢٠٠٨م.

٣ - موقع منظمة الصحة العالمية [/http://www.who.int/ar](http://www.who.int/ar)

٤ - موقع لها أون لاين. www.lahaonline.com

٥ - موقع شبكة الفيصل نت <http://www.fesal.net>

٦ - موقع البلاغ [/http://www.balagh.com](http://www.balagh.com)

فهرس المحتويات

الفهرس الإجمالي

١١	الفصل الأول: منهج دراسة العنف الأسري
٣٣	الفصل الثاني: ظاهرة العنف الأسري وأنواعه
٧٣	الفصل الثالث: فئات العنف الأسري
١٥٩	الفصل الرابع: مواصفات الزوج العنيف والزوجة الضحية
١٨٩	الفصل الخامس: مسببات العنف الأسري
٢٣٣	الفصل السادس: نتائج وآثار الضرب
٢٨٣	الفصل السابع: حتى لا يقع العنف الأسري
٣٠٩	النتائج والتوصيات
٣٢٥	الفهارس الفنية
٣٤١	فهرس المصادر والمراجع
٣٥١	فهرس المحتويات

الفهرس التفصلي

المقدمة	٧
١- إنسانية كل واحد من أفراد الأسرة	٨
٢- أخلاقية التعامل بين أفراد الأسرة	٨
الفصل الأول: منهج دراسة العنف الأسري	١١
منهج الدراسة	١٣
أهمية الدراسة	١٣
أهداف الدراسة	١٤
فرضيات و تساؤلات الدراسة	١٥
الدراسات السابقة	١٥
هيكلية الدراسة	١٧
مفاهيم الدراسة	١٨
أولاً- مفهوم العنف	١٨
ثانياً- مفهوم العنف الأسري	٢٢
ثالثاً- مفهوم الأسرة	٢٨
الفصل الثاني: ظاهرة العنف الأسري وأنواعه	٣٣
حجم مشكلة العنف الأسري	٣٥
أنواع العنف الأسري	٤٩
١-العنف اللفظي:	٤٩
خصائص الإساءة اللفظية	٥٢

العنف الأسري

- ٥٤ ٢-العنف الجسدي
- ٥٦ ٣- العنف الجنسي
- ٥٨ أشكال التحرش الجنسي
- ٦٠ التحرش الجنسي داخل الأسرة
- ٦٧ حكم الزنى بين المحارم
- ٦٨ رؤية الإسلام للجنس
- ٧٣ الفصل الثالث: فئات العنف الأسري
- ٧٥ مدخل
- ٧٧ أولاً: العنف ضد الزوجات
- ٧٩ ظاهرة العنف ضد المرأة في دول العالم
- ٧٩ أولاً: العنف الأسري ضد المرأة في الدول غير الإسلامية
- ٧٩ العنف في أمريكا
- ٨٠ العنف في بريطانيا
- ٨٠ العنف في نيوزلندا
- ٨٠ العنف في النمسا
- ٨١ العنف في فرنسا
- ٨١ العنف في الهند:
- ٨١ العنف في اليابان
- ٨٢ العنف في سويسرا
- ٨٢ العنف في بلغراد
- ٨٣ العنف في المجر
- ٨٣ العنف في روسيا
- ٨٤ العنف في كندا
- ٨٥ العنف في ألمانيا
- ٨٥ ثانياً: العنف ضد المرأة في الدول العربية
- ٨٥ العنف في المغرب
- ٨٦ العنف في تونس
- ٨٦ العنف في مصر

٨٧	العنف في الأردن
٨٧	العنف في الضفة الغربية وقطاع غزة
٨٩	العنف في السعودية
٨٩	نتائج مهمة عن العنف ضد المرأة
٩٥	أشكال العنف ضد الزوجة
٩٩	الرؤية الإسلامية
١٠٣	ثانياً: العنف ضد الأطفال
١٠٧	أشكال الإساءة إلى الأطفال
١١١	مسببات العنف ضد الأطفال
١١٣	نتائج العنف ضد الأطفال
١١٣	١- النتائج النفسية
١١٤	٢- النتائج الجسمية
١١٤	٣- النتائج السلوكية
١١٥	٣- النتائج الأكاديمية
١١٥	٤- النتائج الجنسية
١١٦	٥- النتائج الاجتماعية
١١٧	الفروق بين التأديب والعنف
١١٩	خصائص الآباء المسيئين لأطفالهم
١٢٣	خصائص الأطفال ضحايا الإساءة
١٢٤	اضطراب ضعف الانتباه والحركة الزائدة
١٢٤	١. ضعف الانتباه
١٢٥	٢. الاندفاعية
١٢٥	٣. الحركة الزائدة
١٢٥	المعايير التشخيصية
١٢٧	قواعد إسلامية في تربية الأطفال
١٢٨	١- غرس القيم الدينية والأخلاقية في شخصية الطفل
١٢٩	٢- تعويد الطفل على العادات الحسنة
١٣٠	٣- تغذية الطفل بالحب والعطف والحنان

١٣٢	٤- الابتعاد عن القسوة الشديدة والليونة المفرطة.....
١٣٣	٥- احترام شخصية الطفل.....
١٣٥	٦- اتباع مبدأ الثواب والعقاب.....
١٣٦	٧- العدل بين الأبناء.....
١٣٧	ثالثاً: العنف ضد الأزواج.....
١٤١	حرمان من المصروف.....
١٤١	إهمال وغياب وفصل.....
١٤٤	العنف ضد الأزواج المسنين.....
١٤٥	أسباب إساءة معاملة المسنين.....
١٤٧	توصيات إسلامية.....
١٤٩	رابعاً: العنف ضد الخدم.....
١٤٩	حجم ظاهرة الخادومات في دول مجلس التعاون الخليجي.....
١٥١	العنف ضد الخادومات.....
١٥٥	الإسلام ونظرة إلى الخدم.....
١٥٥	١- إعطاء الخدم أجرهم.....
١٥٦	٢- الإنفاق عليها.....
١٥٦	٣- عدم تكليفها ما لا يطاق.....
١٥٦	٤- الإحسان إليها.....
١٥٩	الفصل الرابع: مواصفات الزوج العنيف والزوجة الضحية.....
١٦١	مواصفات الزوج العنيف.....
١٦٥	دراسات مهمة حول مواصفات الزوج العنيف.....
١٦٨	الوضع النفسي للرجال العنيفين.....
١٧٣	مواصفات الزوجة الضحية.....
١٧٤	المتعرضات للعنف.....
١٧٥	خصائص المتعرضات للعنف.....
١٧٥	الوضع النفسي للمتعرضات للعنف.....
١٨١	أسباب صبر الزوجات على أذى الأزواج.....
١٨١	١- الحفاظ على كيان الأسرة.....

١٨١	٢- عدم وجود ملجأ للزوجة
١٨١	٣- إخفاء المشاكل
١٨٣	الفروق بين الأزواج والزوجات في إدراك العنف
١٨٩	الفصل الخامس: مسببات العنف الأسري
١٩١	١- ضعف الوازع الديني
١٩٢	الرقابة الداخلية
١٩٧	٢- تعاطي الكحول والمخدرات
١٩٩	تحديد مصطلح المخدرات
٢٠٥	٣- انعدام الانسجام الزوجي
٢٠٩	٤- غياب التكافؤ بين الزوجين
٢١١	الكفاءة بالمنظور الإسلامي
٢١٣	٥- الأمراض النفسية
٢١٥	٦- الأزمات المالية
٢١٩	٧- العادات والتقاليد الاجتماعية
٢٢٣	٨- كثرة الضغوط والانفعالات
٢٢٥	٩- استفزازات الزوجة
٢٢٩	١٠- تعدد الزوجات
٢٣١	خلاصة القول
٢٣٣	الفصل السادس: نتائج وآثار الضرب
٢٣٥	مدخل
٢٣٧	مفهوم التعدي بالضرب
٢٣٩	الضرب في القرآن الكريم
٢٣٩	١- الموعدة
٢٣٩	٢- الهجر في المضاجع
٢٤٠	٣- الضرب:
٢٤٣	الضرب في الفقه الإسلامي
٢٤٣	أولاً- رأي المذاهب الأربعة في الضرب

- ٢٤٥ هل يُشترط تكرارُ الشُّوزِ حتَّى يُشرَعَ الضَّرْبُ
- ٢٤٦ الضَّمَانُ بِضَرْبِ التَّأْدِيبِ
- ٢٤٧ التَّرْتِيبُ فِي التَّأْدِيبِ
- ٢٤٩ ثانياً- رأي مذهب أهل البيت عليهم السلام في الضرب:
- ٢٤٩ ١- علامات نشوز الزوجة
- ٢٤٩ تعريف الشوز وحكمه
- ٢٥٠ ٢- مراتب تأديب الزوجة الناشز
- ٢٥٢ ٣- ضرب الزوجة الناشز
- ٢٥٣ ٤- ضمان الزوج تلف الزوجة بسبب تأديبها
- ٢٥٣ دية الضرب واللطم
- ٢٥٥ الضرب في القوانين الوضعية
- ٢٥٩ أرقام وإحصائيات حول ضرب وإيذاء النساء
- ٢٦٥ دراسات حول الضرب
- ٢٧١ نتائج وآثار الضرب
- ٢٧١ ١- تحطيم الشخصية
- ٢٧١ ٢- الإصابة بالأمراض النفسية
- ٢٧٤ ٣- تدمير طاقات الإبداع والابتكار
- ٢٧٥ ٤- تكوين شخصية سلبية
- ٢٧٦ ٥- إنتاج شخصية عنيفة
- ٢٧٨ ٦- الانفصال العاطفي
- ٢٧٩ ٧- الهروب من المنزل
- ٢٨١ ٨- الانحراف الجنسي
- ٢٨٣ الفصل السابع: حتى لا يقع العنف الأسري
- ٢٨٥ قواعد في التكيف الأسري
- ٢٨٥ ١- إشاعة المودة:
- ٢٨٨ ٢- تبادل المحبة
- ٢٩٢ ٣- استخدام الكلمات الجميلة
- ٢٩٣ ٤- اتباع منهج التسامح

٢٩٥	٥ - القيام بالواجبات وأداء الحقوق
٢٩٦	٦- فهم كل طرف للآخر
٢٩٧	٧- الاحترام المتبادل
٣٠١	٨ - التقارب الثقافي
٣٠٣	٩- الانسجام العاطفي والجنسي
٣٠٧	١٠- التوسعة على العيال
٣٠٩	التائج والتوصيات
٣١١	نتائج الدراسة
٣١٥	توصيات ومقترحات
٣١٥	أولاً- من أجل الوقاية من العنف الأسري أقترح التركيز على التوصيات التالية
٣١٥	١- الإرشاد والتوجيه الديني
٣١٧	٢- نشر الثقافة الزوجية
٣١٨	٣- تصحيح المفاهيم المغلوطة
٣١٨	أ / مفهوم قيمومة الرجال على النساء
٣١٨	ب/ مفهوم إجازة الضرب
٣٢٠	٤- التكافؤ في الزواج
٣٢٠	٥- إتقان فن مهارات التوافق الأسري
٣٢١	٦- المعرفة الحقوقية
٣٢١	ثانياً - من أجل مواجهة تداعيات العنف الأسري
٣٢١	١- تأسيس أماكن خاصة لحماية ضحايا العنف الأسري
٣٢٢	٢- تقديم استشارات نفسية
٣٢٢	٣- سن تشريعات قانونية
٣٢٢	٤- الاستفادة من وسائل الإعلام
٣٢٣	٥- تقديم مساعدات مالية
٣٢٤	٦- تأهيل كوادر مدربة للتعامل مع ضحايا العنف الأسري
٣٢٥	الفهارس الفنية
٣٢٧	فهرس الآيات القرآنية

العنف الأسري

- ٣٣١ فهرس الأحاديث والروايات الشريفة.
- ٣٣٧ فهرس المصطلحات والمفاهيم.
- ٣٤١ فهرس المصادر والمراجع.
- ٣٤١ أولاً- الكتب العربية:
- ٣٤٨ ثانياً- المجلات والصحف:
- ٣٤٩ ثالثاً- مواقع على الإنترنت:
- ٣٥١ فهرس المحتويات.
- ٣٥٣ الفهرس الإجمالي.
- ٣٥٥ الفهرس التفصيلي.

المؤلف في سطور

ولد في بلدة الحلة بالقطيف من المنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية سنة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م.

- كاتب وباحث في شؤون الفكر الإسلامي، وقضايا الشباب.
- دراسات عليا في علوم الشريعة الإسلامية بالحوزة العلمية.
- ماجستير في الشريعة الإسلامية من الجامعة الأمريكية بلندن عام ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- ماجستير في الثقافة والمعارف الإسلامية من جامعة المصطفى العالمية عام ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- دكتوراه في علم الاجتماع من جامعة الحضارة الإسلامية عام ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- شارك في العديد من المؤتمرات المحلية والدولية.
- تُرجم له في العديد من كتب التراجم والأعلام وكذلك في الكثير من مواقع الانترنت.
- قام بإعداد وتقديم مجموعة من المحاضرات على القنوات الفضائية المختلفة، كما شارك في العديد من اللقاءات والحوارات الإذاعية والتلفزيونية
- ساهم وأسس ورعى العديد من الأنشطة الثقافية والدينية والخيرية.

- صدر له من المؤلفات ما يلي:

١- الإمام علي الهادي عليه السلام.. قراءة تحليلية للسيرة الفكرية والسياسية في حياة الإمام الهادي عليه السلام، طبع الطبعة الأولى عام ١٤٠٥ هـ، دار البصائر، طهران - إيران. والطبعة الثانية ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م عن دار الهادي، بيروت.

٢- الشخصية الناجحة، طبع أربع مرات، الأولى عام ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م مطبعة الرضا - الدمام. الطبعة الثانية عام ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م دار البيان العربي - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م دار المحجة البيضاء - بيروت.. والطبعة الرابعة عام ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، دار المحجة البيضاء - بيروت.

٣- الصعود إلى القمة، طبع ثلاث مرات: الطبعة الأولى عام ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، دار البيان العربي - بيروت، والطبعة الثانية عام ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان. والطبعة الثالثة عام ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، دار أطياف للنشر والتوزيع - القطيف - السعودية.

٤- شرعية الاختلاف، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، دار الصفاة - بيروت، والطبعة الثانية ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، دار الهادي، بيروت.

٥- فلسفة الفكر الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، دار المفيد العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م مؤسسة البلاغ - بيروت.

٦- الخمس.. فلسفته وأحكامه، طبع ثلاث مرات: الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م دار المفيد العربي - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م دار المفيد العربي - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، مؤسسة البلاغ، بيروت - لبنان.

٧- الشباب.. هموم الحاضر وتطلعات المستقبل، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ

- ٢٠٠٠م مطبعة سيهات - السعودية، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م مؤسسة البلاغ، بيروت - لبنان.
- ٨- الاجتهاد والتجديد.. قراءة لقضايا الاجتهاد والتجديد في فكر الشيخ محمد مهدي شمس الدين، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م دار الهادي، بيروت - لبنان.
- ٩- مسائل التجديد... قراءة لقضايا التجديد في فكر الإمام الشيرازي، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، مكتبة الرضا - البحرين.
- ١٠- الحوار الإسلامي - الإسلامي.. رؤية من أجل إنماء السلم الأهلي، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، دار المحجة البيضاء، بيروت - لبنان.
- ١١- ثقافتنا في عصر العولمة والإعلام، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، دار المحجة البيضاء، بيروت - لبنان.
- ١٢- خصائص الشباب.. من أجل أن يعرف الشباب أنفسهم، مطابع الوفاء - الدمام، السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- ١٣- المرأة في زمن متغير، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، مطبعة خليج آفان، سيهات - السعودية.
- ١٤- قواعد النجاح، مطابع الوفاء - الدمام، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- ١٥- أخلاقيات الرسول الأعظم ﷺ.. دراسة تحليلية للسيرة الأخلاقية للرسول الأعظم، دار القارئ، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- ١٦- ثقافة العمل التطوعي، مركز اليازة للتنمية الفكرية، جدة - السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- ١٧- كيف تتعامل مع أولادك المراهقين: قواعد في فن التعامل مع المراهقين، مركز البيت السعيد، صفوى - السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

١٨- فقه النفقات الواجبة: دراسة في المفاهيم والأدلة والآراء الفقهية، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، قم-إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

١٩- تساؤلات الشباب الجديدة، أطياف للنشر والتوزيع، القطيف-السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٢٠- العلامة الشيخ كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني: رجل العلم والأخلاق والسياسة، دار الرسول الأكرم ﷺ، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٢١- الوصول إلى الأفكار الساخنة.. حوارات صريحة في الثقافة والفكر والسياسة، دار أطياف للنشر والتوزيع، القطيف-السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٢٢- العدالة الاجتماعية في القرآن الكريم، المنامة-البحرين، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٢٣- الجنس في حياة الشباب، دار أطياف للنشر والتوزيع، القطيف-السعودية، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٢٤- فن صناعة التقرير.. منهجية الدكتور الفضلي نموذجاً، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٢٥- العنف الأسري.. دراسة في المسببات والنتائج والحلول (بين يديك).

بالإضافة إلى الكثير من الدراسات والمقالات المنشورة في العديد من المجالات الفكرية والثقافية المختلفة.

للتواصل مع المؤلف

<p>المملكة العربية السعودية - المنطقة الشرقية ص.ب: ٨٤١ القطيف ٣١٩١١</p>	
<p>٠٠٩٦٦٥٠٣٨٤٤٩٩١</p>	
<p>البريد الإلكتروني: alyousif50@gmail.com الموقع على الإنترنت: www.alyousif.org</p>	